بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية السودان

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة شندي

كلية الدراسات العليا والبحث العلمي

الجملة الطلبية في تفسير الألوسي

(دراسة بلاغية)

بحث مقدم لنيل درجة دكتوارة الفلسفة في اللغة العربية

(البلاغة)

إعداد الطالب : عبد الله خرساني مجذوب أبوكوع

إشراف الدكتور : الشيخ سالم الشيخ القراي

٢٠١٨م

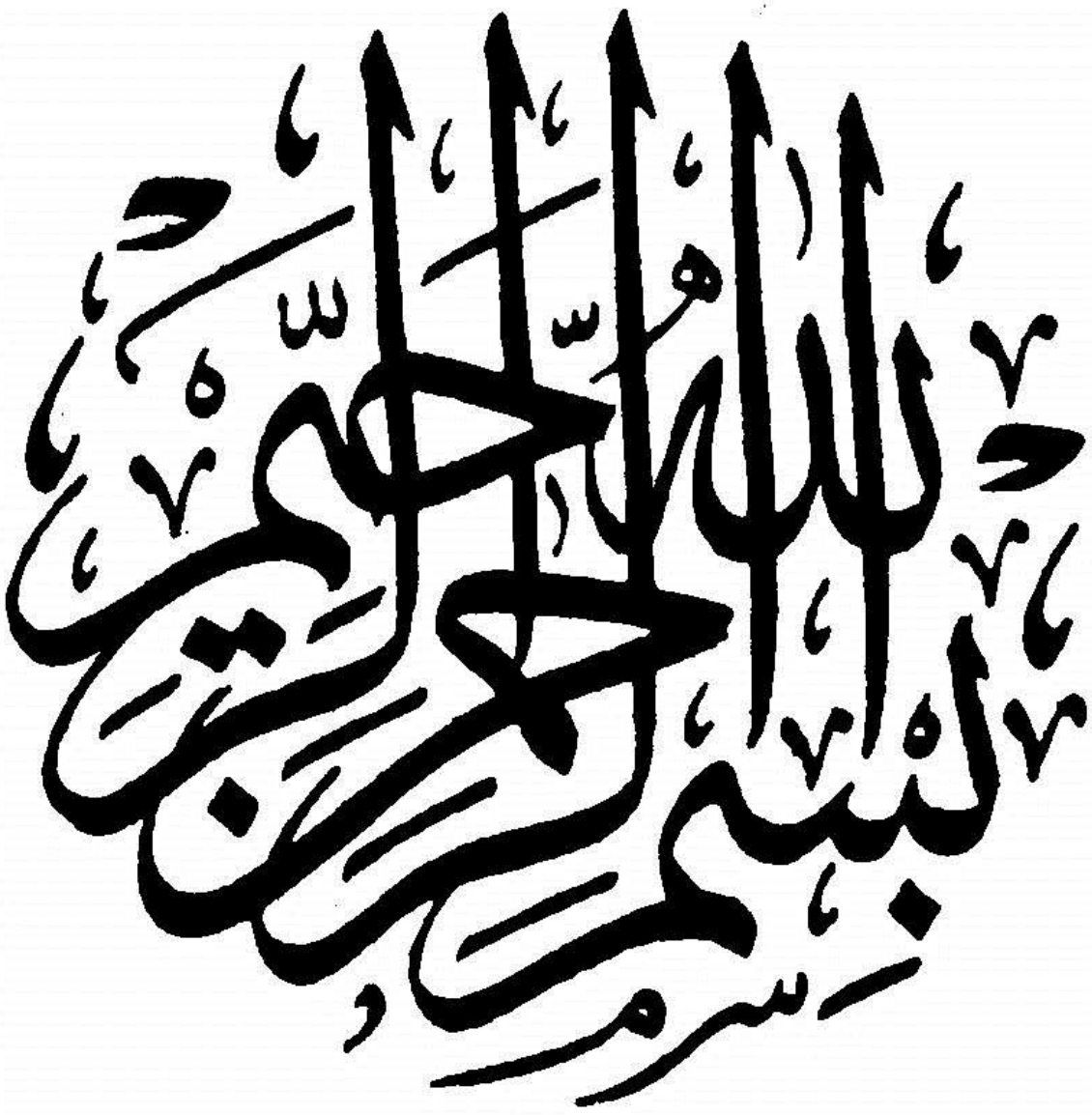
بسم الله الرحمن الرحيم

آيـة

﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾ فصلت: ٣

إهداء

إلى منبع الحنان والشفقة ...

إلى من علمتني معاني التضحية والوفاء والشهامة والسخاء

والدتي العزيزة .

إلى من علمني الكفاح والصبر والفلاح...

والدي العزيز الذي ما زال يوصيني بالصدق والأمانة .

أدام الله عليهما الصحة والعافية .

شكر وعرفان

أولاً : الشكر لله على وافر فضله وسعة رحمته فلولاه لما كنت وما كان شيئاً ، أشكره لما مَنَّ به عليَّ من صبر وتوفيق حتى اكتمل هذا الجهد المتواضع . لا نحصي ثناءً عليه هو كما أثنى على نفسه و أثنى عليه نبيه صلى الله عليه وسلم ؛ فلو استعرنا الدهر لساناً واتخذنا الريح ترجماناً لقصر بنا الشكر عن عرفانه جل وعلا .

ثم الشكر من بعد : إلى محيط العلم وكنوز المعرفة– جامعة شندي – وأخص بالشكر كلية الدراسات العليا التي أتاحت لي الفرصة لنيل هذه الدرجة. ثمَّ قسم اللغة العربية – بكلية الآداب متمثلاً في أساتذته الذين أوفوا وأعطوا ولم يضنُّوا بشيء من العلم .

وأتقدم بجزيل الشكر والتقدير للدكتور المربي **الشيخ سالم الشيخ القرّاي** الذي أشرف على هذه الرسالة ، وبذل جهداً عظيماً في تقويمها ، فلم يبخل عليَّ بشيء من النصح والتوجيه . وأسهم في إخراج هذه الرسالة بالصورة التي بين أديكم . لا أستطيع أن أوفيه حقه عليَّ ولكن سيظل لساني له شاكراً . وقديماً قالوا :" إذا قصرت يداك عن المكافأة فليطل لسانك بالشكر" ، فله منّي خالص الشكر والتقدير.

وأخيراً وافر الشكر إلى الذين مدوا لي يد العون ولم يتسع المجال لذكرهم – أساتذة وزملاء وأصحاب – فأنتم والله في القلب حاضرون ، فلكم منِّي خالص الشكر والعرفان.

خلاصة البحث

- موضوع هذا البحث هو الجملة الطلبية في تفسير الألوسي (دراسة بلاغية) يتضح من عنوان الدراسة أن القضية المراد توضيحها هي : معرفة كيفية تحليل الألوسي للجملة الطلبية من الناحية البلاغية . تكمن أهمية الموضوع في ارتباط الدراسة بتفسير القرآن الكريم، ولعلها تساعد على فهم المعاني الطلبية الواردة في القرآن الكريم بطريقة علمية . تهدف هذه الدراسة إلى إبراز بلاغة القرآن الكريم في استخدام أسلوب الطلب لتحقيق غاياته وأهدافه . الكشف عن معاني الجملة الطلبية الواردة في تفسير الألوسي . اتَّبَعَتْ هذه الدراسة المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي ؛ مع الاستعانة بالمنهج التاريخي. كما توصلت هذه الدراسة إلى عدة نتائج أهمها :

– اختصت الجملة الطلبية في القرآن الكريم ببعض الخصائص التي تميزها عن كلام البشر . منها: ترتيب كلمات الجملة حسب المعنى المراد ، الدقة المتناهية في اختيار الألفاظ ، تعدد المعاني للأسلوب الواحد ، الزيادة والنقصان في بناء الجملة حسب ما يقتضيه السياق .

– الجملة الطلبية عند الألوسي هي كغيرها من الجمل يفسرها حسب السياق العام للآية ، فإن كان المقام للإعجاز والبلاغة بسط القول فيهما ، وأتى بأقوال البلاغيين . وإن كانت الآية لحد أو حكم أتى بأقوال الأصوليين والفقهاء وقد يضيف إلى ذلك أقوال النحويين واللغويين .

– بعض المعاني المجازية لجملة النهي لم ترد في تفسير الألوسي منها : الالتماس والتمني.

Abstract

The theme of this study is the request sentence (Algmula Altalabea) in the interpretation of al-Alusy. (Rhetorical study).

It discloses that, what the functions are proposed by rhetoric to analyzing the Imperatives sentence (request) from metaphorical side. Though, this study is closely connected to the Explanations of The Holy Quran which it may help to understand the meanings of demand contained in the Holy Quran in a scientific way.

The aim of this study is to highlight the eloquence of the Holy Quran in using the method of demand to achieve its goals and objectives. Moreover to disclose the meanings of Imperatives sentence (request) which mentioned in the interpretation of al-Alusy. The study adopted the inductive, descriptive analytic and historical approaches.

This study comes up with many fruitful findings the most important of which are:
The idiomatic expressions for the imperative sentence (request) are unlimited on other statements or structures but May they are on other combination clauses on other patterns. The statement of dos and dons are to be combined in the condition of the mandatory order clause and be indifferent in other some conditional clauses or other structural patterns. The sentence of imperative (request) in Holy Quran is very unique and with miracle that would be seen on the word order, similarity patterns, and synonyms, as well as to the multi- words meaning be understood according to the context be use. Hence, some of the metaphorical meanings of the dons clause are not mentioned in the interpretation of al-Alusy, including: the petition and the wish sentences.

قائمة المحتويات

الرقم	الموضوع	رقم الصفحة
١	البسملة	أ
٢	الآية	ب
٣	الإهداء	ج
٤	الشكر والعرفان	د
٥	خلاصة البحث	هـ
٦	Abstract	و
٨	قائمة المحتويات	ز
٩	المقدمة	١
١٠	التمهيد	١٠
الفصل الأول: **مفهوم الجملة الطلبية في اللغة العربية**		
١١	المبحث الأول : مفهوم الجملة في اللغة والاصطلاح	١٩
١٢	المبحث الثاني : مفهوم الطلب في اللغة والاصطلاح	٢٧
١٣	المبحث الثالث : تركيب الجملة الطلبية وإعرابها	٣٦
الفصل الثاني أنواع الجملة الطلبية		

١٤	المبحث الأول : جملة الاستفهام	٧٤
١٥	المبحث الثاني : جملة الأمــر	٩٢
١٦	المبحث الثالث : جملة النـهـي	١٠١
١٧	المبحث الرابع : جملة النداء	١٠٨
١٨	المبحث الخامس : جملة التمني	١١٦
الفصل الثالث: الخصائص البلاغية للجملة الطلبية في القرآن الكريم		
١٩	المبحث الأول : الخصائص البلاغية لجملة الاستفهام في القرآن الكريم	١٢٤
٢٠	المبحث الثاني : الخصائص البلاغية لجملة الأمر في القرآن الكريم	١٣٣
٢١	المبحث الثالث : الخصائص البلاغية لجملة النهي في القرآن الكريم	١٤١
٢٢	المبحث الرابع : الخصائص البلاغية لجملة النداء في القرآن الكريم	١٥٠
٢٣	المبحث الخامس : الخصائص البلاغية لجملة التمني في القرآن الكريم	١٦١
الفصل الرابع : بلاغة الجملة الطلبية في تفسير الألوسي		
٢٤	المبحث الأول : بلاغة جملة الاستفهام في تفسير الألوسي	١٦٨
٢٥	المبحث الثاني : بلاغة جملة الأمر في تفسير الألوسي	١٨٣
٢٦	المبحث الثالث : بلاغة جملة النهي في تفسير الألوسي	١٩٨

٢٧	المبحث الرابع : بلاغة جملة النداء في تفسير الألوسي	٢١٢
٢٨	المبحث الخامس : بلاغة جملة التمني في تفسير الألوسي	٢٢١
٢٩	الخاتمة	٢٣١
٣١	النتائج	٢٣١
٣٢	التوصيات	٢٣٣
٣٣	المصادر والمراجع	٢٣٤

مقدمة:

الحمد لله العليم الأعلم الذي علَّم بالقلم ، علَّم الإنسان ما لم يعلم ، والصلاة والسلام على خير البرية ، وأفصح من نطق بالعربية ، وعلى آله وصحبه ومن سار على سنته البهية.

وبعد:

خير وقت قُضِيَ وخير عمر فَنِيَ ما كان في خدمة كتاب الله– عز وجل– قال صلى الله عليه وسلم: (خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه)[1] . ويدخل في ذلك دراسة كل ما يعين على فهمه وتدبره . لذلك تعددت الدراسات حول علومه المتنوعة . ولا سيما بلاغة القرآن الكريم . اتجه المفسرون وعلماء البلاغة إلى التنقيب عن الأسرار البلاغية للقرآن الكريم وإزاحة الستار عنها . ومن ذلك حديثهم عن النظم القرآني وكيفية انتقاء الحروف للكلمة والكلمات للجملة وترتيب الكلمات في الجملة الواحدة والجمل في سياق الآية ، والآيات في سياق السورة . كل ذلك جاء ببناء محكم واختيار عليم خبير ، فلا تجد جملة خبرية أو إنشائية ، ولا تقديماً أو تأخيراً ، ولا حذفاً أو تكراراً ، ولا فصلاً أو وصلاً ، ولا إطناباً أو إيجازاً إلا لمعان بلاغية مقصودة علمها من علمها وجهلها من جهلها .

ولعل هذه الدراسة تكون أحد جداول هذا النهر العذب والمنبع الصافي عن طريق تفسير

---

[1] البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، صحيح البخاري ، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر ، الناشر: دار طوق النجاة ،الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ ، ١٩٢/٦ .

الألوسي والذي دفعني إلى اختيار هذه الدراسة ما يأتي:

١. تفسير الألوسي موسوعة لغوية يحمل بين دفتيه كثيراً من المعاني الطلبية.

٢. توجد معانٍ خفيةٌ للجملة الطلبية لا تدرك إلا بعد تأمل وتدبر فأردت – بعد عون الله– أن أبين ذلك من خلال تفسير الألوسي.

٣. لم تأخذ الجملة الطلبية حظها الكافي في الدراسة البلاغية والنقدية وخصوصاً في القرآن الكريم ، وأغلب البحوث التي وقفت عليها تناولت الجملة الطلبية من جانب النحو. أو تناولتها جزءًا من علم المعاني.

٤. الجملة الطلبية في القرآن لها خصائص بلاغية تحتاج إلى تأمل دقيق للوصول إلى مكنونها.

الدراسات السابقة:

تعددت الكتابة عن الجملة الطلبية في القرآن الكريم من ناحية نحوية وصرفية ، أما من ناحية بلاغية فجاء الحديث عنها ضمن أساليب علم المعاني ، أو تناولها الباحثون بصورة منفردة ، كالحديث عن الاستفهام لوحده أو الأمر لوحده ، أو الأمر والنهي أو غيرها من أساليب الطلب. لذلك جاءت هذه الدراسة استقصاءً لبلاغة الجملة الطلبية في تفسير الألوسي. ومن الدراسات التي تناولت الجملة الطلبية ما يأتي:

١) جهود الألوسي البلاغية من خلال كتابه (روح المعاني) ، وهو بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراة في البلاغة والنقد بجامعة أم درمان الإسلامية ، أعده الطالب : صالح إبراهيم مضوي .

تختلف دراسة مضوي عن هذه الدراسة بأنه تناول الألوان البلاغية بصورة عامة في تفسير الألوسي مُدعِّماً ذلك بما يذكره من إشارات بلاغية ليوضح جهود الألوسي البلاغية. أما هذه الدراسة فتناولت بعض أساليب علم المعاني ألا وهي الجملة الطلبية وبلاغتها من خلال هذا التفسير.

٢) أساليب المعاني في تفسير أبي السعود (دراسة بلاغية تحليلية) ، وهي رسالة مقدمة إلى جامعة أم درمان الإسلامية لنيل درجة الدكتوراة في البلاغة والنقد ، أعدها الطالب: نور الدين محمد باشا . تختلف دراسة نور الدين عن هذه الدراسة في أنه تناول أساليب المعاني جميعها من خلال تفسير أبي السعود ، أما هذه الدراسة تناولت بعض أساليب المعاني من خلال تفسير الألوسي.

٣) الأساليب الإنشائية في النحو العربي تأليف عبد السلام محمد هارون ، نشرته مكتبة الخانجي بالقاهرة عام ١٤٢١هـ.

تختلف دراسة هارون عن هذه الدراسة في أنه تناول جميع الأساليب الإنشائية وتناولت هذه الدراسة الأساليب الطلبية . ودرس هارون الأساليب الإنشائية من جانب النحو ، وجاءت هذه الدراسة من ناحية بلاغية.

٤) أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين للدكتور قيس إسماعيل الأوسي ، نشرته المكتبة الوطنية ببغداد عام ١٩٨٨م.

تناول الأوسي الجملة الطلبية من جانب البلاغة ومن جانب النحو مع أن هذه الدراسة تناولت الجملة الطلبية من جانب البلاغة في تفسير الألوسي.

٥) صور الأمر في العربية بين التنظير والاستعمال، للدكتور سعود أبو تاكي،نشرته دار غريب عام ١٤٢٦هـ .

تختلف هذه الدراسة عن دراسة تاكي في أنه تناول صور الأمر بينما جاءت هذه الدراسة عن الجملة الطلبية بجميع أنواعها . وتتفق معه في أن الأمر جزء من الطلب.

٦) الأمر والنهي و ما يتوقف عليه المطلوب ، علي مصطفى رمضان .

تختلف دراسة رمضان عن هذه الدراسة في أنها تتحدث عن دلالة الأمر والنهي وما يترتب عليهما إيجاباً وسلباً ، وهي أقرب إلى علم الأصول منها إلى علم البلاغة.

٧) أساليب الاستفهام في البحث البلاغي وأسرارها في القرآن الكريم ، وهي رسالة قدمت لنيل درجة الدكتوراة في اللغة العربية ، الجامعة الإسلامية العالمية – باكستان، ٢٠٠٧م ، وهي للطالب محمد إبراهيم محمد شريف (البلخي) .

تتفق دراسة البلخي مع هذه الدراسة في تناول الاستفهام من ناحية بلاغية في القرآن الكريم. وتختلف معها في أنها تناولت جزءاً من الطلب.

٨) الأساليب الإنشائية في شعر لبيد بن ربيعة (مواقعها ودلالاتها) وهي رسالة قدمت لنيل درجة الماجستير في البلاغة والنقد . أعدتها الطالبة : بدرية منور العتيبي ، جامعة أم القرى – كلية اللغة العربية وآدابها، عام ١٤٣٠هـ.

تختلف دراسة بدرية عن هذه الدراسة في كونها تناولت جميع الأساليب الإنشائية بينما تناولت هذه الدراسة الأساليب الطلبية .و التطبيق عند بدرية على شعر لبيد بن ربيعة وتطبيق هذه الدراسة على تفسير الألوسي.

٩) الجملة الطلبية في القرآن الكريم (دراسة نحوية نظرية وتطبيقية) ، وهي رسالة قدمت لنيل درجة الكتوراة في اللغة العربية ، جامعة أم القرى – كلية اللغة العربية ، عام ١٤٣٠هـ.

للطالب: محمد بن عبد الله بن صويلح المالكي .

تتفق دراسة صويلح مع هذه الدراسة في أن كل منهما تناول الجملة الطلبية . وتختلف عنها في أن صويلح تناول الجملة الطلبية من ناحية نحوية نظرية وطبقها على القرآن الكريم . بينما تناولت هذه الدراسة الجملة الطلبية من ناحية بلاغية ثم تطبيقها على تفسير الألوسي.

أهمية الدراسة :

١. ارتباط الدراسة بتفسير القرآن الكريم .

٢. تساعد هذه الدراسة على فهم المعاني الطلبية – الواردة في القرآن الكريم– بطريقة علمية ، والكشف عن المعاني الأخرى التي تحتملها هذه الجملة.

٣. تكشف عن الخصائص البلاغية للجملة الطلبية .

مشكلة الدراسة :

يتضح من عنوان الدراسة أن القضية المراد توضيحها هي : معرفة كيفية تحليل الألوسي للجملة الطلبية من الناحية البلاغية . وهذه القضية لها تبعات يمكن أن تتفرع على الأسئلة الآتية:

١- ما الفائدة التي نجنيها من استخدام الجملة الطلبية ؟

٢- ما أنواع الجملة الطلبية الواردة في تفسير الألوسي ؟

٣-كيف حلل الألوسي الجملة الطلبية ؟

٤- هل تناول الألوسي الجملة الطلبية من الناحية البلاغية ؟

٥- هل قسم الألوسي الجملة الطلبية إلى حقيقية ومجازية ؟

٦- ما الأغراض البلاغية التي تحملها الجملة الطلبية ؟

أهداف الدراسة: تتمثل أهداف هذه الدراسة فيما يأتي:

١. إبراز بلاغة القرآن الكريم في استخدام أسلوب الطلب لتحقيق غاياته وأهدافه.

٢. الكشف عن معاني الجملة الطلبية التي وردت في تفسير الألوسي.

٣. الوقوف على الخصائص البلاغية للجملة الطلبية في سياق القرآن الكريم ، وكيفية تحليلها لدى الألوسي.

٤. عقد مقارنة أو مقاربة بين أقوال العلماء في أنواع الجملة الطلبية.

حدود الدراسة:

قصرت هذه الدراسة على الجملة الطلبية في تفسير الألوسي المسمى (روح المعاني) . وتناولت الدراسة الجملة الطلبية من الناحية البلاغية وعدم التطرق لها من ناحية التركيب(النحو).

منهج الدراسة :

المنهج الذي اتبعته في هذه الدراسة هو المنهج الاستقرائي والوصفي التحليلي ، مع الاستعانة بالمنهج التاريخي لأن طبيعة الدراسة تتطلب ذلك ، لكي نصل إلى معرفة الجمل الطلبية الواردة في تفسير الألوسي ومن ثم تحليل تلك الجمل ومعرفة خصائصها البلاغية .

هيكل الدراسة :

تمهيد:

وهو ترجمة لأبي الثناء الألوسي وأقوال العلماء في تفسيره .

الفصل الأول : مفهوم الجملة الطلبية في اللغة العربية .

المبحث الأول : مفهوم الجملة في اللغة والاصطلاح

المبحث الثاني : مفهوم الطلب في اللغة والاصطلاح

المبحث الثالث : تركيب الجملة الطلبية وإعرابها

الفصل الثاني : أنواع الجملة الطلبية .

المبحث الأول : جملة الاستفهام .

المبحث الثاني : جملة الأمر .

المبحث الثالث : جملة النهي .

المبحث الرابع : جملة النداء .

المبحث الخامس : جملة التمني .

الفصل الثالث : الخصائص البلاغية للجملة الطلبية في القرآن الكريم:

المبحث الأول : الخصائص البلاغية لجملة الاستفهام في القرآن الكريم .

المبحث الثاني : الخصائص البلاغية لجملة الأمر في القرآن الكريم .

المبحث الثالث : الخصائص البلاغية لجملة النهي في القرآن الكريم .

المبحث الرابع : الخصائص البلاغية لجملة النداء في القرآن الكريم .

المبحث الخامس : الخصائص البلاغية لجملة التمني في القرآن الكريم .

الفصل الرابع : بلاغة الجملة الطلبية في تفسير الألوسي .

المبحث الأول : بلاغة جملة الاستفهام في تفسير الألوسي.

المبحث الثاني : بلاغة جملة الأمر في تفسير الألوسي .

المبحث الثالث : بلاغة جملة النهي في تفسير الألوسي .

المبحث الرابع : بلاغة جملة النداء في تفسير الألوسي .

المبحث الخامس : بلاغة جملة التمني في تفسير الألوسي .

الخاتمة: وتحتوي على أهم النتائج والتوصيات.

المصادر والمراجع:

والله ولي التوفيق فله الحمد أولاً وأخيراً

الفـــصـــــل الأول

مـفـهـوم الـجـمـلـة الـطـلـبـيـة فـي الـلـغـة الـعـربـيـة

المبحث الأول : مفهوم الجملة في اللغة والاصطلاح

المبحث الثاني : مفهوم الطلب في اللغة والاصطلاح

المبحث الثالث : تركيب الجملة الطلبية وإعرابها

تمهيد:

ترجمة أبي الثناء الألوسي

نلخص شيئاً من مناقب الألوسي بقدر ما يضعنا في طريق معرفته قد ملأت سيرته كتب التراجم بل أُلِّفَتْ كتب في مناقبه منها: حديقة الورود في مدائح أبي الثناء شهاب الدين محمود. قال أبو المعالي عن هذا الكتاب:" وقد تضمن من أزهار مدائحه –قدست روحه– كل منقبة عالية ، وتكفل من نشر أريج فضائله بكل فضيلة غالية . وقد انتظمت في سلكه الدراري والدرر "[1]

الاسم والكنية والنسبة:

هو محمود شهاب الدين أبو الثناء بن عبد الله بن محمود بن درويش بن عاشور بن محمد بن ناصر الدين ينتهي نسبه إلى سبطي فاطمة بنت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– . قال القِنَّوجي:" ينتهي نسبه الشريف من جهة الأب إلى الحسين، ومن جهة الأم إلى الحسن – رضي الله عنهما – بواسطة الشيخ الرباني السيد عبد القادر الجيلاني – قدس سره –"[2] . وقال أبو المعالي:" ينتهي نسبه الذكي الزكي إلى الريحانتين ، فمن جهة أمه إلى الحسن ومن جهة أبيه إلى الحسين ، ويلحق نسب أمه إلى ذلك بجناح الباز الأشهب"[3]. وتتبع نسبه

---

[1] أبوالمعالي: محمود شكري الألوسي ، المسك الأذفر ، مطبعة الآداب ، بغداد ، ١٣٤٨هـ - ١٩٣٠م ، ص٧ .
[2] القِنَّوجي : أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي ، التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول ، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م ، ص ٥٠٨ .
[3] أبو المعالي : المسك الأذفر ، ص ٣ .

الشاعر عبد الباقي العمري ونظمه شعراً. في ما نقله الأثري[1]. قال:

السيد(المحمود) في الخصـــال سليل(عبد الله) ذي الأفضال

أبوه(محمود) بن (درويش)الذي ينمي (لعاشور) غياث اللائذ

ابن(مـحـمـد) سـلـيـل (نـاصـر الدين) ينمي(للحسين) الطاهر

ابن(علي)بن(الحسين)المعتزي إلى(كمال الدين) ذي التعزُّز

سليل(شمس الدين)ذي التبيين ابن (محمد) بن (شمس الدين)

سليل(حارس) لشمس الديـن يعزى وذا نجل (شهاب الدين)

ابن(أبي القاسم) طاهر النسب ابن (أمـيـر) ذاك بـاهر الحسب

ابن (مـحـمـد) إلى (بـيـدار) يعزى كما قد جاء في الأخـبـار

وجاء من بعد أبيه(عيسـى) (محمد) بن (أحمد) بن (موسى)

و(أحمد) من بعده (محـمـد) و(أحمد الأعرج) فـهـو السـيـد

ينمي إلى الشهير (بالمبرقع موسى) إلى الجواد فانمه وَرِعِ

ابن(الرضـي)أبوه(موسى الكاظم) أبـوه (جـعـفـر) الإمـام العـالـم

ابن (محمد) الإمام (الـبـاقـر) سـلـيـل زيـــن العابدين الطاهر

نجل (الحسين) السبط عالي الهمم ريـحـانـة الـهادي شـفيع الأمـم

نجل (علي) الصهر ذي المفاخر حاز الـعلا من كابر عن كابر

---

[1] الأثري : محمد بهجت الاثري ، أعلام العراق ، المطبعة السلفية –دار الكتب البصرية – ،١٣٤٥هـ ، ص١١.

وأمـــه (فـاطـــمـــة) البتـــول بضعة (طه) المجتبى الـرســول

صـلـى عـلـيـه الملك الـوهَّـاب ما اتصلت بين الورى الأنـســاب

اشتهر بالألوسي نسبة إلى مدينة ألوس وهي جزيرة في وسط نهر الفرات في محافظة الأنبار حالياً ، إذ فرّ إليها جد هذه الأسرة من وجه هولاكو التتري عندما دهم بغداد، فنسب إليها[١]. وقال الأثري:" تنسب هذه الأسرة إلى (ألوس) بالقصر –على الأصح– وهي على الفرات ، قرب عانات "[٢].

أما كنيته –أبو الثناء– لم أقف على سبب لها . لكن على ما يبدو أنها تطلق على من تسمى باسم محمود ممن سبقه من العلماء . ومن هؤلاء: أبو الثناء محمود بن علي الدقوقي ، ومنهم أبو الثناء محمود بن عبد المؤمن الواسطي ، ومنهم أبو الثناء محمود بن علي القاشي ، ومنهم أبو الثناء محمود بن عمر بن محمد الشيباني ، ومنهم أبو الثناء محمود بن محمد بن نوري ، ومنهم أبو الثناء محمود بن مسعود العراقي[٣]. وغيرهم كثير ولعل الألوسي كنوه بذلك تيمناً بهؤلاء .

الميلاد والنشأة:

ولد أبو الثناء الألوسي بمدينة بغداد في الرابع عشر من شعبان ١٢١٧هـ .الموافق١٨٠٢م[٤]

---

[١] الزركلي : خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس ، الأعلام ، الناشر: دار العلم للملايين ، الطبعة الخامسة عشرة ، مايو ٢٠٠٢ م ١٧٦/٧ .

[٢] الأثري : ، أعلام العراق ، ص٧ .

[٣] بتصرف / ابن الفوطي : كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد المعروف بابن الفوطي ، مجمع الآداب في معجم الألقاب ، تحقيق: محمد الكاظم الناشر: مؤسسة الطباعة والنشر- وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ ، ص ١٩٥ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٩ ، ٣٩٦ .

[٤] كحالة : عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٤١٤هـ ، ٨١٥/٣ .

اهتم والده بتربيته وتنشئته على علوم اللغة والدين فحفظ الآجرومية، وألفية بن مالك ، والمنظومة الرحيبة في علم الفرائض ، وقرأ غاية الاختصار في فقه الشافعية . وكل ذلك على يد والده قبل بلوغ السابعة من عمره . ولما بلغ العاشرة من عمره أذن له بالأخذ عن غيره فأتم دروسه على كثير من علماء عصره[١].

كان أحد أفراد الدنيا بقول الحق، واتباع الصدق، وحب السنن، وتجنب الفتن، حتى جاء مجددًا، وللدين الحنيف مسددًا.

وكان جُلُّ ميله إلى خدمة كتاب الله، وحديثِ جدِّه رسولِ الله – صلى الله عليه وسلم –؛ لأنهما المشتملان على جميع العلوم، وإليهما المرجعُ في المنطوق والمفهوم، وكان غاية في الحرص على تزايد علمه، وتوفير نصيبه منه وسهمه، وكان كثيرًا ما ينشد:

سَهَرِي لتنقيحِ العلومِ أَلَذُّ لي منْ وَصْلِ غانيةٍ وطيبِ عِناقِ

اشتغل بالتدريس والتأليف وهو ابن ثلاث عشرة سنة، ودرَّس ووعظ، وأفتى للحنفية في بغداد المحمية، وأكثرَ من إملاء الخطب والرسائل، والفتاوى والمسائل، وخطه كأنه اللؤلؤ والمرجان، أو العقود في أجياد الحسان[٢].

نشأ الألوسي عالمًا باختلاف المذاهب ، مطلعًا على المِلَل والنِّحَل والغرائب، سلفيَّ الاعتقاد، شافعيَّ المذهب كآبائه الأمجاد، إلا أنه في كثير من المسائل يقتدي بالإمام الأعظم[*]، ثم

---

[١] كحالة : معجم المؤلفين ٨١٥/٣ .
[٢] القنوجي : التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول ، ص ٥٠٨ .
[*] الإمام الأعظم لقب يطلق على الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله عنه . (انظر: تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار ٤٤٨/١).

في آخر أمره مال إلى الاجتهاد، كأمثاله من العلماء النقاد[١].

بعض شيوخ أبي الثناء الألوسي:

تتلمذ الألوسي على يد عدد من الشيوخ بعد والده منهم: الشيخ الملا حسين الجبوري أخذ عنه (القرآن العظيم) . ومنهم: السيد علي بن السيد أحمد وهو ابن عمه قرأ عليه (شرح القوشجي للرسالة الوضعية العضدية). ومنهم: ملا درويش بن عرب خضر ، قرأ عليه (حواشي الرسالة المذكورة)، للفاضل مير أبو الفتح مع حواشيه المشهورة، وكذا آداب المسعودي . ومنهم : علاء الدين أفندي الموصلي ، قرأ عليه (شرح عصام للرسالة الوضعية) ولم يزل يقرأ عليه إلى أن تخرج به وتأدب بأدبه . ومنهم : الشيخ علي أفندي السويدي ، قرأ عليه (شرح النخبة) ، للحافظ ابن حجر العسقلاني. وغيرهم كثير فهذا غيض من فيض لبعض شيوخه ومعلميه[٢].

مؤلفات أبي الثناء الألوسي:

ارتحل الألوسي وخلَّف وراءه كمَّاً هائلاً من الكنوز العلمية ، قال أبو المعالي:" لم يكن من يدانيه في نثره من جميع أهل زمانه وأبناء عصره ، وكان فيه الآية الكبرى والمعجزة العظمى ، وكان في براعة الاستهلال وبلاغة الإنشاء مما لا يرى له قرين فيه في جميع الأرجاء ، وكان نسيج وحده في قوة التحرير وغزارة الإملاء وجزالة التعبير وكلامه كله عفو الساعة

---

[١] القنوجي : التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول ، ص ٥٠٨ .
[٢] بتصرف/ أبو الثناء الألوسي : غرائب الاغتراب ونزهة الألباب في الذهاب والإقامة والإياب ، ص ٣، ٤، ٨ .

وفيض القريحة ومسارقة القلم ومسابقة اليد ومجاراة الخاطر للناظر ومباراة الطبع للسمع كأنما جمع الكلام لديه وأحضرت المعاني بين يديه "[1].

بعض مؤلفاته:

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني .
- الأجوبة العراقية عن الأسئلة اللاهورية .
- نهج السلامة إلى مباحث الإمامة .
- النفحات القدسية في الرد على الإمامية .
- شرح البرهان في إطاعة السلطان .
- الطراز المذهب في شرح قصيدة مدح الباز الأشهب .
- غرائب الاغتراب ونزهة الألباب في الذهاب والإقامة والإياب .
- نشوة الشمول في السفر إلى إسلام بول .
- حاشية شرح قطر الندى في النحو .

وفاته:

حينما رجع الألوسي إلى وطنه بعد غياب دام أكثر من عشرين شهراً أصابته الحمَّى النافض إثر مطر شديد أصابه[2]. وعند شعوره بشدة المرض نظم قوله:

---

[1] أبو المعالي : المسك الأذفر ، ص ١١ .
[2] بتصرف / الأثري : أعلام العراق ، ص ٢٧ .

يا رب ما حبي الحياة للـذة أقضي بها زمني الخؤون المعتدي

لكـنـما حبـي لذلـك رغبـة فـي أن أجدد ديـن جـــدي أحـمـد

وأذود عنه من يحاول نقصـه ذود الغـيور بـمزبـري وبـمذودي

وأبث علماً في معالمه الهدى فـأزيـل حـالـك شبـهـة المـتـردد

فامنن على جسمي الضعيف بنظرة تشفيه من لأوآء سقم مجـهـد

فالكل عن تشخيص دائي عاجز فمتى أراد علاجه لا يهتدي[1]

وقد توفى رحمه الله فى يوم الجمعة الخامس والعشرين من ذى القعدة سنة ١٢٧٠ هـ (سبعين ومائتين بعد الألف من الهجرة) ، ودُفن مع أهله فى مقبرة الشيخ معروف الكرخى فى الكرخ، فرضى الله عنه[2].

هذه قبسات من ترجمة أبي الثناء الألوسي لعلها تضيئ الطريق لمن يريد التعمق في معرفة سيرته .

أقوال العلماء عن تفسير الألوسي:

يبدو أن الألوسي مهتم بمعرفة دقائق القرآن منذ صغره ، قال:" وإني –ولله تعالى المنة– مذ ميطت عني التمائم، ونيطت على رأسي العمائم لم أزل متطلباً لاستكشاف سره المكتوم، مترقباً لارتشاف رحيقه المختوم طالما فرقت نومي لجمع شوارده وفارقت قومي لوصال خرائده. فلو رأيتني وأنا أصافح بالجبين صفحات الكتاب من السهر، وأطالع– إن أعوز الشمع

---

[1] أبو المعالي : المسك الأذفر ، ص ١٠.

[2] الذهبي : محمد السيد حسين الذهبي ، التفسير والمفسرون ، الناشر : مكتبة وهبة – القاهرة ، ٢٥١/١ .

يوماً– على نور القمر، في كثير من ليالي الشهر وأمثالي إذ ذاك يرفلون في مطارف اللهو. ويرقلون في ميادين الزهو. ويؤثرون مسرات الأشباح على لذات الأرواح. ويهبون نفائس الأوقات، لنهب خسائس الشهوات. وأنا مع حداثة سني وضيق عطني لا تغرني حالهم ولا تغيرني أفعالهم. كأن لبني لبانتي، ووصال سعدي سعادتي. حتى وقفت على كثير من حقائقه، ووفقت لحل وفير من دقائقه. وثقبت– والثناء لله تعالى– من دره بقلم فكري درا مثمنا ولا بدع فأنا من فضل الله الشهاب وأبو الثناء"[1].

قال الذهبي :" ثم إن هذا التفسير – والحق يقال – قد أفرغ فيه مؤلفه وسعه، وبذل مجهوده حتى أخرجه للناس كتاباً جامعاً لآراء السَلَف رواية ودراية، مشتملاً على أقوال الخَلَف بكل أمانة وعناية، فهو جامع لخلاصة كل ما سبقه من التفاسير، فتراه ينقل لك عن تفسير ابن عطية، وتفسير أبى حيان، وتفسير الكشاف، وتفسير أبى السعود، وتفسير البيضاوى، وتفسير الفخر الرازى، وغيرها من كتب التفسير المعتبرة... وهو إذ ينقل عن هذه التفاسير ينصب نفسه حَكَماً عدلاً بينها، ويجعل من نفسه نقَّاداً مُدققاً، ثم يبدى رأيه حراً فيما ينقل، فتراه كثيراً ما يعترض على ما ينقله عن أبى السعود، أو عن البيضاوى، أو عن أبى حيان، أو عن غيرهم. كما تراه يتعقب الفخر الرازى فى كثير من المسائل، ويرد عليه على الخصوص فى بعض المسائل الفقهية، انتصاراً منه لمذهب أبى حنيفة، ثم إنه إذا استصوب رأياً لبعض مَن

---

[1] الألوسي : روح المعاني ٤/١ .

ينقل عنهم، انتصر له ورجَّحَه على ما عداه"[١]. وقال عنه ابن عاشور:" والتفاسير وإن كانت كثيرة فإنك لا تجد الكثير منها إلا عالة على كلام سابق بحيث لا حظ لمؤلفه إلا الجمع على تفاوت بين اختصار وتطويل. وإن أهم التفاسير تفسير (الكشاف) و (المحرر الوجيز)... و(تفسير الشهاب الألوسي)"[٢].

وقال عنه أبو المعالي:"وله من جليل المؤلفات ما يشهد بأنه نال في العلم أقصى الغايات منها : –وهو أعظمها قدراً وأجلها فخراً– تفسيره للقرآن العظيم والسبع المثاني، المسمى بروح المعاني . فهو وخالق الإنس والجان كتاب لم يئن لعين في مرآة الزمان ، قد بلغ تسع مجلدات ضخام. جمعت من الدقائق والحقائق ما لا يسع شرحه كلام ، وقد تعقب فيه على الفخر الرازي في كثير من المسائل ورده منتصراً للإمام الأعظم بأوضح الدلائل وأيد فيه مذهب السلف الأسلم بل الأعلم الأحكم"[٣].

---

[١] الذهبي : التفسير والمفسرون ١/ ٢٥٣ .
[٢] ابن عاشور : التحرير والتنوير ٧/١.
[٣] أبو المعالي: المسك الأذفر ، ص ١٦ .

المبحث الأول

مفهوم الجملة في اللغة والاصطلاح

أولاً: الجملة في اللغة:

كلمة جُمْلَة هي مصدر الفعل (جَمَلَ يَجْمُلُ جَمْلاً وجُمْلَةً)[*] قال ابن فارس: الجيم والميم واللام أَصلان: أحدهما تَجَمُّع وعِظَم الخَلْق، والآخر حُسْنٌ.

فالأول قولك: أجملت الشيء، وهذه جملة الشيء. وأجملته حصلته. قال الله تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ ﴾{ الفرقان: ٣٢ } .

ويجوز أن يكون الجَمَلُ من هذا ؛ لعظم خلقه. والجَمَلُ[**]: حبل غليظ، وهو من هذا أيضاً. ويقال أجمل القوم كثرت جمالهم. والجمالي: الرجل العظيم الخَلْق، كأنه شُبِّه بالجَمَل ؛ وكذلك ناقة جمالية. قال الفراء : (جمالات)[***] جمع جمل. والجمالات: ما جمع من الحبال والقلوس[****].

والأصل الآخر الجمال، وهو ضد القبح. ورجل جميل وجمال. قال ابن قتيبة : أصله من الجميل وهو ودك الشحم المذاب. يراد أن ماء السمن يجري في وجهه. ويقال جمالك أن

---

[*] مصدر سماعي لا يقاس عليه نحو : نَصَرَ يَنْصُرُ نَصْرَاً ونُصْرَةً . انظر: (المفتاح في الصرف ، لعبد القاهر الجرجاني ، تحقيق: علي توفيق الحَمَد- جامعة اليرموك ، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط١ ، ١٤٠٧هـ ، ص٦٧).

[**] يقصد بالجمل هنا الذي ذكر في قوله تعالى:(حتى يلج الجمل في سم الخياط) عند من قال أن الجمل هو حبل السفينة .

[***] وردت في قوله تعالى : (إنها ترمي بشرر كالقصر كأنه جمالات صفر) في قراءة من قرأ (جمالات).

[****] جمع القَلَس: حبل ضخم من ليف أو خوص، أو هو حبل غليظ من غيرهما، من قلوس سفن البحر.(انظر: الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ٣٩١/١٦).

تفعل كذا، أي: اجْمِلْ ولا تفعله. قال أبو ذؤيب:[1]

جمالك أيها القلب الجريح ستلقى من تحب فتستريح

وقالت امرأة لابنتها: " تجملي وتعففي " أي كلي الجميل واشربي الْعُفَافَةَ، وهي البقية من اللبن"[2].

وقال الفيروز آبادي " جَمَلَ: جَمَعَ، وجمل الشّحم: أذابه، كأجمله واجتمله. وأجمل في الطَّلَبِ: اتَّأَدَ واعتدل فلم يُفْرِطْ، وجمل الشيء: جَمَعَه عن تفرقة، وجَمَلَ الحساب: رَدَّهُ إلى الجُمْلَةِ... والجُمْلَةُ بالضم: جماعةُ الشيء"[3].

وقال ابن منظور : " الجُمْلة: واحدة الجُمَل. والجملة: جماعة الشيء. وأجمل الشيء: جمعه عن تفرقة؛ وأجمل له الحساب كذلك. والجملة: جماعة كل شيء بكماله من الحساب وغيره. يقال: أجملت له الحساب والكلام؛ قال الله تعالى: ﴿ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ ﴾{ الفرقان: ٣٢ } ؛ وقد أجملت الحساب إذا رددته إلى الجملة. وفي حديث القدر: (كتاب فيه أسماء أهل الجنة والنار أُجْمِل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص)[4]؛ وأجملت الحساب إذا جمعت آحاده وكملت أفراده، أي أُحصوا وجُمِعوا فلا يزاد فيهم ولا ينقص".[5]

---

(١) البيت لأبي ذؤيب الهذلي في ديوانه ، تحقيق: أحمد خليل الشال ، ص٩٩ . وفي رواية الديوان: جمالك أيها القلب القريح...

(٢) ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني ، مقاييس اللغة ، تحقيق: عبد السلام محمد هرون ، الناشر: دار الفكر ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ٤٨١/١ .

(٣) الفيروز آبادي : مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط ، تحقيق : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان ، ط٨ ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م ، ص٩٨٠ .

(٤) الحديث في سنن الترمزي : تحقيق : إبراهيم عطوة عوض ، الناشر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر ، ط٢ ، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م ، ٤٤٩/٤ .

(٥) ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي جمال الدين بن منظور ، لسان العرب ، الناشر: دار صادر – بيروت ، ط٣ ، ١٤١٤هـ ، ١١ /١٢٨ .

وقال الزبيدي في هذا المعنى : " جَمَلَ يَجْمُل جملا: إذا جمع. جمل الشحم يجمله جملا: أذابه ومنه الحديث: (لعن الله اليهود، حُرِّمت عليهم الشحوم فجملوها وباعوها) [١] أي: أذابوها. ودعت امرأة على رجل: جَمَلَك الله: أي أذابك كما يذاب الشحم. كأجمله . قال الفراء:جَمَلَ أجود، قال لبيد رضي الله عنه:[٢]

وغلام أرسلته أمه بألوك فبذلنا ما سأل[*]

أو نهته فأتاه رزقه فاشتوى ليلة ريح واجتمل

وأجمل الشّيء: جمعه عن تفْرِقَة. أجمل الحساب والكلام: رَدَّه إلى الجملة ثم فصَّله وبَيَّنه. أجمل الصَّنِعة: حَسَّنها وكَثَّرها[٣]. وقال بن سيدة : " جَمَل الشَّيء: جمعه. والجميل: الشَّحْم يذاب ثم يجمل، أَي يجمع. وقيل: الجمِيل: الشّحم يذاب فكلما قطر وكف على الخبز ثم أُعِيد. وقد جمله يَجْمُله جَمْلا، وأَجْمَله: أذابه"[٤].

من خلال هذه الأقوال وتتبع مادة (ج م ل) في المعاجم والمصادر المختلفة نخلص إلى أن هذه المادة لها عدة معانٍ ترجع إلى أصلين هما: تجمع الشيء وضخامته ، وحسن الشيء وجماله ؛ فكل كلمة مشتقة من هذه المادة فمعناها إما التجمع والعظمة وإما الجمال؛ والذي يتبادر إلى الذهن أن الجيم والميم واللام لها أصل واحد وهو تجمع الشيء؛ فسمي البعير

---

(١) الحديث في صحيح البخاري ، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر ، الناشر: دار طوق النجاة ، ط١ ، ١٤٢٢هـ ، ٨٢/٣ .

(٢) البيتان للبيد بن ربيعة العامري في ديوانه ، اعتنى به: حمدو طمّاس ، الناشر: دار المعرفة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م ، ص٩١.

(*) الألوك هي الرسالة . انظر: (القاموس المحيط ، ص٩٣٢). والمعنى : أرسلته أمه برسالة ونهته من السؤال حياءً فأعطوه شواء أكل منه وانتفع بشحمه .

(٣) الزبيدي: محمد بن محمد بن عبد الرازق الحسيني ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق: مجموعة من المحققين ، الناشر: دار الهداية، ٢٨/ ٢٣٧ .

(٤) ابن سيدة : أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي ، المحكم والمحيط الأعظم ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ، ٤٥١/٧ .

جملاً لاجتماع الضخامة في جميع أعضائه ؛ فجميع أعضائه ضخمة والذي يؤكد هذا المعنى قولهم:(لا يسمى الجمل جملاً إلا إذا أربع)[١]. وقال الخليل[*]:" الجمل يستحق هذا الاسم إذا بزل"[٢] وسميت الجملة جملة لاجتماع أشياء مع بعضها. والجمال هو اجتماع الصفات الحسنة في شيء ما. وهكذا في بقية المعاني.

ثانياً:الجملة في الاصطلاح:

كان مصطلح الجملة مرادفاً لمعنى الكلام فأطلق سيبويه على الجملة لفظ الكلام قال: " هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة. فمنه مستقيم حسنٌ ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب. فأما المستقيم الحسن فقولك: أتيتُك أمْسِ وسآتيك غداً، وسآتيك أمس. وأما المستقيم الكذب فقولك: حَمَلتُ الجبلَ، وشربت ماء البحر وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيدا رأيت، وكي زيدا يأتيك، وأشباه هذا. وأما المحال الكذب فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس. "[٣].

فلفظ الكلام هنا بمعنى الجملة . والأمثلة التي أوردها سيبويه كلها جمل مستقيمة التركيب وإن تباين معناها فالجملة المستقيمة التركيب ومعناها حسن كقول القائل: (أتيتك أمس) والمستقيمة التركيب ومعناها محال أو كذب كقول القائل: (سآتيك أمس) و(شربت ماء البحر، وحملت

---

(١) انظر : لسان العرب ، ١٢٣/١١ . وأساس البلاغة ، ١٤٩/١.

(*)هو أبو عبد الرحمن بن أحمد بن عمرو بن تميم الفَراهيديُّ. وكان يونس يقول: الفُرْهوديّ مثل قُرْدُوس؛ وهو حيٌّ من الأزد ، وتوفي الخليل –رحمه الله– سنة سبعين ومئة. وقالوا: سنة خمس وسبعين، وهو ابن أربع وسبعين سنة.(انظر: طبقات النحويين واللغويين ، ص٥١

(٢) الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين ، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ، الناشر: دار ومكتبة الهلال ،٦ /١٤١.

(٣) سيبويه: أبو بشر عمرو عثمان بن قنبر الحارثي ، الكتاب ، تحقيق: عبد السلام محمد هرون ، الناشر: مكتبة الخانجي-القاهرة ، ط٣ ، ١٤٠٨هـ ، ٢٦/١ .

الجبل) وهذا لا يتأتى . وعرَّف ابن مالك الكلام ومثل له بالجملة قال: "كلامنا لفظ مفيد كاستقم"[1] فقوله (استقم) جملة فعلية وهذا يدل على أن الكلام هو الجملة. لأن الكلام لا يكون مفيداً إلا إذا كان جملة.

وهذا ما تضمنه حديث السيوطي عن الكلام قال:" والحاصل أن الكلام لا يتأتى إلا من اسمين أو من اسم وفعل فلا يتأتى من فعلين ولا حرفين ولا اسم وحرف ولا فعل وحرف ولا كلمة واحدة لأن الإفادة إنما تحصل بالإسناد وهو لا بد له من طرفين مسند ومسند إليه؛ والاسم بحسب الوضع يصلح أن يكون مسنداً ومسنداً إليه ، والفعل يصلح لكونه مسنداً لا مسنداً إليه والحرف لا يصلح لأحدهما فالاسمان يكونان كلاما لكون أحدهما مسندا والآخر مسندا إليه ، وكذلك الاسم مع الفعل لكون الفعل مسنداً والاسم مسنداً إليه. والفعلان والفعل والحرف لا مسند إليه فيهما والاسم مع الحرف إما أن يفقد منه المسند أو المسند إليه والحرفان لا مسند إليه فيهما ولا مسند والكلمة لا إسناد فيها بالكلية وزعم ابن طلحة أن الكلمة الواحدة قد تكون كلاماً إذا قامت مقام الكلام كـ(نعم ولا) في الجواب ورد بأن الكلام هو الجملة المقدرة بعدها وزعم أبو علي الفارسي أن الاسم مع الحرف يكون كلاماً في النداء نحو يا زيد وأجيب بأن يا سدت مسد الفعل وهو أدعو أو أنادي وزعم بعضهم أن الفعل مع الحرف يكون كلاماً في نحو (ما قام) بناءً على أن الضمير المستتر لا يعد كلمة"[2]

---

[1] ابن مالك: محمد بن عبد الله بن مالك الطائي ، ألفية ابن مالك ، الناشر: دار التعاون ، د.ت ، ص٩

[2] السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، تحقيق:عبد الحميد هنداوي ، النشر: المكتبة الوقفية – مصر ، بدون ت ط ، ٥٢/١ .

قال ابن جني:" أما الكلام فكل لفظ مستقل بنفسه، مفيد لمعناه. وهو الذي يسميه النحويون الجمل، نحو زيد أخوك، وقام محمد وضُرب سعيد، وفي الدار أبوك، وصه، ومه، ... فكل لفظ استقل بنفسه، وجنيت منه ثمرة معناه فهو كلام "[1] وافقه الزمخشري بقوله: "والكلام هو المركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى. وذاك لا يتأتى إلا في اسمين كقولك: زيد أخوك، وبشر صاحبك. أو في فعل واسم نحو قولك: ضرب زيد، وانطلق بكر. وتسمى الجملة"[2].

ولخص ذلك العكبري بقوله :" الكلام عبارة عن الجملة المفيدة فائدةً تامةً، كقولك: (زيد منطلق)، و (إن تأتني أكرِمْك)، و (قُمْ)، و (صَهْ)،وما كان نحو ذلك"[3].

وندرك مما سبق أن الجملة والكلام مترادفان وهما كل لفظ استقل بنفسه وأفاد معناه.

التحديد الدقيق لمصطلح الجملة:

كثرت التعاريف الاصطلاحية للجملة ومع كثرتها لم تبتعد كثيراً عن معناها اللغوي- جماعة الشيء- لأن الجملة هي اجتماع اسم وفعل ، أو اسم واسم آخر ليعطي معنى مستقلاً بنفسه مفيداً معناه. وأول من استخدم لفظ الجملة بمعناه الاصطلاحي هو المبرد. عندما تحدث عن الفاعل قال: " هذا باب الفاعل وهو الرفع وذلك قولك: قام عبدالله وجلس زيد ، وإنما كان الفاعل رفعاً لأنه هو والفعل جملة يحسن السكوت عليها ، وتجب الفائدة بها للمخاطب ،

---

(1) ابن جني: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي ، الخصائص ، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط٤ ، د.ت ، ١٨/١ .

(2) الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري الملقب بجار الله ، المفصل في صنعة الإعراب ، تحقيق: علي أبو ملحم ، الناشر: مكتبة الهلال – بيروت ، ط١ ، ١٩٩٣م ، ص٢٣ .

(3) العكبري :أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله البغدادي ، التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين ، تحقيق: عبد الرحمن العثيمين ، الناشر: دار الغرب الإسلامي ، ط١ ، ١٤٠٦هـ ، ص١١٣ .

فالفاعل والفعل بمنزلة الابتداء والخبر. إذا قلت قام زيد فهو بمنزلة قولك القائم زيد..."[١]. إذاً الجملة عند المبرد هي كل كلام يحسن السكوت عليه ويعطي فائدة.

أما الشريف الجرجاني فقد تعمق أكثر من ذلك فهو يرى أن الجملة أعم من الكلام قال: "الجملة: عبارة عن مركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى، سواء أفاد؛ كقولك: زيد قائم، أم لم يفد؛ كقولك: إن يكرمني؛ فإنه جملة لا تفيد إلا بعد مجيء جوابه؛ فتكون الجملة أعم من الكلام مطلقًا"[٢] . وأيَّد ذلك أبو البقاء الحنفي بقوله " الجملة: هي أعم من الكلام على الاصطلاح المشهور، لأن الكلام ما تضمن الإسناد الأصلي، سواء كان مقصودا لذاته أو لا فالمصدر والصفات المسندة إلى فاعليها ليست كلاماً ولا جملةً لأن إسنادها ليس أصلاً. والجملة الواقعة خبراً أو وصفاً أو حالاً أو شرطاً أو صلةً أو نحو ذلك هي جملة وليست بكلام، لأن إسنادها ليس مقصوداً لذاته وكل جملة خبرية فضلة بعد نكرة محضة فهي صفة، وبعد معرفة محضة حال، وبعد غير محضة منهما تحتملهما، إلا إذا تعين أحدهما أو غيرهما بدليل"[٣] . وقال ابن هشام: "الجملة عبارة عن الفعل وفاعله كقام زيد، والمبتدأ وخبره كزيد قائم ، وما كان بمنزلة أحدهما نحو ضُرِب اللص وأقائم الزيدان وكان زيد قائماً وظننته قائماً"[٤] .

---

[١] المبرد: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي أبو العباس ، المقتضب ، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة ، الناشر: عالم الكتب – بيروت ، بدون ت ط ، ٨/١ .

[٢] الشريف الجرجاني: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني ، التعريفات ، تحقيق : جماعة من العلماء ، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت ، ط١ ، ١٤٠٣هـ ، ص٧٨ .

[٣] أبو البقاء : أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي ، الكليات ، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، الناشر : مؤسسة الرسالة- بيروت ، بدون ت ط ، ص٣٤١ .

[٤] ابن هشام: عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، تحقيق: مازن المبارك – محمد علي حمد الله ، الناشر: دار الفكر – دمشق ، ط٦ ، ١٩٨٥م ، ص٤٩٠ .

وخلاصة هذه الأقوال أن الجملة تتوقف على الإسناد فإن وجدنا مسنداً ومسنداً إليه فقد حصلت الجملة وإن كانت غير مفيدة ؛ والكلام يتوقف على الإفادة فأي جملة لا يفيد معناها فهي ليست بكلام وإن تركبت من مسند ومسند إليه .

المبحث الثاني

مفهوم الطلب في اللغة والاصطلاح

أولاً: الطلب في اللغة:

الطلب– بفتح الطاء واللام– هو مصدر الفعل (طلب يطلب) ويعني البحث عن الشيء وابتغاء الحصول عليه . قال تعالى :﴿ فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا ﴾{ الكهف: ٤١ } ومعنى الآية أنك لن تستطيع الحصول على هذا الماء بعد أن غار في الأرض. ومن ذلك قوله تعالى ﴿ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ﴾ {الحج: ٧٣ } . ذُكِر عن ابن عباس أنه قال في تفسير هذه الآية :" الطالب هو الصنم المعبود والمطلوب هو الذباب"[١] وكل مشتقات الطلب لا تخرج عن هذا المعنى. قال ابن فارس: " الطاء واللام والباء أصل واحد يدل على ابتغاء الشيء. يقال: طلبت الشيء أطلبه طلباً. وهذا مطلبي، وهذه طلبتي. وأطلبت فلاناً بما ابتغاه ، أي: أسعفته به. وربما قالوا: أطلبته ، إذا أحوجته إلى الطلب. وأطلب الكلأ: تباعد عن الماء، حتى طلبه القوم، وهو ماء مطلب. قال ذو الرمة[٢]:

أضله راعيا كلبيةٍ صَدَرَا عن مُطْلِبٍ قارب وِرَّاده عصب"[*][٣]

---

[١] الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الآملي ، تفسير الطبري ، تحقيق: أحمد محمد شاكر ، الناشر: مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م ، ج١٨ ، ص٦٨٥ .

[٢] البيت لذي الرمة في ديوانه ، شرح وتقديم: أحمد حسن سبج ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان ، ط١ ، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م ، ص١٩ .

[*]يريد: أن الراعيين أضلا هذا "الجمل". ونسبه إلى كلبٍ لأنه أسود، وهو من جمال "كلبٍ" وجمالهم سودٌ.(انظر: ديوان ذي الرمة ، شرح الباهلي ، ت: عبد القدوس صالح ، ط١ ، ١٩٨٢م ، ١٢١/١)

[٣] ابن فارس: مقاييس اللغة ، ٤١٨/٣.

وقال الفراهيدي:" الطَّلَب: محاولة وجدان الشَّيء. والطِّلبة: ما كان لك عند آخَر من حقٍّ تطالبه به. والمطالبة: أن تُطالب إنساناً بحقٍّ لك عنده، ولا تزال تُطالبه وتتقاضاه بذلك. والغالب في باب الهوى: الطِّلاب والمعنى واحد. والتَّطَلُّبُ: طلب في مهلة من مواضع. وكلأ مُطْلِبٌ: بعيد المطلب، وقد أَطلَبَ الكلأ، أي: تباعد وطلبه القوم. والمُطَّلِب: ابن عبد مَناف"[١]. وذكر الجوهري أن الطلب جمع طالب. واستشهد بقول ذي الرمّة:[٢]

فانصاع جانبه الوحشي وانكدرت يَلْحَبْنَ لا يَأْتَلي المطلوبُ والطلبُ

وطالبه بكذا مطالَبة. والتطلُّبُ: الطلَبُ مرةً بعد أخرى. والطلبة، بكسر اللام: ما طلبته من شئ. وأطلبه، أي: أسعفه بما طلب. وأطْلَبَه، أي: أحوجه إلى الطلب، وهو من الأضداد. ومنه قولهم: أَطْلَب الماء، إذا بعد فلم يُنَل إلا بطلب، يقال ماءٌ مُطْلِبٌ. وكذلك الكلأ وغيره. قال الشاعر:[٣]

أهاجك بَرْقٌ آخر الليل مطلب

ومطلوب اسم موضع"[٤] . والطلب عند ابن منظور يعني محاولة وجدان الشيء وأخذه قال:" ... وتطلَّبه: حاول وجوده وأخذه. والتطلُّب: الطلب مرة بعد أخرى. والتطلب: طلب في مهلة من مواضع. ورجل طالب من قوم طلب وطلاب وطلبة، الأخيرة اسم للجمع. وطلوب من قوم طلب. وطلاب من قوم طلابين. وطليب من قوم طلباء؛ قال مليح الهذلي:

---

[١] الخليل : العين، ٤٣٠/٧

[٢] البيت لذي الرمة في ديوانه ، ص ١٨ .

[٣] البيت من غير نسبة ، في لسان العرب ٥٦٠/١ ، وفي تاج العروس من جواهر القاموس ، ٣ /٢٧٥ .

[٤] الجوهري: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت ، ط٤ ، ١٤٠٧هـ ، ١٧٢/٢ .

فلم تنظري ديناً وليت اقتضاءه ولم ينقلب منكم طليب بطائل

وطلب الشيء: طلبه في مهلة، على ما يجيء عليه هذا النحو بالأغلب."[1] وقال الزمخشري:" طلب الشيء طلباً ومطلباً وطلاباً وطلابة، واطلبه وتطلبه وطالبه، وطالبته بحق لي عليه، ولي عنده طلبة: بغية أو حق تجب مطالبته به وطلب مني فأطلبته: فأسعفته. وأطلبه الفقر: أحوجه إلى الطلب. وأطلب الماء والكلأ: تباعد فطلبه الناس. وماء وكلأ مطلب: بعيد. وبئر طلوب: بعيدة. قال يصف نوقاً:

تصبح بعد الرحلة الطلوب ريحة الأبصار والقلوب

مرتاحة نشيطة للسير. وهؤلاء طلب أعدائهم، وأطلابهم: للجيش الذين يطلبونهم... قال:

فلم يك طبهم جبن ولكن بدا طلب من الأطلاب عالي

قاهر يعلو من ظفر به. وهو طلب فلانة، وهي طلبته، وهو طلب نساء: يطلبنه. ومن المجاز: سمعتهم يقولون: السراج يطلب أن ينطفئ، ويبغي أن يُطْفَأَ، كقوله تعالى:﴿ جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ ﴾ {الكهف: ٧٧}"[2] .

ثانياً: الطلب في الاصطلاح:

لم يختلف المعنى الاصطلاحي للطلب عن المعنى اللغوي كثيراً ، بل يكاد يتفق المعنيان

---

[1] ابن منظور: لسان العرب ٥٥٩/١.

[2] الزمخشري: أساس البلاغة ، تحقيق: محمد باسل عيون السود ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٩هـ ، ٦٠٩/١ .

(اللغوي والاصطلاحي) . فالطلب في الاصطلاح : "هو فعل اختياري لا يتأتى إلا بإرادة متعلقة بخصوصية المطلوب موقوفة على امتيازه عما عداه."[١] والطلب في اللغة:" محاولة وجدان الشيء وأخذه"[٢] فمحاولة وجدان الشيء تعني إرادة ذلك الشيء؛ واختيار فعلٍ لطلب شيءٍ ما أيضاً تعني إرادة هذا الشيء المطلوب . فالإرادة هي قاسم مشترك بين المعنيين. أما الفرق بينهما هو: أن المعنى اللغوي يبحث في لفظ(الطلب) أما المعنى الاصطلاحي يبحث في المعنى الذي استخدم من أجل الطلب . ويتضح ذلك أكثر بالوقوف على أقوال العلماء في الطلب.

اندرج معنى الطلب عند البلاغيين تحت مسمى الإنشاء الطلبي . فهم يقسمون الكلام إلى خبر وإنشاء فالخبر ما احتمل الصدق والكذب كقولنا: ضربت زيداً ، والإنشاء ما لم يحتمل الصدق والكذب كقولنا: اضرب زيداً ولا تضرب عمراً . ويقسمون الإنشاء إلى طلبي وغير طلبي. اتفقت أقوال البلاغيين على هذا التقسيم ولم يخالفهم إلا البرماوي[*] حيث يرى أن الطلب قسم ثالث للكلام فهو يقسم الكلام إلى : خبر وطلب وإنشاء . ووضح ذلك الجوجري[**] بقوله:" إن احتمل التصديق والتكذيب فهو الخبر كـ(قام زيد) وإن لم يحتمل التصديق والتكذيب وتأخر وجود معناه عن لفظه فهو الطلب كـ(اضرب ولاتضرب) وإن لم

---

[١] الحنفي: أيوب بن موسى الحسيني القريمي أبو البقاء ، الكليات ، تحقيق: عدنان درويش- محمد المصري ،الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، بدون ت ط ، ص٥٨٢ .

[٢] ابن منظور : لسان العرب ٥٥٩/١ .

[*] شمس الدين أبوعبد الله محمد بن عبد الدائم البرماوي ، والبرماوي نسبة إلى بِرمة وهي منطقة بمصر ؛ ولد في في ذي القعدة سنة ٧٦٣هـ ، وحفظ القرآن على يد والده . عاش في ظل الدولة العباسية . توفي سنة ٨٣١هـ .(انظر: ترجمته في كتابه اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح ص٢).

[**]شمس الدين محمد بن عبد المنعم بن محمد الجَوجَري القاهري الشافعي (المتوفى: ٨٨٩هـ) ، من قرية جوجر، بالسمنودية.(انظر: الأعلام للزركلي ، ص١٨٨)

يتأخر معناه بل قارن فهو الإنشاء كـ(بعت وأعتقت)"[١] . ورجح الجوجري قول البرماوي بالتثليث بقوله: (المرجع في التقسيم إن كان للاصطلاح فلا مشاحَّة فيه مع أن تكثير الأقسام أفيد لا يحتاج بعد ذكر المطلوب باسمه إلى قرينة . وإن كان للمعنى فمن ثلث القسمة قال: إن التمييز حصل بين الإنشاء والطلب بأن الإنشاء لا خارج له ، ولا اقتضاء فيه ، والطلب فيه اقتضاء وهو واضح ، وله خارج ، لأن النسبة الواقعة بين جزأيه لابد لها إن وجدت من زمن تقع فيه وهو المستقبل."[٢] وعلى كلٍّ فإن قول جمهور البلاغيين هو الأرجح لأن معنى الطلب لا يخلو من الإنشاء وأن المطلوب لم يحصل إلا بعد التلفظ بالطلب. قال الصعيدي: " الطلب ما يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب؛ لامتناع تحصيل الحاصل"[٣].ثم وضح ذلك بقوله : إذا استخدم الطلب فيما هو حاصل وجب تأويله كقوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ ﴾{النساء: ١٣٦ }. وقوله:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾{الأحزاب: ١ }. فالمعنى فيهما على طلب دوام الإيمان والتقوى والترقي في مراتب الكمال.[٤] . وعرفه الهاشمي بقوله:" الإنشاء الطلبي هو الذي يستدعى مطلوباً غير حاصل وقت الطلب. فإذا كان المطلوب غير متوقع كان الطلب (تمنياً) وإن كان متوقعاً فإما حصول صورة في الذهن فهو (الاستفهام) وإما حصوله في الخارج ، فان كان ذلك الأمر انتفاء فعل – فهو (النهي) وإن كان ثبوته: فإما بأحد حروف (النداء) فهو النداء – وإما بغيرها فهو (الأمر).وبهذا تعلم أن الطلب هنا

---

[١] الجوجري : شمس الدين محمد بن عبد المنعم بن محمد الجوجري ، شرح شذور الذهب ، تحقيق: نواف بن جزاء الحارثي ، الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة، ط١ ، ١٤٢٣هـ ، ١٦٥/١.

[٢] المرجع نفسه ١٦٧/١.

[٣] عبد المتعال الصعيدي :بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح ، الناشر: مكتبة الآداب ، الطبعة ١٧ ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م ، ٢ / ٢٤٩.

[٤] المرجع نفسه ٢ /٢٤٩.

منحصر في هذه الأنواع الخمسة لاختصاصها بكثير من اللطائف البلاغية"[1] . وقال في موضع آخر: "هو ما لا يحصل مضمونه ولا يتحقق إلا إذا تلفظت به. فطلب الفعل في (افعل) وطلب الكف في (لا تفعل) وطلب المحبوب في (التمني) وطلب الفهم في (الاستفهام) وطلب الاقبال في (النداء)كل ذلك ما حصل إلا بنفس الصيغ المتلفظ بها"[2] . وقال ابن الناظم: " الطلب لا يخرج عن أن يكون طلب حصول ما في الخارج في الذهن، أو حصول ما في الذهن في الخارج من تصور أو تصديق مثبت أو منفي . وهو نوعان: لأنه إما ألا يستدعي في مطلوبه إمكان الحصول عليه فلا طماعية لك فيه ، وإما أن يستدعي فيه ذلك . النوع الأول: التمني: وكلمته الموضوعة له (ليت) نحو ليت زيداً جاءك ، وليت الشباب يعود. أما (هل) في قوله تعالى: ﴿ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ ﴾{الأعراف: ٥٣ }. فدخيلة عليها ، وكذا لو في قولنا: لو تأتيني فتحدثني ؛ لما فيه من تقدير غير الواقع واقعاً. وكأن حروف التحضيض مأخوذة منهما مركبتين مع ما ولا المزيدتين . فإذا قلت : هلَّا فعلت . فالمعنى ليتك فعلت ، متولداً منه معنى التنديم ، وإذا قلت: هلَّا تفعل . كان المعنى نفسه متولداً منه معنى السؤال والتحضيض. أما النوع الثاني: فهو الاستفهام والأمر والنهي والنداء"[3].

ونقل السيوطي أن الطلب بخلاف الإنشاء قال : " إن اقترن معناه بلفظه فهو الإنشاء وإن لم يقترن بل تأخر عنه فهو الطلب والمحققون على دخول الطلب في الإنشاء وأن معنى اضرب

---

[1] الهاشمي: السيد أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، تدقيق : يوسف الصميلي ، الناشر: المكتبة العصرية – بيروت ، بدون ت ط ، ص٧٠ .

[2] المرجع نفسه ، ص٦٩

[3] ابن الناظم : بدر الدين بن مالك الشهير بابن الناظم ، المصباح في المعاني والبيان والبديع ، تحقيق: حسني عبد الجليل يوسف ، مكتبة الآداب – الجماميز ، بدون ت ط ، ص٨٣

مثلا وهو طلب الضرب مقترن بلفظه وأما الضرب الذي يوجد بعد ذلك فهو متعلق الطلب لا نفسه"[١] وضح ذلك العاكوبي[*] بقوله: " تقول لصديقك: (ادرس يا محمد) وتعبيرك هذا يتضمن صيغتين من الإنشاء الطلبي هما: الأمر والنداء فقولك : (ادرس) يستدعي مطلوباً وهو الدراسة ، وهي شيء غير حاصل عند تلفظك بطلبه. وقولك:(يا محمد) يستدعي مطلوبا وهو الإقبال والانتباه وهو شيء غير حاصل عند تلفظك بطلبه. وكذا فإن مدلول كل من التعبيرين يتأخر وجود لفظه عن وجود معناه."[٢]

وعرفه حبنَّكة[**] بقوله: " الإنشاء الطلبي هو ما يستدعي مطلوباً غير حاصل في اعتقاد المتكلّم وقت الطلب"[٣] .

والطلب عند الأصوليين يعني الإرادة . أي: أن طلب الشيء هو إرادة ذلك الشيء. قال الشاطبي[***]:" الأمر والنهي يستلزم طلباً وإرادة من الآمر ، فالأمر يتضمن طلباً من المأمور به وإرادة إيقاعه ، والنهي يتضمن طلباً لترك المنهي عنه وإرادة لعدم إيقاعه."[٤] . وقال في موضع آخر: " والطلب يستلزم مطلوباً والقصد لإيقاع ذلك المطلوب ، ولا معنى للطلب إلا هذا. ووجه ثان أنه يتصور طلباً لا يستلزم القصد لإيقاع المطلوب لأمكن أن يرد أمر مع

---

[١] السيوطي : عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين ، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، الناشر المكتبة الوقفية – مصر، ٥٣/١ .

[*]الدكتور عيسى علي العاكوبي أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية – كلية الآداب بجامعة حلب .

[٢] العاكوبي : المفصل في علم البلاغة ، الناشر: جامعة حلب ، ١٤٢١ – ٢٠٠٠م ، ص٢٤٩

[**] هو عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٤٢٥هـ)

[٣] حبنكة : البلاغة العربية ، الناشر: دار القلم الدار الشامية – دمشق – بيروت ، ط١ ، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م، ٢٢٨/١.

[***]أحمد بن محمد بن حسن بن خضر الصدفيّ الشاطبي، أبو العباس: عالم بالقرآت. اشتهر ببجاية وتوفي فيها. له كتاب في (قواعد الخط) وكتابان في قراءة ورش. لم يذكر له تاريخ ميلاد ، توفي عام ٧٩٠هـ(انظر: الأعلام للزركلي ، ص٢٢٠)

[٤] الشاطبي : الموافقات ، تحقيق: أبو عبيدة بن حسن آل سلمان ، الناشر: دار ابن عفان ، ط١ ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م ، ٣٦٩/٣.

القصد لعدم إيقاع المأمور به ، وأن يرد النهي مع القصد لإيقاع المنهي عنه ، وبذلك لا يكون الأمر أمراً ولا النهي نهياً، و لصح انقلاب الأمر نهياً وبالعكس."[١] ونفهم من قول الشاطبي أن الطلب لابد له من الإرادة وإلا لم يحصل الطلب ، وحصر لنا الطلب في الأمر والنهي . والطلب عند الشوكاني يعني : المعنى القائم بالنفس من غير أن يشعر بأن له متعلقاً واقعاً في الخارج[٢] . والشوكاني أفرد باباً سماه الأمر والنهي والعموم . وهذا يدل على أن معنى الطلب عنده هو الأمر والنهي. لأنه لم يشر إلا إلى هذين النوعين من الطلب. والطلب عند الحلي: هو إرادة المأمور به ، والأمر اسم للصيغة الدالة على الترجيح ، لا نفس الترجيح لأنهم قالوا : الأمر من الضرب اضرب. ودلالة الصيغة على الطلب لا يتوقف على الإرادة لأنها موضوعة له كغيرها من الألفاظ.[٣] . ويلاحظ أن الطلب عند الحلي بخلاف صيغة الطلب ، لقوله : الطلب هو الارادة أما الصيغة لا تتوقف على الإرادة . فهو أيضاً كغيره حصر لنا الحديث على الأمر والنهي فقط . وقال الصنهاجي[*]: "الطلب إما للفعل وإما للترك ، وهو في كليهما إما على سبيل التحتيم وإما على سبيل الترجيح"[٤] . فواضح من كلامه أن الطلب هو إما الأمر وإما النهي . فهذا غيض من فيض من أقوال الأصوليين في الطلب فهم يذكرون الطلب باسمه ويخصصون الحديث للأمر والنهي وعلي ما يبدو أن

---

[١] الشاطبي : الموافقات ٣ /٣٧٤.

[٢] الشوكاني: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله ، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ، تحقيق: الشيخ أحمد عزو ، الناشر: دار الكتاب العربي ، ط١ ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م ، ١٢٢/١ .

[٣] أبو منصور : جمال الدين الحسين بن يوسف ، مبادئ الأصول إلى تحقيق الحق من علم الأصول تحقيق: عبد الحسين محمد علي البغال ، الناشر: دار الأضواء – بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م ، ص٩٠.

[*]أحمد بن موسى بن عبد اللّه الشهاب المغربى الصنهاجى ت ٨٥٨ هـ(انظر: العقد المذهب في طبقات حملة المذهب ، ص١١)

[٤] الصنهاجي: عبد الحميد محمد بن باديس ، مبادي الأصول ، تحقيق : عمار الطالبي ، الناشر : الشركة الوطنية للكتاب ، ط٢ ، ١٩٨٨م ، ص١٥ .

السبب في ذلك هو أن معظم الأحكام الشرعية والفرائض هي أوامر ونواهي .

بعد هذا السرد لأقوال أهل اللغة وأهل الأصول نخلص إلى أن لفظ الطلب يختلف معناه عن صيغة الطلب ، ففي قولنا: (أطلب منك أن تفعل كذا) أردنا حصول فعل فاستخدمنا لفظ الطلب؛ وأما قولنا: (افعل كذا) أردنا حصول فعل فاستخدمنا صيغة من صيغ الطلب.

ونخلص أيضاً إلى أن معنى الطلب لا يحصل ولا يتحقق إلا بعد التلفظ به؛ وأن الطلب عند الأصوليين لا بد له من الإرادة ، وهو محصور عندهم في الأمر والنهي ؛ واهتم الأصوليون بمعرفة الأمر والنهي أكثر من اللغويين لأن معظم الأحكام الشرعية تتوقف على معرفة الأمر والنهي.

المبحث الثالث

تركيب الجملة الطلبية وإعرابها

تناول النحويون الجملة الطلبية من ناحية التركيب والإعراب ، فالإعراب عندهم هو الذي يوصل إلى المعنى ، لذلك أجهدوا أنفسهم في البحث عن الإعراب . قال الأنباري:" ...الأصل في الإعراب أن يكون للأسماء دون الأفعال والحروف، وذلك؛ لأن الأسماء تتضمن معاني مختلفة؛ نحو: الفاعلية، والمفعولية، والإضافة، فلو لم تعرب؛ لالتبست هذه المعاني بعضها بعض، يدلك على ذلك أنك لو قلت: ما أحسنَ زيدًا! لكنت متعجبًا، ولو قلت: ما أحسنَ زيدٌ؛ لكنت نافيًا، ولو قلت: ما أحسنُ زيدٍ؟ لكنت مستفهمًا (عن أي شيء منه حسن)، فلو لم تعرب في هذه المواضع؛ لالتبس التعجب بالنفي، والنفي بالاستفهام، واشتبهت هذه المعاني بعضها ببعض؛ وإزالة الالتباس واجب"[1]. وقال السكاكي: " اعلم أن علم النحو هو أن تنحو معرفة كيفية التركيب فيما بين الكلم لتأدية أصل المعنى مطلقاً بمقاييس مستنبطة من كلام العرب وقوانين مبنية عليها ليحترز بها عن الخطأ في التركيب من حيث تلك الكيفية"[2] .

---

[1] الأنباري: أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري ، أسرار العربية ، الناشر: دار الأرقم ، ط١ ، ١٤٢٠هـ ، ص٤٨.

[2] السكاكي : أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي الخوارزمي الحنفي ، مفتاح العلوم ، ضبط وتعليق: نعيم زرزور ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٤٠٧هـ ، ص٧٥ .

وقال السبكي : " النحوي ينظر في الترجي والتمني إلى اللفظ ، والبياني ينظر إلى المعنى"[1].

على ضوء هذه الأقوال سأتناول الجملة الطلبية من ناحيتين:

الأولى: تركيب الجملة الطلبية وبنيتها ، الثانية: إعراب الجملة الطلبية. ووجاء التقسيم على هذين القسمين لأن معظم النحويين الذين تناولوا الجملة الطلبية ، إما أن يتحدثوا عن بنيتها ، وإما أن يتحدثوا عن إعرابها. أما حديثهم عن المعنى فقليل جداً بل يكاد ينعدم ، وما يأتون به يأتي استدلالاً للإعراب . ومن ذلك قول الزمخشري في قوله تعالى:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾{النحل: ٢٤} . ماذا منصوب بأنزل ، بمعنى: أي شيء أنزل ربكم أو مرفوع بالابتداء، بمعنى: أى شيء أنزله ربكم، فإذا نصبت فمعنى أساطير الأولين ما يدَّعون نزوله أساطير الأولين، وإذا رفعته فالمعنى: المنزل أساطير الأولين، كقوله ﴿مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ ﴾{البقرة: ٢١٩ } فيمن رفع"[2] . فالملاحظ أنه يأتي بالمعنى ليقدر محذوفاً يؤكد به صحة الإعراب.

أولاً: تركيب الجملة الطلبية:

تتكون الجملة الطلبية عند النحويين من أداة الطلب ، والطلب نفسه ، وجواب الطلب ، وأي جزء للطلب أثر فيه . ومن ذلك قوله تعالى:﴿ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴾{الحج: ٢٩}. فأداة

---

[1] السبكي: أبو حامد أحمد بن علي بن عبد الكافي، ، بهاء الدين ، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: المكتبة العصرية – بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢٣هـ ، ٤٢٣/١ .

[2] الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٧هـ ، ٦٠١/٢ .

الطلب هي (لام الأمر) ، والطلب هو الأمر بالطواف ، والجار والمجرور له علاقة بالطلب.

ومن ذلك قوله تعالى:﴿ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآ ﴾ {الأنعام: ١٤٨}. فأداة الطلب هي (هل) ، والطلب (وجود العلم عندهم) ، وجواب الطلب قوله: (فتخرجوه). وهكذا في بقية أنواع الطلب. وعددها السكاكي في قوله :" فبالحري أن تبين كيف يتفرع عن هذه الأبواب الخمسة التمني والاستفهام والأمر والنهي والنداء ما يتفرع على سبيل الجملة إذ لا بد منه "[1].

تركيب جملة الاستفهام:

تتكون جملة الاستفهام من أداة الاستفهام ، والمستفهم عنه ، وجواب الاستفهام ففي قولنا: من عندك؟ فتقول: زيدٌ . ف(من) أداة الاستفهام ، و(عندك) المستفهم عنه ، و(زيد) مبتدأ لخبر محذوف. وجملة المبتدأ والخبر جواب الاستفهام.

ومن ذلك قوله تعالى﴿ مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ٤٢ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ٤٣ ﴾{المدثر: ٤٢ –٤٣ }. ف(ما) أداة الاستفهام ، و(سبب سلوكهم في سقر) مستفهم عنه ، (لم نك من المصلين) جواب الاستفهام.

أداة الاستفهام:

أداة الاستفهام هي الأساس الذي تبنى عليه جملة الاستفهام، فلولاها لما كان الاستفهام. قال ابن يعيش:" من قبيل أنه حرف دخل على جملة خبرية تامة فنقلها من الخبر إلى الاستخبار،

---

[1] السكاكي: مفتاح العلوم ٤٠٣/١.

فوجب أن يكون متقدماً عليها ليفيد ذلك المعنى فيها "[1]. وقال ابن مالك: "أداة الاستفهام منبهة للمُسْتَفْهَم ومؤذنة بحاجة المستفْهِم إلى إبداء ما عنده، فنزلت مما في حيِّزها منزلة حرف النداء من المنادى في استحقاق التقدم، فلذلك امتنع تأخيرها ولزم تصديرها ولا فرق في ذلك بين كم وغيرها، فلذلك وجب رفع صاحب الضمير في نحو: زيدُ كم ضربته، كما وجب في نحو زيد أين لقيته، وبشر متى رأيته."[2]

فأدوات الاستفهام تتقدم على المستفهم عنه وجواب الاستفهام. قال ابن هشام: "في قوله تعالى:﴿ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾{الإسراء: ١١٠} تقدم المفعول به الواقع اسم استفهام على الفعل والفاعل معاً ، وحكم هذا التقديم الوجوب لأن أسماء الاستفهام لها الصدارة في الكلام "[3]. وأدوات الاستفهام على نوعين: حروف وأسماء . قال عباس حسن: "الاستفهام قد يكون بالحرف نحو: أحافظ الصديقان العهد؟ هل عالم أنَّما الخبرَ؟ أو بالاسم؛ نحو: كيف جالس الضيوف؟ ومن مكرم الآباء! ومتى قادم السائحون؟"[4] . وسيأتي الحديث عنها بالتفصيل–إن شاء الله– في أقسام الجملة الطلبية.

المستفهم عنه: وهو ما يلي الأداة مباشرة إن كانت الأداة حرفاً؛ فإن ولي الحرف فعل

---

[1] ابن يعيش: يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي ، شرح المفصل ، تقديم: د. إميل بديع يعقوب ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢٢هـ ، ١٠٤/٥ .

[2] ابن مالك: شرح تسهيل الفوائد ، تحقيق: عبد الرحمن السيد – محمد بدوي المختون ، الناشر: هجر للطباعة والنشر ، ط١ ، ١٤١٠هـ ، ٤٢١/٢.

[3] ابن هشام : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي ، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بدون ت ط ، ١١٥/٢ .

[4] عباس حسن: النحو الوافي ، الناشر: دار المعارف ، ط١٥ ، ٤٥٠/١ .

فالمستفهم عنه هو الفعل نفسه وإن ولي الحرف اسم فالمستفهم عنه إما الفاعل وإما المفعول به . فقولنا: أضربت زيداً؟ فالمستفهم عنه (الضرب) أوقع بزيد أم لم يقع؟. وقولنا: أأنت ضربت زيداً؟ فالمستفهم عنه الفاعل . وقولنا: أزيداً ضربت؟ فالمستفهم عنه المفعول به. قال الجرجاني:" ...ومن أبين شيء في ذلك (الاستفهام بالهمزة)، فإن موضع الكلام على أنك إذا قلت: (أفعلت؟)، فبدأت بالفعل، كان الشك في الفعل نفسه، وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده. وإذا قلت: (أأنت فعلت؟)، فبدأت بالاسم، كان الشك في الفاعل من هو، وكان التردد فيه"[1]. هذا إذا كانت الأداة هي الهمزة أما (هل) فلا يليها إلا الفعل. قال سيبويه:" فإن قلت: هل زيداً رأيت وهل زيدٌ ذهب؟ قبح ولم يجز إلا في الشعر، لأنه لما اجتمع الاسم والفعل حملوه على الأصل..."[2] .

أجاز سيبويه وقوع الاسم بعد الهمزة معللاً لذلك بأنها حرف الاستفهام الذي لا يزول عنه، قال: " وأما الألف فتقديم الاسم فيها قبل الفعل جائز كما جاز ذلك في هلا، " وذلك " لأنها حرف الاستفهام الذى لا يزول " عنه " إلى غيره، وليس للاستفهام في الأصل غيره. وإنما تركوا الألف في (من، ومتى، وهل) ونحوهن حيث أمنوا الالتباس، ألا ترى أنك تدخلها على من إذا تمت بصلتها، كقول الله عز وجل: " ﴿ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ ﴾

---

[1] الجرجاني: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني ، دلائل الإعجاز في علم المعاني ، تحقيق: ياسين أيوبي ، الناشر: المكتبة العصرية ، ط١ ، ١٣٩ .

[2] سيبويه: الكتاب ٩٩/١ .

{فصلت:٤٠ }"[١]. أما مع أسماء الاستفهام فالمستفهم عنه يعرف من السياق فكل اسم منها يستفهم به عن معنى معين. فلو أخذنا على سبيل المثال(كيف– كم). فكيف: يستفهم بها عن الحال فقولنا:(كيف تركت أهلك؟) فالمستفهم عنه هو حال أهله بعد أن فارقهم. قال سيبويه: " كيف أنت وعبد الله، وأنت تريد أن تسأل عن شأنهما، لأنك إنما تعطف بالواو إذا أردت معنى مع على كيف، وكيف بمنزلة الابتداء، كأنك قلت: وكيف عبد الله"[٢]. ونقل الجرجاني قول الشاعر:[٣]

قال لي كيف أنت قلت عليل سهر دائم وحزن طويل

لِما كانَ في العادةِ إذا قيل للرجلِ: (كيف أنت؟) فقالَ: (عليلٌ)، أن يسألَ ثانياً فيقال: "ما بك؟ وما علَّتُك؟ "، قَدَّر كأنه قد قيل له ذلك، فأتى بقوله: "سهرٌ دائمٌ" جواباً عن هذا السؤال المفهوم من فحوى الحالِ، فاعرفه [٤] .

أما (كم): فيسأل بها عن العدد . قال السكاكي: "وأما كم فللسؤال عن العدد إذا قلت كم درهماً لك؟ وكم رجلاً رأيت؟ فكأنك قلت أعشرون أم ثلاثون أم كذا وتقول كم درهمك وكم مالك أي كم دانقاً وكم ديناراً... "[٥] وقال سيبويه: "وإذا قال لك رجل: كم لك؟، فقد سألك عن عدد؛ لأن كم إنما هي مسألة عن عدد ههنا، فعلى المجيب أن يقول: عشرون أو ما شاء، مما هو

---

[١] سيبويه: الكتاب ٩٩/١ .
[٢] المصدر نفسه ٣٠١/١ .
[٣] البيت من غير نسبة في دلائل الإعجاز – تحقيق: شاكر ، ص ٢٣٨ . وفي جواهر البلاغة ص ١٠٤ .
[٤] الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني ، تحقيق: محمود محمد شاكر ، الناشر: مطبعة المدني – القاهرة ، ط٣ ، ص٣٨ .
[٥] السكاكي : مفتاح العلوم ، ص٣١٢ .

أسماء لعده"[1].

و من هذا نصل إلى أن المستفهم عنه مع أسماء الاستفهام يعرف من سياق الكلام ، فكل اسم من الأسماء له مستفهم عنه يختلف عن الآخر . فمع (كيف) يكون المستفهم عنه حالاً ، ومع (أين) يكون المستفهم عنه مكاناً ، ومع (كم) يكون عدداً ، ومع (متى) يكون زماناً... وهكذا في بقية الأسماء.

جواب الاستفهام:

المتأمل في الاستفهام يجد أنه على نوعين: استفهام يحتاج إلى جواب. وآخر لايحتاج إلى جواب. فالأول نحو قولنا: هل جاء زيدٌ؟ فسياق الجملة يوحي أن هناك شيء تردد في نفس المتكلم ولذلك استفهم عنه ، وهو(مجيء زيد). فلابد من إثباته بـ(نعم) أو نفيه بـ(لا) ليزول هذا الشك من داخله. قال ابن الصائغ:" و(أَجَلْ) بمعنى (نعم) ، وهو حرفُ تصديق في الخبر خاصّة، ولا يُستعمَل في جواب الاستفهام. و(نَعَمْ) عِدَةٌ وتَصْدِيقٌ؛ وهي تقع جوابًا للسّؤال الموجود، كقولك: (أَخَرَجَ زيد؟) ، فيُقال: نعم. ولا تقع جوابًا للنّفي"[2] . وذكر الرازي قول سيبويه:" نعم عدة وتصديق وقال الذين شرحوا كلامه معناه: أنه يستعمل تارة عدة وتارة تصديقاً وليس معناه: أنه عدة وتصديق معاً ألا ترى أنه إذا قال: أتعطيني؟ وقال نعم كان عدة ولا تصديق فيه وإذا قال: قد كان كذا وكذا. فقلت: نعم فقد صدقت ولا عدة فيه وأيضا إذا

---

[1] سيبويه : الكتاب ١٥٧/٢ .

[2] ابن الصائغ: محمد بن سباع بن أبي بكر الجذامي ، اللمحة في شرح الملحة ، تحقيق: إبراهيم بن سالم الصاعدي ، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية – المدينة المنورة ، ط١ ، ١٤٢٤هـ ، ٨٩٨/٢ .

استفهمت عن موجب كما يقال: أيقوم زيد؟ قلت: نعم ولو كان مكان الإيجاب نفيا لقلت: بلى ولم تقل نعم فلفظة نعم مختصة بالجواب عن الإيجاب ولفظة بلى مختصة بالنفي كما في قوله تعالى:﴿ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ ﴾{الأعراف: ١٧٢}. هذا النوع من الاستفهام يصاغ من أجل الجواب . ومن ذلك قوله تعالى:﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ ﴾{الأعراف: ٤٤}.

ومنه قول الشاعر:[1]

قلن تعرفن الفتى؟ قلن نعم قد عرفناه فهل يخفى القمر؟

سَأَلْنَ عن شيء تردد بداخلهن هل يَعْرَفْنَ هذا الفتى أم لا؟ فأجبن بقولهن: نعم ، فأزيل هذا الشك بجوابهن (نعم) . وحصر الرضي الحروف التي تقع جواباً للاستفهام في ستة أحرف ، قال:" حروف الإيجاب: نعم ، وبلى، وإي ، وأجل ، وجير، وإنَّ"[2] . ومن الاستفهام الذي يحتاج إلى جواب قوله تعالى:﴿ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ ﴾ {آل عمران: ٣٧} فهو قد سأل عن مكان الرزق ومصدره ، فأجابت بقولها: هو من عند الله. قال ابن عاشور: "و (أنى) استفهام عن المكان، أي من أين لك هذا، فلذلك كان جواب استفهامه قولها: هو من عند الله"[3]. وهو جواب حقيقي لاستفهام حقيقي. وهذا النوع من الجواب تحدث

---

[1] البيت لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه (عمر بن أبي ربيعة شاعر الحب والجمال)،تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي- عبد العزيز شرف ، الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث ، بدون ت ط ، ص ١٣١ .

[2] الرضي: شرح الكافية ، تصحيح : يوسف حسين عمر ، الناشر: جامعة قازيونس – بنغازي ، بدون ت ط ، ٤٢٦/٤ .

[3] ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر ، التحرير والتنوير ، الناشر: الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٤م ، ٢٣٧/٣ .

عنه النحويون في حذف المبتدأ والخبر وحذف الفعل. قال ابن عقيل شارحاً لقول ابن مالك:

وحذف ما يعلم جائز كما تقول زيد بعد من عندكما

وفى جواب كيف زيد قل دنف فزيد استغنى عنه إذ عرف

يحذف كل من المبتدأ والخبر إذا دل عليه دليل جوازا أو وجوبا فذكر في هذين البيتين الحذف جوازا فمثال حذف الخبر أن يقال من عندكما فتقول: زيدٌ التقدير: زيدٌ عندنا...ومثال حذف المبتدأ أن يقال كيف زيد؟ فتقول: صحيحٌ أي: هو صحيحٌ.[١]

وتحدث عنه ابن هشام في حذف المبتدأ ، قال: " يكثر ذلك في جواب الاستفهام نحو:

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ﴾{الهمزة: ٥ –٦} أي: هي نار الله "[٢]

وذكر ذلك أيضاً في حديثه عن حذف الفعل ، قال: "وَيكثر فِي جَوَاب الِاسْتِفْهَام نَحْو: {لَيَقُولن الله} أَي ليَقُولن خلقهمْ الله"[٣] .

والنوع الثاني هو الاستفهام الذي لا يحتاج إلى جواب وهو ما يصاغ لغرض بلاغي يقصده المتكلم. ومن ذلك قول الشاعر:[٤]

قلن تعرفن الفتى؟ قلن نعم قد عرفناه فهل يخفى القمر؟

فالاستفهام في عجز البيت لا يحتاج إلى جواب لأن معناه النفي ، والمعنى: قد عرفناه فلا يخفى القمر. ومنه قوله تعالى:﴿ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ﴾{الأعراف:

---

[١] ابن عقيل: عبدالله بن عبد الرحمن العقيلي ، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، الناشر: دار التراث – القاهرة ، ط٢٠ ، ١٤٠٠هـ ، ٢٤٤/١ .

[٢] ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ص٨٢٢ .

[٣] المرجع نفسه ، ص ٨٢٧ .

[٤] البيت لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ، ص ١٣١ .

٣٧} والمعنى لا أظلم ممن افترى على الله كذباً. قال الرازي:" والحاصل أن قوله: فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً المقصود منه نفي الكذب عن نفسه "[١] .

تركيب جملة الأمر:

تتكون جملة الأمر من الأداة ، والمأمور به ، والمأمور. ذكر سيبويه مصطلحي المأمور والمأمور به في قوله:" فمنها ما يتعدى المأمور إلى مأمور به، ومنها ما لا يتعدى المأمور "[٢].

أولاً الأداة : فهي المصاحبة للفعل المضارع الذي يفهم منه الطلب وليس للأمر أداة غيرها، قال السكاكي:" للأمر حرف واحد وهو اللام الجازم ليفعل "[٣] . وسميت باللام الطلبية ، قال ابن هشام: "أما اللام العاملة للجزم فهي اللام الموضوعة للطلب "[٤] . وذكرها ابن مالك في حديثه عن عوامل الجزم ، قال:" منها لام الطلب مكسورة وفتحها لغة ..."[٥] فهي ملازمة للفعل المضارع سواء أسند إلى اسم ظاهر أو إلى ضمير. وذكر ابن هشام أن اللام أصل في جميع أفعال الأمر ولكنهم حذفوها للتخفيف قال:" وزعم الكوفيون وأبو الحسن أن لام الطلب حذفت حذفاً مستمراً في نحو قم واقعد وأن الأصل لتقم ولتقعد فحذفت اللام للتخفيف وتبعها حرف المضارعة . وبقولهم أقول لأن الأمر معنى حقه أن يؤدى بالحرف ولأنه أخو النهي ولم يدل عليه إلا بالحرف ولأن الفعل إنما وضع لتقييد الحدث بالزمان المحصل وكونه أمراً أو

---

[١] الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن ، مفاتيح الغيب ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط٣ ، ١٤٢٠هـ، ٢٢٦/١٧ .
[٢] سيبويه: الكتاب ٢٤١/١ .
[٣] السكاكي: مفتاح العلوم ٣١٨/١ .
[٤] ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ص ٢٩٤
[٥] ابن مالك: شرح تسهيل الفوائد ٥٧/٤ .

خبراً خارج عن مقصوده ولأنهم قد نطقوا بذلك الأصل كقوله:[1]

لتقم أنت يا ابن خير قريش ولتقض حوائج المسلمين

وكقراءة جماعة (فبذلك فلتفرحوا) وفي الحديث لتأخذوا مصافكم ولأنك تقول اغزُ واخشَ وارم واضربا واضربوا واضربي"[2].

ولام الأمر من حيث الرتبة فمرتبتها الصدر. قال أبو حيان:" ولا يجوز الفصل بين لام الأمر وما عملت فيه، لا بمعمول الفعل ولا بغيره، ويجوز تقديم معمول معمولها عليها إذا كان يجوز تقديمه على فعل الأمر العاري من اللام نحو: زيدًا ليضرب خالد... وقالوا: الأمر والنهي لا يتقدم منصوبهما عليهما، لأن لهما الابتداء"[3].

المأمور به: هو ما طُلِبَ من المخاطب القيام به ، فإما أن يكون فعلاً وإما أن يكون اسماً عاملاً عمل الفعل وذكر السكاكي أنَّ الأمر في لغة العرب عبارة عن استعمال صيغ مخصوصة. يعني استعمال نحو لينزل وانزل ونزال وصه على سبيل الاستعلاء [4]. لذلك يقسم المأمور به إلى أربع صيغ :

الصيغة الأولى: فعل الأمر المسند إلى ضمير المخاطب: مستتراً كان أم بارزاً، فالمسند إلى الضمير البارز كقوله تعالى:﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾{البقرة:٤٥}.

وقوله تعالى:﴿ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًاۖ ﴾{مريم: ٢٦} فأسند فعل الأمر في الآية الأولى إلى

---

[1] البيت في مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ص٣٠٠ .
[2] المرجع نفسه ، ص ٣٠٠ .
[3] أبو حيان: إرتشاف الضرب من لسان العرب ، تحقيق: رجب عثمان محمد ، الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة ، ط١ ، ١٤١٨هـ ، ١٨٥٧/٤
[4] بتصرف / السكاكي: مفتاح العلوم ٣١٨/١.

واو الجماعة وفي الآية الثانية إلى ياء المخاطبة . بل إن ياء المخاطبة من علامات فعل الأمر ، قال ابن هشام:" علامته التي يعرف بها مركبة من مجموع شيئين وهما دلالته على الطلب وقبوله ياء المخاطبة وذلك نحو قم فإنه دال على طلب

القيام ويقبل ياء المخاطبة تقول إذا أمرتالمرأة قومي وكذلك اقعد و اقعدي"[١]

أما المسند إلى الضمير المستتر كقولنا: (افعل الخير) فأسند الفعل إلى ضمير مستتر تقديره (أنت) والخير مفعول به. قال ابن مالك:

كلامنا لفظ مفيد كاستقم اسمٌ وفعلٌ ثم حرفٌ الكلم

شاهدنا في قوله (استقم) حيث جعله كلاماً مفيداً ولا يكون الكلام مفيداً إلا إذا كان جملة. قال الشيخ محي الدين في ذلك: " وكأنه قال كلام النحاة هو اللفظ الموصوف بوصفين أحدهما: الإفادة والثاني: التركيب المماثل لتركيب استقم "[٢]

الصيغة الثانية: لام الأمر مع الفعل المضارع ، كقولنا: ليقل زيد الحق ، فالأداة هي اللام ، والأمر هو الفعل المضارع ، والمأمور هو زيد. ومن ذلك قول الشاعر:[٣]

لتقم أنت يا ابن خير قريش فلتقض حوائج المسلمين

والمعنى قم يا ابن خير قريش. لأن لام الأمر نقلت الفعل المضارع من الخبر إلى الطلب.

قال ابن يعيش:" الأصل في الأمر أن يدخل عليه اللام، وتلزمه لإفادة معنى الأمر،

---

[١] ابن هشام: شرح قطر الندى وبل الصدى ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، الناشر: القاهرة ، ط١١ ، ١٣٨٣هـ ، ص ٣٠ .
[٢] ابن عقيل: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ١٣/١ .
[٣] البيت سبق ذكره ص ٤٧.

إذ الحروف هي الموضوعة لإفادة المعاني كـ"لا" في النهي، و"لَمْ" في النفي، إلّا أنهم في أمر المخاطب حذفوا حرف المضارعة لِما ذكرناه من الغُنْية عنه، بدلالة الحال وتخفيفًا لكثرة الاستعمال. ولمّا حذفوه، لم يأتوا بلام الأمر، لأنها عاملة، والفعل بزوال حرف المضارعة منه خرج عن أن يكون معربًا، فلم يدخل عليه العامل."[١]

الصيغة الثالثة: اسم فعل الأمر :

أسماء الأفعال تعمل عمل الفعل ترفع ما بعدها فاعلاً لها وتحتاج إلى مفعول إن كان فعلها متعدياً . قال سيبويه:" تقول: رويد زيداً، وإنما تريد أرود زيداً. قال الهذلي:[٢]

رُويدَ عَلِيًّا، جُدَّ مَا ثَدْيُ أُمِّهم إلينا، وَلَكِنْ وُدُّهم مُتَماينُ[*]

وسمعنا من العرب من يقول: والله لو أردت الدراهم لأعطيتك رويد ما الشعر. يريد: أرود الشعر، كقول القائل: لو أردت الدراهم لأعطيتك فدع الشعر. فقد تبين لك أن رويد في موضع الفعل."[٣] . وابن جني أدرجها تحت معنى الكلام ، قال:" الكلام هو الذي يسميه النحويون الجمل نحو: زيد أخوك ، وقام محمد ، وفي الدار أبوك ، وصه ومه ورويد ... فكل لفظ استقل بنفسه وجنيت منه فائدة فهو كلام."[٤] وعلى هذا يكون اسم الفعل جملة تامة ، لأن الشرط في الكلام أن يتركب من المسند والمسند إليه.

---

[١] ابن يعيش: يعيش بن علي بن يعيش بن أبي السرايا الموصلي ، شرح المفصل في صنعة الإعراب ، تقديم: إميل بديع يعقوب ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ، ١٤٢٢هـ ، ٢٩١/٤ .

[٢] البيت للمُعَطَّل أحد بني رهم بن سعد بن هذيل : ديوان الهذليين ، ترتيب: محمد محمود الشنقيطي ، الناشر: الدار القومية للطباعة والنشر – القاهرة ، ١٣٨٥هـ ، ٤٦/٣ .

[*] متماين : كذوب. يقال: كذب ومان. والمين: الكذب. انظر:(ديوان الهزليين ، ٤٦/٣).

[٣] سيبويه: الكتاب ٢٤٣/١ .

[٤] ابن جني: الخصائص ١٨/١ .

خالف ابن يعيش قول ابن جني بقوله: إنها أسماء مفردة واستدل على ذلك بقول زهير:[1]

ولنعم حشو الدرع أنت إذا دعيت نزال ولُجَّ في الذعر

فلو كانت (نزال) بما فيها من الضمير جملة، لما جاز إسناد (دعيت) إليها من حيث كانت الجمل لا يصح كون شيء منها فاعلا. وإنما لم يصح أن تكون الجملة فاعلاً؛ لأن الفاعل يصح إضماره... "[2] .

أما أسماء الأفعال من حيث الرتبة فتتقدم على معمولها ، قال العكبري: "وأسماء فعل الأمر لا يتقدم معمولها عليها عند البصريين لقصورها عن الفعل وأنها غير مشتقة منه وأجازه الكوفيون واحتجوا بقوله تعالى {كتاب الله عليكم} وبقول:[3]

يا أيها المائح دلوي دونكا إني رأيت الناس يحمدونكا

والجواب عن الآية من وجهين: أحدهما أن (كتابا) منصوب على المصدر وحرمت يدل على تقدير كتبت ذلك عليكم كتابا و(عليكم) المذكورة في الآية تتعلق بالفعل المقدر.

والثاني أنه منصوب بفعل محذوف تقديره الزموا كتاب الله و(عليكم) متعلق بـ(كتاب) أو حال منه. وأما البيت فـ(دلوي) مرفوع بالابتداء وما بعده الخبر نبهه بذلك على الاهتمام به ويجوز أن يكون منصوباً على تقدير خذ وفسره دونك"[4] .

الصيغة الرابعة: المصدر العامل عمل فعل الأمر. يعمل المصدر عمل فعله فيرفع ما بعده

---

[1] البيت لزهير بن أبي سلمى في ديوانه ، تقديم : علي حسن فاعور ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ، ١٤٠٨هـ ، ص٥٤ .
[2] ابن يعيش: شرح المفصل في صنعة الإعراب ٤/٣ .
[3] العكبري: اللباب في علل البناء والاعراب ، تحقيق: عبد الإله النبهان ، الناشر: دار الفكر – دمشق ، ط١ ، ١٤١٦هـ ، ٤٦٢/١
[4] المرجع نفسه ٤٦٢/١ .

فاعلاً وينصب مفعولاً به إن كان فعله متعدياً. ومن ذلك قولنا: ضرباً زيداً ، فالمصدر عمل عمل فعله (اضرب) والفاعل ضمير مستتر تقديره (أنت) وزيداً مفعول به . قال المبرد: " فإن كان مصدراً فقد دل على فعل، فمن ذلك: ضرباً ضرباً، إذا كنت تأمر وإنما كان الحذف في الأمر جائزاً؛ لأن الأمر لا يكون إلا بفعل قال الله عز وجل: ﴿ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً ﴾{محمد: ٤} وقال:﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ ﴾{محمد: ٤} فالمصدر المأمور به يكون نكرة، وبالألف واللام، ومضافا كل ذلك مطرد في الأمر، وكل شيء كان في معنى المصدر فمجراه مجرى المصدر "[١] .

وقال الزمخشري:" ﴿ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ ﴾{محمد: ٤} فضرب الرقاب أصله: فاضربوا الرقاب ضرباً، فحذف الفعل وقدم المصدر فأنيب منابه مضافاً إلى المفعول. وفيه اختصار مع إعطاء معنى التوكيد، لأنك تذكر المصدر وتدل على الفعل بالنصبة التي فيه"[٢] . ومن ذلك قول الشاعر:[٣]

على حين ألهى الناس جل أمورهم فندلاً زريق المال ندل الثعالب

ناب المصدر (ندلاً) عن فعل الأمر (اندل) فرفع الضمير المستتر فاعلاً له ونصب (المال) مفعولاً به[٤]. ومن ذلك ندرك أن جملة الأمر لابد لها من مأمور ومأمور به ، فالمأمور هو المخاطب سواء كان ضميراً أو اسماً ظاهراً. أما المأمور به فهو الشيء الذي يراد من

---

[١] المبرد: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي ، المقتضب ، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة ، الناشر:دار الكتب العلمية – بيروت،٢١٦/٣

[٢] الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٣١٦/٤ .

[٣] البيت للأعشى وهو من الشواهد النحوية(انظر: شرح ابن عقيل ١٧٨/٢ .

[٤] بتصرف/ الأشموني: علي بن محمد بن عيسى أبو الحسن ، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، الناشر: دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤١٩هـ ، ١/ ٣٩ .

المخاطب القيام به . والأصل فيه أن يكون فعلاً . وقد يأتي اسماً عاملاً عمل الفعل.

تركيب جملة النهي

جملة النهي لها بنية واحدة وهي أن تقترن لا الناهية بالفعل المضارع، ولها ثلاثة أركان هي: الأداة والمنهي والمنهي عنه، قال سيبويه في حديثه عن أسماء الأفعال:" ومنها ما يتعدى المنهي إلى منهي عنه، ومنها ما لا يتعدى المنهي"[١].

أما الأداة فهي (لا) الناهية قال المبرد: " فأما حرف النهي فهو (لا) وهو يقع على فعل الشاهد والغائب وذلك قولك لا يقم زيد ولا تقم يا رجل ولا تقومي يا امرأة فالفعل بعده مجزوم به وتقول لا يقم زيد ولا يقعد عبد الله إن عطفت نهيا على نهي"[٢]. أو هي لا الطلبية كما سماها بعض النحويين ، قال ابن مالك في حديثه عن عوامل الجزم:" ومنها لا الطلبية وقد يليها معمول مجزومها"[٣] . قال ابن هشام: "ولا فرق في اقتضاء لا الطلبية للجزم بين كونها مفيدة للنهي سواء كان للتحريم كما تقدم أو للتنزيه"[٤] . وقال دقر: "لا الناهية: هي"لا" الطلبية نهياً كانت نحو قوله تعالى:﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ ﴾ { لقمان: ١٣} أو دعاء نحو: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ ﴾ { البقرة: ٢٨٦ } وجزمها المضارع المبدوء بالهمزة أو النون مبنيين للفاعل نادر"[٥] .

---

[١] سيبويه: الكتاب ٢٤١/١ .
[٢] المبرد: المقتضب ٢/ ١٣٤ .
[٣] ابن مالك: شرح تسهيل الفوائد ٦٢/٤ .
[٤] ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ٣٢٦ .
[٥] دقر: عبد الغني بن محمد الدقر ، معجم القواعد العربية ، بدون ت ط ، الناشر: المكتبة الشاملة ، ٥٤/٢ .

المنهي عنه[*]:

هو الفعل المضارع المسبوق بلا الناهية أو لا الطلبية ، ويأتي على أربع صيغ وذلك حسب إسناده : فهو إما أن يسند إلى ضمير المخاطب ، وإما أن يسند إلى ضمير الغائب، وإما أن يسند إلى ضمير المتكلم ، وإما أن يسند إلى اسم ظاهر.

أولاً: الفعل المضارع المسند إلى ضمير المخاطب: وهو أكثر الصيغ استعمالاً ، قال عضيمة : " استعمال (لا) في نهي المخاطب يزيد كثيراً عن استعمالها في نهي الغائب في القرآن"[1]. ومثال ذلك قوله تعالى:﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم ﴾ {الأنعام: ١٥١} وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾{لقمان: ١٨} فالفعل المضارع في الآية الأولى أسند إلى واو الجماعة ، وفي الآية الثانية أسند إلى ضمير المخاطب(أنت). ومنه في شعر العرب قول الشاعر:[2]

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

ثانياً: الفعل المضارع المسند إلى ضمير الغائب، فقولنا: (لا يفعل) الفاعل فيه ضمير مستتر تقديره (هو) قال سيبويه: " ومثله من النهي: لا يَرَيَنَّكَ ههنا، ولا أَرَيَنَّكَ ههنا"[3]. وشاهدنا في كلام سيبويه قوله(لا يَرَيَنَّكَ) حيث أسند الفعل إلى ضمير الغائب.

---

[*] ذكر هذا المصطلح ابن عصفور في قوله: وصح وقوع الفعل المنهي عنه مع أداة النهي.(انظر: شرح جمل الزجاجي لابن عصفور٣٠٩/٢).

[1] عضيمة: محمد عبد الخالق عضيمة ، دراسات لأسلوب القران الكريم ، تصدير: محمود محمد شاكر ، الناشر: دار الحديث – القاهرة ، بدون ت ط ، ٥٢٣/٢ .

[2] البيت لأبي الأسود الدؤلي في ديوانه ، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين ، الناشر: دار ومكتبة الهلال ، ط٢ ، ١٤١٨هـ ، ص ٤٠٤ .

[3] سيبويه: الكتاب ١٠١/٣ .

قال الرضي: "لا النهي تجيء للمخاطب والغائب على السواء"[1] وقال المبرد: " فأما حرف النهي فهو لا وهو يقع على فعل الشاهد والغائب وذلك قولك لا يقم زيد ولا تقم يا رجل ولا تقومي يا امرأة..."[2]. ومن ذلك في كتاب الله قوله تعالى:﴿ فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا ﴾{الإسراء: ٣٣} وقوله تعالى:﴿ وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾{الكهف: ١١٠} فأسند الفعلان في الآيتين إلى ضمير الغائب (هو).

ثالثاً: الفعل المضارع المسند إلى ضمير المتكلم؛ وورود فعل النهي بهذه الصيغة قليل جداً.

قال الرضي: " وقد جاء –يعني لا– في المتكلم قليلاً ، كلام الأمر ، وذلك كقولهم: لا أَرَيَنَّكَ ههنا، لأن المنهي في الحقيقة هو المخاطب ، أي: لاتكن ههنا ، حتى لا أراك"[3]. وقال عضيمة: جاءت (لا) لنهي المتكلم في قراءة شاذة في قوله تعالى:﴿ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ﴾ {المائدة: ١٠٦} وقرأ الحسن والشعبي: {ولا نكتم} بجزم الميم نَهَيَا أنفسهما عن كتمان الشهادة. ودخول (لا) الناهية على المتكلم قليل، نحو قوله:[4]

إذا ما خرجنا من دمشق فلا نعد لها أبدا ما دام فيها الجراضم

فأسند الفعل (نعد) إلى ضمير المتكلم (نحن). كما أسند الفعل(أرى) إلى ضمير المفرد المتكلم (أنا) في قولهم: لا أَرَيَنَّكَ ههنا. وفي المغني: وهذا النوع مما أقيم فيه المسبب مقام

---

[1] الرضي: شرح الرضي على الكافية ٨٦/٤
[2] المبرد: المقتضب ١٣٤/٢ .
[3] الرضي: شرح الرضي على الكافية ٨٦/٤
[4] عضيمة: دراسات لأسلوب القران ٥٢٣/٢

السبب، والأصل لا تكن هنا فأراك[1].

رابعا: الفعل المضارع المسند إلى اسم ظاهر، وهذا النوع ورد كثيراً في القرآن الكريم قال تعالى:﴿ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ ﴾ {البقرة: ٢٨٢ } فأسند الفعل المضارع إلى اسم ظاهر وهو قوله(الشهداء) قال ابن السراج:" وتقول: لا يقمْ زيدٌ ولا يقعدْ عبد الله؛ لأنك عطفت نهيًا على نهي فإن شئتَ قلتَ: لا يقمْ زيدٌ ويقعدْ عبد اللهِ، وهو بإعادتك "لا" أوضح؛ لأنك إذا قلت: لا يقمْ زيدٌ ولا يقعدْ عبد الله تبين أنكَ قد نهيتَ كل واحدٍ منهما على حياله"[2]. فهذه الأمثلة التي ذكرها ابن السراج أسند فيها الفعل المضارع إلى اسم ظاهر.

ومن ذلك قول الشاعر:[3]

فقلت له لا تبك عينُك إنما نحاول ملكاً أو نموت فنعذرا

فأسند الفعل المضارع إلى اسم ظاهر وهو قوله (عينك).

المنهي:

هو الموجه إليه الخطاب بالنهي. وهذا المصطلح ذكره سيبويه في حديثه عن أسماء الأفعال قال:" ومنها ما يتعدى المنهى إلى منهي عنه، ومنها ما لا يتعدى المنهي."[4]

وذكره الرضي في حديثه عن لا الناهية قال:" وذلك قولهم لا أرينك هنا ، لأن المنهي في

---

[1] بتصرف/ عضيمة: دراسات لأسلوب القران ٥٢٣/٢ .

[2] ابن السراج: أبوبكر محمد بن السري بن سهل النحوي ، الأصول في النحو ، تحقيق: عبد الحسين الفتلي ، الناشر: مؤسسة الرسالة – لبنان ، ١٧٥/٢ .

[3] البيت لامرئ القيس في ديوانه: الناشر: دار المعرفة – بيروت ، ط٢ ، ١٤٢٥هـ ، ص٩٦ .

[4] سيبويه: الكتاب ٢٤١/١ .

الحقيقة ههنا هو المخاطب"[1]. والمنهي هو فاعل الفعل المضارع المسبوق بلا الناهية سواء كان ضميراً أو اسماً ظاهراً. ففي قوله تعالى:﴿ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا ﴾ {البقرة: ٢٣٣} فالمنهي في هذه الآية اسم ظاهر وهو قوله(والدة) وهي فاعل الفعل (تضار) . ومن ذلك قول الشاعر:[2]

فلا تُلزمن الناس غير طباعهم فتتعب من طول العتاب ويتعبوا

ولا تغترر منهم بحسن بشاشة فأكثر إيماض البوارق خلب

تركيب جملة النداء:

تتكون جملة النداء من ثلاثة عناصر هي: أداة النداء ، والمنادى ، ومحتوى النداء.[3] فقولنا: (يا زيد اقبل) ياء: أداة نداء ، وزيد: منادى ، واقبل: محتوى النداء أو المقصود بالنداء.

أداة النداء:

ذكر ابن مالك أن حروف النداء عند البصريين هي خمسة أحرف قال:" الحروف التي ينبه بها المنادى عند البصريين خمسة: (يا) و(أيا) و(هيا) و(أيْ) و(الهمزة). فمذهب سيبويه أن الهمزة وحدها للقريب المصغي، وغيرها للبعيد مسافة، أو حكمًا . ومذهب المبرد، ومن وافقه أن (أيا) و(هيا) للبعيد، و(أي) والهمزة للقريب، و(يا) لهما. وزعم ابن برهان أن (أيا) و(هيا) للبعيد، والهمزة للقريب و(أي) للمتوسط، و(يا) للجميع. وأجمعوا على جواز نداء القريب بما

---

[1] الرضي: شرح الرضي الكافية ٨٦/٤

[2] البيتان لأبي الحسن عمارة بن الحسن الحكيمي اليمني ، أوردهما أحمد الهاشمي بلا نسبة في جواهر البلاغة ، ص ٧٧ .

[3] بنية الجملة الطلبية ودلالتها في السور المدنية ، الناشر: منشورات مخبر الأبحاث في اللغة والأدب ، جامعة محمد خيضر – بسكرة – الجزائر ، ١٦٩/١ .

للبعيد على سبيل التوكيد، ومنعوا العكس. وخصوا (وا) بالمندوب، وأجاز المبرد استعمالها في نداء البعيد، وزاد الكوفيون في نداء البعيد (آ) و(آي)"[١]. قال ابن جني: "والحروف التي ينادى بها المدعو خمسة وهي يا وأيا وهيا وأي والألف تقول: يا زيد وأيا زيد وهيا زيد وأي زيد وأزيد قال ذو الرمة:[٢]

هيا ظبية الوعساء بين جلاجل وبين النقا آأنت أم أم سالم

وقال الآخر:[٣]

أزيد أخا ورقاء إن كنت ثائراً فقد عرضت أحناء حق فخاصم

يريد يا زيد"[٤] .

وأكثر حروف النداء استخداما هي (يا) قال ابن الحاجب: " (يا) أعمّها، و (أيا) و (هيا) للبعيد، و (أي) و (الهمزة) للقريب."[٥] وقال محمد عيد: "أهم حروف النداء ستة أحرف هي: "الهمزة، أيْ، يا، أيَا، هَيَا، وا . وأشهرها تداولا بيننا الحرف (يا)"[٦].

قال الجزولي:" حروف النداء: أي والهمزة وهما للقريب المصغي إليك، ويا وأيا وهيا ووا وهي للبعيد مسافةً أو حكما... ولا تقع وا إلا في باب الندبة، وتقع فيه معها يا، ولا يقع في باب الاستغاثة سوى يا، فيا أعمُّها فلذلك هي أم الباب"[٧]. وقال الشاطبي:"(يا) وهي أم الباب،

---

[١] ابن مالك: شرح الكافية الشافية ، تحقيق: عبد المنعم هريدي ، الناشر: جامعة أم القرى – مكة المكرمة ، ط١ ، ١٢٨٩/٣ .
[٢] البيت لذي الرمة في ديوانه: تحقيق: عبد القدوس أبو صالح ، الناشر: مؤسسة الإيمان – جدة ، ط١ ، ١٩٨٢م ، ٧٦٧/٢ .
[٣] ابن جني: اللمع في العربية ، تحقيق: فائز فارس ، الناشر: دار الكتب الثقافية – الكويت ، ص ١٠٨ .
[٤] المرجع نفسه ، ص١٠٨ .
[٥] ابن الحاجب: الكافية في علم النحو ، تحقيق: الدكتور صالح عبد العظيم الشاعر ، الناشر: مكتبة الآداب – القاهرة ، ط١ ، ٢٠١٠م ، ص٥٤.
[٦] محمد عيد: النحو المصفى ، الناشر: مكتبة الشباب ، بدون ت ط ، ص٤٩٦ .
[٧] الجزولي: عيسى بن عبد العزيز بن يلبخت الجزولي المراكشي ، المقدمة الجزولية في النحو ، تحقيق: شعبان عبد الوهاب محمد ، الناشر: مطبعة أم القرى ، بدون ت ط ، ص١٨٧ .

ولذلك تستعمل حيث لا يستعمل غيرها من أخواتها، فيندب بها مع (وا) ولا يندب بغيرها معها"[١].

وخلاصة هذه الأقوال أن حروف النداء ثمانية أحرف هي:(يا ، أيا ، هيا ، أي ، والهمزة ، وا ، آي ، آ) وأن (يا) هي أصل هذه الحروف وتصلح لجميع معاني النداء. وهذه الأحرف جميعها لها الصدارة في مرتبة الجملة قال ابن مالك في حديثه أداة الاستفهام:" فنزلت مما في خبرها منزلة حرف النداء من المنادى في استحقاق التقدم، فلذلك امتنع تأخيرها ولزم تصديرها"[٢].

المنادى: هو الاسم الذي يذكر بعد الأداة مباشرة . قال ابن الحاجب:" المنادى: هو المطلوب إقباله بحرف نائب مناب (أدعو) لفظا أو تقديرا" [٣] وهو مفعول به في معناه قال ابن مالك:" المنادى مفعول في المعنى، لأنه مدعو، فيستحق النصب لفظا إن كان معربا قابلاً لحركة الإعراب، كيا عبدَ الله. وتقديراً إن كان مبنياً أو معرباً غير قابل لحركة الإعراب، كيا زيدُ، ويا رقاشِ، ويا فتى، ويا أخي. وناصبه أنادي لازم الإضمار لظهور معناه مع كثرة الاستعمال وقصد الإنشاء، ولجعل العرب أحد الحروف المذكورة كالعوض منه"[٤].

قال الزمخشري:" ومن المنصوب باللازم إضماره المنادى لأنك إذا قلت يا عبد الله فكأنك قلت يا أريد أو أعني عبد الله. ولكنه حذف لكثرة الاستعمال وصار (يا) بدلاً منه. ولا يخلو من أن

---

[١] الشاطبي: المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية ، تحقيق: عبدالرحمن بن سليمان العثيمين وآخرون ، الناشر: معهد البحوث العلمية ، جامعة أم القرى – مكة المكرمة ، ط١ ، ١٤٢٨هـ ، ٢٣٤/٥ .

[٢] ابن مالك: شرح التسهيل الفوائد ٤٢٢/٢

[٣] ابن الحاجب: الكافية في علم النحو ، ص١٩

[٤] ابن مالك: شرح التسهيل الفوائد ٣٨٥/٣.

ينتصب لفظاً أو محلاً. فانتصابه لفظاً إذا كان مضافاً كعبد الله أو مضارعاً له كقولك يا خيراً من زيد ويا ضارباً زيداً ويا مضروباً غلامه ويا حسناً وجه الأخ ويا ثلاثة وثلاثين. أو نكرة كقوله:[١]

فيا راكباً إما عرضت فبلغا ندامايَ من نجران ألا تلاقيا

وانتصابه محلاً إذا كان مفرداً معرفة كقولك يا زيد ويا غلام ويا أيها الرجل. أو داخلة عليه لام الاستغاثة أو لام التعجب كقوله:[٢]

يا لعطافنا ويا للرياح وأبي الحشرج الفتى النفاح

وقولهم يا للماء ويا للدواهي. أو مندوباً كقولك يا زيداه"[٣].

وقال السيوطي:" من المنصوب مفعولاً به بفعل لازم الإضمار باب المنادى وللزوم إضماره أسباب: الاستغناء بظهور معناه ، وقصد الإنشاء، وإظهار الفعل يوهم الإخبار، وكثرة الاستعمال، والتعويض منه بحرف النداء ،ويقدر بأنادي أو أدعو إنشاء هذا مذهب الجمهور وذهب بعضهم إلى أن الناصب له معنوي وهو القصد ورد بأنه لم يعهد في عوامل النصب وذهب بعضهم إلى أن الناصب له حرف النداء ثم اختلفوا فقيل على سبيل النيابة والعوض عن الفعل فهو على هذا مشبه بالمفعول به لامفعول به وعليه الفارسي"[٤]

وعلى ضوء هذه الأقوال ندرك أن المنادى لا يكون إلا اسماً سواء كان مذكوراً كقول

---

[١] البيت لعبد يغوث بن وقاص الحارثي ، أورده محمد بن محمد بن حسن شرَّاب في كتابه شرح الشواهد الشعرية في أمهات الكتب النحوية ، الناشر: مؤسسة الرسالة ، بيروت- لبنان ، ط١٤٢٧،١هـ ، ٣٢٨/٣ .

[٢] البيت بلا نسبة أورده شُرَّاب في كتابه: شرح الشواهد الشعرية في أمهات الكتب النحوية ٢٤٨/١ .

[٣] الزمخشري: المفصل في صنعة الإعراب ، تحقيق: علي بو ملحم ، الناشر: مكتبة الهلال – بيروت ، ط١ ، ١٩٩٣م ، ص٦٢

[٤] السيوطي: عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين ، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي ، الناشر: المكتبة الوقفية – مصر ، بدون ت ط ، ٣٢/٢ .

الشاعر:[1]

أفاطم مهلاً بعض هذا التدلل وإن كنت قد أزمعت صرمي فأجملي

أو كان محذوفاً كقول الشاعر:[2]

ألا يا اسلمي يا دار مي على البلى ولا زال منهلاً بجرعائك القطر

والتقدير: ألا يا هذه اسلمي . والمنادى هو المخاطب بالنداء ، وهو مفعول به في معناه وذلك بتقدير الفعل (أدعو) أو الفعل (أنادي). قال ابن الأنباري:" فإن قيل: فلِمَ كان المضاف والنكرة منصوبين؟ قيل: لأنَّ الأصل في كل منادى أن يكون منصوبًا؛ لأنه مفعول؛ إلا أنه عرض في المفرد المعرفة ما يوُجب بناءه؛ فبقي ما سواه على الأصل"[3].

مضمون النداء:

هو الجملة التي تأتي بعد المنادى لتكمل جملة النداء ، وأكثر ما تكون جملة طلبية كقولنا: يا زيدُ قم أو لا تفعل، ومنه قوله تعالى:﴿ وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞ ﴾{هود: ٩٣ } وقوله تعالى:﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ ﴾{النساء: ١٧١ }، وقد تكون جملة خبرية كقوله تعالى:﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ ﴾{الصافات: ١٠٢}.

تركيب جملة التمني:

---

[1] البيت لامرئ القيس في ديوانه ، ص٣٢ .
[2] البيت لذي الرمة في ديوانه ، ٥٥٩/١ .
[3] ابن الأنباري: أسرار العربية ، ص ١٧٢

تتكون جملة التمني من أداة التمني والمُتَمَنَّى[*]. كقولنا: ليت زيداً قائمٌ ، فالأداة : ليت ، والمتمنى: قيام زيد.

أولاً الأداة:

تنقسم أدوات التمني إلى: أداة أصلية هي (ليت) ، وأدوات غير أصلية تنوب عن ليت في جملة التمني هي:(لو، ألا ، لعل ، هل) .

أجمع النحويون والبلاغيون على أن الأداة الأصلية لجملة التمني هي ليت فقط. قال السكاكي:" اعلم أن الكلمة الموضوعة للتمني هي ليت وحدها "[١]. وقال الهاشمي:" وللتمني أربع أدوات واحدةٌ أصلية وهي (ليتَ) وثلاث غيرُ أصلية نائبة عنها، ويتمنى بها لغرض بلاغي"[٢].

وقال الصعيدي في حديثه عن أقسام الطلب:" منها التمني ، واللفظ الموضوع له (ليت)، ولا يشترط في التمني الإمكان، تقول: (ليت زيداً يجيء، وليت الشباب يعود). قال الشاعر:[٣]

يا ليت أيام الصِّبَا رواجعا

وقد يُتمنى بـ (هل) ؛ كقول القائل: (هل لي من شفيع) في مكان يعلم أنه لا شفيع له فيه لإبراز المتمنى ..."[٤] .

---

[*] ذكره الفاروقي في حديثه عن الترجي قال: والفرق بينه وبين التمني أنّ في التمني لا يشترط إمكان المتمنَّى.(انظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ٤١٥/١).

[١] السكاكي: مفتاح العلوم ٣٠٧/١

[٢] السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة ٨٨/١

[٣] البيت بلا نسبة أورده شُرَّاب في كتابه: شرح الشواهد الشعرية في أمهات الكتب النحوية ٨١/٢.

[٤] الصعيدي: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح ٢٥١/٢ .

وأداة التمني (ليت) تختص بدخولها على الجملة الاسمية فهي من أخوات (إنَّ) . قال سيبويه:" واعلم أن لعل وكأن وليت ثلاثتهن يجوز فيهن جميع ما جاز في أن، إلا أنه لا يرفع بعدهن شيء على الابتداء، ومن ثم اختار الناس ليت زيداً منطلق وعمراً وقبح عندهم أن يحملوا عمراً على المضمر حتى يقولوا هو..."[1]. وذكر ابن يعيش: أن ليت معناها: أتمنى. وتعمل عمل إن وأخواتها من نصب الاسم ورفع الخبر، نحو قولك: "ليت زيداً قائم". قال الله تعالى: ﴿ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ ﴾{الأنعام: ٢٧ } ، فالنون والألف في موضع منصوب بأنه اسم "ليت"، و"نرد" في موضع الخبر. وتقديره: مردودون ثم ذكر أن الفراء أجاز نصبها للاسم والخبر معاً معللاً أنها بمعنى الفعل(أتمنى) وهو ينصب مفعولين[2]. وقال ابن الأنباري:" فأما ما يغير اللفظ والمعنى؛ فنحو: "ليت" فتقول: ليت زيدًا منطلق؛ فليت قد غيرت اللفظ، وغيرت المعنى، أما تغيير اللفظ؛ فلأنها نصبت الاسم، ورفعت الخبر، وأما تغيير المعنى؛ فلأنها أدخلت في الكلام معنى التمني"[3].

ونفهم من هذه الأقوال أن التمني له أداة واحدة هي (ليت) وهو قول السكاكي ؛ أما بقية الأدوات التي ذكرت فهي لأساليب أخرى خرجت عن معناها الحقيقي إلى معنى التمني. ففي قولنا: هل لي من شفيع؟ فهل هنا أداة استفهام ولكنها خرجت من معناها إلى معنى التمني ، والمعنى: ليت لي شفيع. وهكذا في بقية أدوات التمني التي ذكرت ف(لعل) أداة

---

[1] سيبويه: الكتاب ١٤٦/٢

[2] بتصرف / ابن يعيش: شرح المفصل ٥٦٨/٤

[3] ابن الأنباري: أسرار العربية ، ص٤٠ .

ترجي وقد تخرج من معناها إلى التمني و(لو) أداة شرط وقد تخرج إلى معنى التمني.

وسيتضح ذلك أكثر في الحديث عن أقسام الجملة الطلبية.

المُتَمَنَّى:

هو الشيء الذي يطلب حصوله ، وهو معنى يؤخذ من خلال الجملة التي تلي أداة التمني، وهو على ضربين: متمنى يمكن حصوله ، وآخر لا يمكن حصوله. قال العلوي: وليس من شرط المتمنى أن يكون ممكناً بل يقع في الممكن وغير الممكن، قال الله تعالى:﴿ يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ ﴾ {القصص: ٧٩}. وقال تعالى:﴿ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾{النساء: ٧٣ } "[1] ففي الآية الأولى المتمنى ما آتاه الله قارون وهو شيء يمكن حصوله . ومن ذلك قول المتنبي:[2]

فيا ليت ما بيني وبين أحبتي من البعد ما بيني وبين المصائب

وأما الآية الثانية بها متمنيان هما: (مرافقتهم) و (الفوز العظيم) وهما مما لا يمكن حصوله لفوات الأوان. قال ابن جني: "محصول ذلك أن يتمنى الفوز، فكأنه قال: يا ليتني أفوز فوزًا عظيمًا، ولو جعله جوابًا لنصبه؛ أي: إن أكن معهم أفز، هذا إذا أصبحت بالشرط ، إلا أن الفاء إن دخلت جوابًا للتمني نُصب الفعل بعدها بإضمار أن، وعُطف أفوز على كنت معهم

---

[1] العلوي: يحي بن حمزة بن علي بن إبراهيم ، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت ، ط١ ، ١٤٢٣هـ ، ١٦٠/٣ .

[2] البيت للمتنبي في ديوانه: الناشر: دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٤٠٣هـ ، ص٢٢٥ .

لأنهما جميعًا متمنيان"[١]. ومن ذلك قول الشاعر:[٢]

فليت الليل فيه كان شهراً ومرّ نهاره مرّ السّحاب

أيضاً في البيت متمنيان هما: طول الليل وقصر النهار. أما من حيث الرتبة فالمتمنى يأتي بعد الأداة ، وذلك لأن ليت تدخل على المبتدأ والخبر ولا يصح أن يتقدما عليها ، والمتمنى مأخوذ منهما . قال محمد عيد: " الأصل أن تجيء جملة المبتدأ والخبر بعد هذه الحروف على الترتيب الأصلي هكذا "الحرف الناسخ + الاسم + الخبر" فلا يصح توسط الخبر بين هذه الحروف وبين الاسم، كما لا يصح أن يتقدم على الحروف الناسخة من باب أولى"[٣].

ثانياً: إعراب الجملة الطلبية:

تقدم الكلام عن الجملة في المبحث الأول ، فهي لابد أن تتركب من مسند ومسند إليه ، فعلية كانت أم اسمية . فالجملة الطلبية هي جملة مكونة من هذين الركنين(مسند–مسند إليه)أيًّاً كان نوعها. لذلك سيأتي الحديث عن إعراب كل جملة من ناحيتين: الأولى: إعراب مفرداتها ، والثانية: موقعها الإعرابي من الجملة.

إعراب جملة الاستفهام:

تتكون جملة الاستفهام من أداة الاستفهام وما يليها من مستفهم عنه . أما الأدوات فهي حروف وأسماء. فالحروف لا محل لها من الإعراب. فقولنا: (هل حضر زيد؟) هل: حرف

---

[١] ابن جني: المحتسب ١٩٢/١ .
[٢] البيت في جواهر البلاغة ٨٨/١
[٣] محمد عيد: النحو المصفى ، ص٢٨٦.

استفهام لا محل له من الإعراب. حضر: فعل ماضٍ. زيدٌ: فاعل. قال العكبري في إعراب قوله تعالى:﴿ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ ﴾{آل عمران: ١٥٤ } من شيء: من زائدة، وموضعه رفع بالابتداء، وفي الخبر وجهان: أحدهما: لنا، فمن الأمر على هذا حال؛ إذ الأصل هل شيء من الأمر. والثاني: أن يكون من الأمر هو الخبر، و(لنا) تبيين[١]

لم يتطرق العكبري لإعراب (هل) لأنه لا محل له من الإعراب. أما حرف الاستفهام (الهمزة) فلا يليه إلا الفعل وإن وجد بعده اسم فالفعل مقدر. ففي قولنا: أزيداً رأيت؟ فالتقدير: أرأيت زيداً رأيته؟ قال العكبري:" فإن تقدم الاسم استفهام كقولك أزيدا ضربته فالنصب أجود لأن الهمزة استفهام عن فعل فتقدره إذا كان معك ما يفسره فإن قلت أزيد مضروب رفعت إذ ليس معك ما يفسر المقدر الناصب"[٢] ومن ذلك قول الشنفرى:[٣]

فَقَالُوا: لقد هرَّت بلَيْل كلابنا فَقُلْنَا: أذئب عسَّ أم عسَّ فرعل؟[*]

قال العكبري:" وقوله: (أذئب) هو مرفوع بفعل محذوف يفسره (عسَّ). ولما كان موجودا بعد الاسم قدر قبله من جنسه، وعلى هذا لا يكون (لعس) موضع من الإعراب لأنه مفسر لما لا موضع له"[٤].

أما أسماء الاستفهام فهي تعرب بحسب ما يستفهم بها. قال عبد الكريم محمود:" تعرب أسماء الاستفهام بحسب ما يستفهم بها عنه ، فإذا استفهم بها عن مبتدأ أعربت كذلك ، مثل: من

---

[١] العكبري: التبيان في إعراب القرآن ، تحقيق: علي محمد البجاوي ، الناشر: عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ، ٣٠٣/١ .
[٢] العكبري: اللباب في علل البناء والإعراب ٤٦٨/١ .
[٣] العكبري: إعراب لامية الشنفرى ، تحقيق: محمد أديب عبد الواحد ، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت ، ط١ ، ١٤٠٤هـ ، ص١٣٢ .
[*] عسَّ بمعنى طاف . والفرعل ولد الضبع والأنثى فرعلة .انظر: المرجع نفسه ص١٣٣ .
[٤] العكبري: إعراب لامية الشنفرى ، ص ١٣٣ .

غائب؟ الجواب: أحمد غائب. وإذا استفهم بها عن خبر أعربت كذلك ، مثل: ما الأمر؟ الجواب: الأمر صعبٌ . وإذا استفهم بها عن مفعول به أعربت كذلك ، مثل: من قابلت ؟ الجواب: قابلت علياً..."[1]

قال صافي في إعراب قوله تعالى:﴿ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَا ﴾{البقرة: ٢٥٩} :"(أنّى) بمعنى كيف في محلّ نصب حال من هذه ، (يحيى) مضارع مرفوع وعلامة الرفع الضمّة المقدّرة على الياء (ها) حرف تنبيه (ذه) اسم إشارة مبنيّ في محلّ نصب مفعول به مقدّم، (الله) فاعل مرفوع (بعد) ظرف زمان منصوب متعلّق ب (يحيي) ، (موت) مضاف إليه مجرور و (ها) ضمير مضاف إليه"[2]. وهكذا بقية أسماء الاستفهام فإنها أسماء مبنية تعرب حسب موقعها من الجملة.

أما جملة الاستفهام بأكملها فهي أيضاً تعرب حسب موقعها من الإعراب ففي قولنا: زيدٌ هل أكرمته؟ زيدٌ: مبتدأ ، وجملة هل أكرمته: في محل رفع خبر للمبتدأ، ومن ذلك قوله تعالى:﴿ ٱلۡحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ﴾{الحاقة: ١ – ٢}. وقد تقع موقع المفعول به. قال جاسم:" تقول: انظر كيف يصنع زيد؟، قال تعالى: ﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ ﴾{الإسراء: ٢١} فتكون هذه الجملة في موضع نصب على المفعول: بانظر، لأن ما يتعدّى بحرف الجر، إذا علق، صار يتعدى لمفعول، تقول: فكرت في أمر زيد، ثم تقول: فكرت هل يجيء زيد؟

---

[1] عبد الكريم محمود يوسف : أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم(غرضه- إعرابه)، الناشر: مطبعة الشام ، ط١ ، ١٤٢١هـ ، ص١٥ .
[2] صافي: محمود عبد الرحيم صافي: الجدول في إعراب القرآن الكريم ، الناشر: دار الرشيد – دمشق ، ط٤ ، ١٤١٨هـ ، ٣٥/٣ .

فيكون: هل يجيء زيد، في موضع نصب على المفعول بفكرت"[1] . وقد تكون في موقع المضاف إليه فتكون في محل جر بالإضافة ، ومنه قول الشاعر:[2]

وأجبت قائل كيف أنت ب صالح حتى مللت وملني عوادي

إعراب جملة الأمر:

سبق الحديث عن تقسيم جملة الأمر إلى أربع صيغ هي: صيغة فعل الأمر، والفعل المضارع المسبوق بلام الأمر ، ومصدر فعل الأمر ، واسم فعل الأمر.

أولاً فعل الأمر:

اختلف النحويون حول بناء فعل الأمر وإعرابه . فذهب البصريون إلى أنه مبني على السكون ، وذهب الكوفيون إلى أنه معرب مجزوم . فالكوفيون حجتهم أن الأمر(افعل–لتفعل) كلاهما للحاضر ويؤديان معنىً واحداً، وأن الأصل في الأمر أن يكون باللام فلما كثر استعمالها حذفت مع حرف المضارعة طلباً للتخفيف ، وجاءت همزة الوصل للنطق بالحرف الساكن.

واستدلوا لذلك بقول تعالى: ﴿ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾{يونس: ٥٨} في قراءة من قرأ(فبذلك فلتفرحوا) . وقول الرسول: – صلى الله عليه وسلم – "لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ"[3].أي خذوا .

وأما البصريون فحجتهم أنه مبني على السكون لأن الأصل في الأفعال أن تكون مبنية، والأصل في البناء أن يكون على السكون، وإنما أعرب ما أعرب من الأفعال أو بني منها

---

[1] ياسين جاسم المحيميد: الإعراب المحيط من تفسير البحر المحيط ، الناشر: المكتبة الشاملة ، بدون ت ط ، ٤٢/٢ .

[2] البيت بلا نسبة وهو في مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ص٥٥١ .

[3] الحديث في سنن أبي داؤود ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، الناشر: المكتبة العصرية – بيروت – لبنان ، بدون ت ط ، ٢٠١/٢ .

على فتحة لمشابهة ما بالأسماء، ولا مشابهة بوجه ما بين فعل الأمر والأسماء؛ فكان باقيًا على أصله في البناء.[1] والذي يترجح قول البصريين لأن الفعل سواء كان باللام أو بدونها فهو ملازم للسكون والملازمة علامة بناء وليست علامة إعراب .

وعلى كل حال فإن فعل الأمر هو جملة فعلية فاعلها ضمير سواء كان بارزاً كقولنا: قوموا ، أو كان مستتراً كقولنا: قم .ومن ذلك قوله تعالى:﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾{الأعراف: ١٩٩}. قال صافي في إعراب هذه الآية:" (خذ) فعل أمر، والفاعل أنت (العفو) مفعول به منصوب (الواو) عاطفة (وأمر) مثل خذ (بالعرف) جارّ ومجرور متعلّق ب (وأمر) ، (الواو) عاطفة (أعرض عن الجاهلين) مثل وأمر بالعرف، والجارّ والمجرور متعلّق ب (أعرض) وعلامة الجرّ الياء"[2]. ومن ذلك قوله تعالى:﴿ لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ ﴾{الطلاق: ٧ } .اللام: لام الأمر ، وينفق: فعل مضارع مجزوم باللام ، وذو سعة: فاعل ، ومن سعته: جار ومجرور متعلقان بينفق[3] .

أما جملة الأمر فتعرب حسب موقعها الإعرابي ، فقد يكون موقعها الخبر كقولنا: زيدٌ أكرمه. ومنه قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾{التوبة: ٣٤ } وقد يكون موقعها مفعول به كقوله تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ

---

[1] بتصرف/الأنباري: الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين ، الناشر: المكتبة العصرية ، ط١ ، ١٤٢٤هـ ، ٤٢٧/٢وما بعدها.
[2] محمود صافي: الجدول في إعراب القرآن الكريم ١٥٦/٩ .
[3] درويش: محي الدين أحمد مصطفى ، إعراب القرآن وبيانه ، الناشر: دار اليمامة – دمشق ، ط٤ ، ١٤١٥هـ ، ١٢٥/١٠ .

كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ ﴾{العنكبوت: ١٢ }.فجملة (اتبعوا سبيلنا) في محل نصب مفعول به للفعل قال. قال الدعاس في إعراب هذه الآية:"(اتَّبِعُوا سَبِيلَنا)أمر وفاعله ومفعوله والجملة مقول القول(وَلْنَحْمِلْ)الواو حرف عطف ومضارع مجزوم بلام الأمر والفاعل مستتر(خَطاياكُمْ)مفعول به والجملة معطوفة على ما قبلها"[١]

إعراب جملة النهي:

جملة النهي لها صيغة واحدة هي لا الناهية مع الفعل المضارع سواء أسند إلى ضمير أو اسم ظاهر. فالأول كقول الشاعر:[٢]

لا تعجبي يا سلمى من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى

فلا : أداة نهي وجزم ، تعجبي: فعل مضارع مجزوم بلا الناهية وعلامة جزمه حذف النون ، وياء المخاطبة في محل رفع فاعل، ومنه قوله تعالى:﴿ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ ﴾{البقرة: ٢٣٧} . فلا: ناهية جازمة ، تنسوا: فعل مضارع مجزوم بلا الناهية وعلامة جزمه حذف النون، واو الجماعة: في محل رفع فاعل ، الفضل: مفعول به منصوب. أما الفعل المضارع المسند إلى اسم ظاهر كقوله تعالى:﴿ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ ﴾{البقرة: ٢٨٢} . لا: ناهية جازمة ، يأب: فعل مضارع مجزوم وعلامة جزمه حذف حرف العلة ، الشهداء: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة.

---

[١] الدعاس: أحمد عبيد الدعاس وآخرون ، إعراب القرآن الكريم ، الناشر: دار الفارابي للنشر ، ط١ ، ١٤٢٥هـ ، ٤٤٨/٢ .
[٢] البيت لدعبل بن علي الخزاعي في ديوانه ، شرح : حسن حمد ، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٤هـ ، ص١٠٦.

أما الجملة بكاملها تعرب حسب موقعها من الإعراب . فقد تكون في موضع المفعول به كقولنا: قلتُ له لا تفعل . قال الشاعر:[1]

فقلت له: صَوِّبْ ولا تَجْهَدَنهُ فيُدْنِكَ من أُخرى القَطاةِ فتَزْلَقِ

فجملة (لا تجهدنه) معطوفة على جملة (صوِّب) وهي في محل نصب مفعول به.

وقد تأتي في محل جزم كقوله تعالى:﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ ﴾ {الأنعام: ١٥٣}.فجملة(لا تتبعوا) معطوفة على جملة(فاتبعوه)وهي محلها الجزم. قال صافي إعرابها:" جملة: (اتّبعوه ...) في محلّ جزم جواب شرط مقدّر أي: إن وضح لكم سبيلي فاتّبعوه. وجملة(لا تتّبعوا السبل) : معطوفة على جملة اتّبعوه[2].

وأكثر ما تأتي جملة النهي في مضمون النداء وخصوصاً بعد قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ﴾ فصيغة النداء هذه أكثر ما يأتي بعدها الأمر أو النهي. وورودها في هذا الموضع لا محل لها من الإعراب.

إعراب جملة النداء:

تتكون جملة النداء من الأداة ، والمنادى ، ومضمون النداء . فأدوات النداء حروف لا محل لها من الإعراب . أما المنادى فالأصل فيه أن يكون منصوباً وقد يبنى على الضم في محل نصب. قال سيبويه:" اعلم أن النداء كل اسم مضاف فيه فهو نصب على إضمار الفعل

---

[1] البيت لامرئ القيس في ديوانه ، ص١٣١ .
[2] محمود صافي: الجدول في إعراب القرآن ٣٣٣/٨ .

المتروك إظهاره. والمفرد رفع وهو في موضع اسم منصوب"[١]. وقال المبرد:" فإن كان المنادى واحداً مفرداً معرفة بني على الضم ولم يلحقه تنوين"[٢] .

ويكون المنادى منصوباً إذا كان مضافاً أو شبيهاً بالمضاف ، أو نكرة غير مقصودة . قال ابن عقيل:" إذا كان المنادى مفرداً نكرة أي غير مقصودة أو مضافاً أو مشبهاً به نصب. فمثال الأول قول الأعمى: يا رجلاً خذ بيدي وقول الشاعر:

أيا راكباً إما عرضت فبلغا ندامای من نجران أن لا تلاقيا

ومثال الثاني قولك: يا غلام زيد ويا ضارب عمرو. ومثال الثالث قولك: يا طالعاً جبلاً ويا حسناً وجهه ويا ثلاثة وثلاثين فيمن سميته بذلك"[٣].

والمنادى المضاف كقول الشاعر: [٤]

يا دار عبلة بالجواء تكلمي وعمي صباحاً دار عبلة واسلمي

يا: أداة نداء ، دار: منادى منصوب وهو مضاف ، عبلة: مضاف إليه. ومن ذلك قوله تعالى:﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾{يوسف: ٨٧ }. أما الثاني كقولنا: يا طالعاً جبلاً . والثالث كقولنا: يا رجلاً اكرمني. ويكون المنادى مبني على ما يرفع به إذا كان معرفة مفرداً كقولنا: يا خالدُ قم ، ويا طالبُ أقبل .

أما إعراب جملة النداء بكاملها فتعرب حسب موقعها من الإعراب ففي قوله تعالى:﴿ قَالُواْ

---

[١] سيبويه: الكتاب ١٨٢/٢.
[٢] المبرد: المقتضب ٢٠٤/٤.
[٣] ابن عقيل: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٢٦٠/٣
[٤] البيت لعنترة بن شداد في ديوانه : تحقيق: محمد سعيد مولوي ، الناشر: المكتب الإسلامي ، بدون ت ط ، ص١٨٣ .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ ﴾{يوسف: ٨٨}. جملة النداء في محل نصب مفعول به .

وفي قول الشاعر:[١]

قول يا للرجال ينهض منا مسرعين الكهول والشبانا

جملة النداء في محل جر مضاف إليه.

إعراب جملة التمني:

تتكون جملة النداء من الأداة (ليت) واسمها وخبرها (المتمنى) ، أما الأداة فهي من أخوات (إنَّ) تدخل على المبتدأ والخبر ، تنصب المبتدأ اسماً لها وترفع الخبر خبراً لها.

قال تعالى: ﴿ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ﴾{الفرقان: ٢٧} . ليت: حرف تمني ونصب ، والنون: نون الوقاية لا محل لها من الإعراب ، والياء: ياء المتكلم في محل نصب اسم ليت ، اتخذتُ: فعل وفاعل ، مع الرسول: مضاف ومضاف إليه ، سبيلاً: مفعول به. وجملة(اتخذت مع الرسول سبيلاً) في محل رفع خبر ليت. قال الشاعر:[٢]

فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والأنام غضاب

ليت: أداة تمني ونصب ، الكاف: ضمير في محل نصب اسم ليت ، الواو: حرف عطف، الحياة مريرة : معوف على ليتك تحلو ، الواو: حرف عطف ، جملة(ليتك ترضى والأنام غضاب) معطوفة على جملة(ليتك تحلو والحياة مريرة).

---

[١] البيت بلا نسبة ، أورده شُرَّاب في كتابه : شرح الشواهد الشعرية في أمهات الكتب النحوية ٢٤٤/٣ .
[٢] البيت للمتنبي في ديوانه ، ص ٤٧٨ .

أما إعراب الجملة بكاملها فهي كغيرها من الجمل الطلبية تعرب حسب موقعها من الإعراب .

قال درويش في إعراب قوله تعالى:﴿ وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴾ {الكهف: ٤٢ } وجملة يا ليتني لم أشرك مقول القول"[١]. فهي في محل نصب مفعول به.

ومن خلال الحديث عن مفهوم الجملة الطلبية وإعرابها اقتُصر الحديث على هذه الخمسة الأنواع لقول السكاكي:" فبالحري أن تبين كيف يتفرع عن هذه الأبواب الخمسة التمني والاستفهام والأمر والنهي. والنداء ما يتفرع على سبيل الجملة إذ لا بد منه"[٢]. ووافقه على هذا التقسيم أكثر البلاغيين ، قال الهاشمي:" وأنواعه خمسة : الأمر ، والنهي ، والاستفهام ، والتمني ، والنداء"[٣]. وذكر القزويني أن أنواع الطلب كثيرة وتناول منها هذه الأنواع الخمسة(التمني والاستفهام والأمر والنهي والنداء)[٤]. قال..." وينحصر في مباحث خمسة :الأمر والنهي والتمني والاستفهام والنداء"[٥].وقال بسيوني:" ويشمل أساليب: الأمر والنهي والتمني والاستفهام والنداء"[٦].

ومن البلاغيين من أضاف إلى هذه الخمسة الدعاء والترجي والإغراء والتحذير. قال حبنَّكة :" ...الإنشاء الطلبي وفيه ستة أنواع: النوع الأول: الأمر والنهي. النوع الثاني: التحذير والإغراء. النوع الثالث: النداء. النوع الرابع: التمني والترجي. النوع الخامس: الدعاء. النوع

---

[١] درويش: إعراب القرآن وبيانه ٦٠٣/٥ .
[٢] السكاكي مفتاح العلوم ٣٠٤/١
[٣] الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص ٧٠ .
[٤] القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة ٥٢/٣ .
[٥] فضل حسن عباس : البلاغة فنونها وأفنانها ، الناشر: دار الفرقان للطباعة والنشر- الأردن ، ط٤ ، ١٤١٧هـ، ص١٥٠.
[٦] بسيوني: بسيوني عبد الفتاح فيود ، دراسة بلاغية ونقدية لعلم المعاني ، الناشر: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، ط٤ ، ٢٠١٥م ، ص٣٥٤.

السادس: الاستفهام"[١]. وذكر قاسم وديب أنه يكون خاصة في هذه الخمسة المعروفة ثم أضافا إليها العرض والتحضيض والدعاء والالتماس[٢]. وقال قلقيلة: "هو الأمر والنهي والاستفهام والرجاء والتمني والنداء"[٣].

والذي يترجح من هذه التقسيمات أن الجملة الطلبية تنحصر في (الاستفهام والأمر والنهي والتمني والنداء) وذلك لسببين: الأول: أن أكثر البلاغيين قالوا بذلك ؛ والثاني: أن هذه الأنواع التي أضافوها تعود في أصلها إلى هذه الخمسة الأنواع. فالإغراء والتحذير يرجعان إلى الأمر والنهي ، كما أن الدعاء والالتماس يتولدان من خروج الأمر والنهي من معناهما الحقيقي إلى الدعاء أو الالتماس. أما العرض والتحضيض فمنهما ما يرجع إلى الاستفهام ، ومنهما ما يرجع إلى التمني ، ومنهما ما يرجع إلى الشرط. أما الترجِّي[*] فهو توقع أمر مكروه أو محبوب وما أفاد منه معنى الطلب فهو تمني وسيتضح ذلك–بإذن الله– في التفصيل عن الخمسة الأقسام المشهورة.

---

[١] حبنكة: البلاغة العربية ٢٤١/١.

[٢] بتصرف/ محمد أحمد قاسم ومحي الدين ديب : علوم البلاغة العربية (البديع- البيان– المعاني) ، الناشر: المؤسسة الحديثة للكتاب- لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٣م ، ص٢٨٢.

[٣] قلقيلة: عبد العزيز عبده قلقيلة ، البلاغة الاصطلاحية ، الناشر: دار الفكر العربي- القاهرة - مصر ، ط٣ ، ١٤١٢هـ ، ص ١٤٧.

(*) مصدر الفعل(ترجَّى) على وزن (تفعَّل) الذي يدل على الطلب.انظر:(شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك٢٦٤/٤=

الفـــصـــــــل الثـــانـــي

أنـــواع الـــجـــمـــلـــة الطـــلـــبـــيـــة

المبحث الأول : جملة الاستفهام

المبحث الثاني : جملة الأمـــــر

المبحث الثالث : جملة النـــهـــي

المبحث الرابع : جملة النداء

المبحث الخامس : جملة التمني

المبحث الأول

جملة الاستفهام

الاستفهام مصدر الفعل (استفهم) وهو طلب الفهم قال الفيروز آبادي:"واسْتَفْهَمَنِي فأَفْهَمْتُه وفَهَّمْتُه"[١]. وقال الشريف الجرجاني:" الاستفهام: استعلام ما في ضمير المخاطب، وقيل: هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن، فإن كانت تلك الصورة وقوع نسبة بين الشيئين، أو لا وقوعها، فحصولها هو التصديق، وإلا فهو التصور"[٢]. وعرفه المراغي بقوله:" هو طلب فهم شيء لم يتقدم لك علم به، بأداة من إحدى أدواته"[٣]. وعرفه الهاشمي بقوله: " الاستفهام: هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل وذلك بأداة من إحدى أدواته"[٤]. وقال السبكي:" الاستفهام أحد أنواع الطلب استفعال، فهو طلب الفهم، وقد يخرج عن ذلك لتقرير أو غيره"[٥]. وقال أحمد مطلوب:" الاستفهام طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل، وهو الاستخبار الذى قالوا فيه إنّه طلب خبر ما ليس عندك، أي طلب الفهم. ومنهم من فرق بينهما وقال إنّ الاستخبار ما سبق أولاً ولم يفهم حق الفهم، فإذا سألت عنه ثانياً كان استفهاماً. ولكن المستعمل في الدراسات البلاغية مصطلح (الاستفهام)"[٦]. ونستخلص من هذه الأقوال : أن

فهو طلب الرجاء ، ولعل البلاغيين استخدموه بدل الرجاء ليدخلوه في أبواب الطلب-والله أعلم.

[١] الفيروز آبادي : القاموس المحيط ١١٤٦/١ .

[٢] الشريف الجرجاني : التعريفات ، ص١٨ .

[٣] المراغي : علوم البلاغة (البيان- المعاني - البديع) ، ص ٦٤ .

[٤] الهاشمي : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص ٧٨ .

[٥] السبكي : عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ، ١/ ٤٢٣ .

[٦] أحمد مطلوب : أحمد مطلوب أحمد الناصري الصيادي ، أساليب بلاغية(الفصاحة-البلاغة-المعاني) الناشر: وكالة المطبوعات – الكويت ، ط١ ، ١٩٨٠م ، ص ١١٩ .

الاستفهام هو طلب فهم الشيء أو العلم به . وأنه لا بد له من أداة . وأنه يخرج من معناه الحقيقي إلى معان أخرى لغرض بلاغي.

أدوات الاستفهام:

سبقت الإشارة إلى أن أدوات الاستفهام نوعان: حروف وأسماء . وتنقسم من حيث التصور والنسبة إلى ثلاثة أقسام . قال السكاكي:" للاستفهام كلمات موضوعة، وهي: الهمزة وأم وهل وما ومن وأي وكم وكيف وأين وأنى ومتى وأيان بفتح الهمزة وبكسرها– وهذه اللغة أعني كسر همزتها تقوِّي إيان أن يكون أصلها أي أو إن– وهذه الكلمات ثلاثة أنواع: أحدها يختص طلب حصول التصور، وثانيها يختص طلب حصول التصديق، وثالثها لا يختص"[1]. وذكر أحمد مطلوب أن أدوات الاستفهام كثيرة وهي نوعان: النوع الأول حرفان هما: (الهمزة ، هل) فالهمزة تستعمل لطلب التصديق ولطلب التصور. فطلب التصديق مثل: أقام محمد؟ والجواب عنها يكون بأحد حروف التصديق(نعم،لا). وطلب التصور مثل: أقام محمد أم قعد؟ والجواب عنها يكون بتحديد المفرد. أما هل فلا تستعمل في غير التصديق مثل: هل قام محمد؟ والجواب عنها يكون بـ(نعم أو لا). أما النوع الثاني من الأدوات فهو أسماء ولا يطلب بها غير التصور وهي:(ما ، من ، أي ، كم ، كيف ، أين ، أنَّى ، متى ، أيَّان)[2]. وقال القزويني: " اعلم أن هذه الكلمات ثلاثة أنواع: أحدها يختص بطلب التصديق وهو هل ، وثانيها يختص

---

[1] السكاكي: مفتاح العلوم ٣٠٨/١ .
[2] بتصرف/ أحمد مطلوب : أساليب بلاغية ، ص١٢٠ .

بطلب التصور وهو سائر أسماء الاستفهام، وثالثها مشترك بينهما وهو الهمزة تجيء لطلب التصور والتصديق لعراقتها في الاستفهام ، ولهذا يجوز أن يقع بعد أم سائر كلمات الاستفهام سوى الهمزة ، قال جل شأنه:﴿ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ ﴾{الرعد: ١٦}. وقال:﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ ﴾{الملك: ٢٠} . وقال: ﴿أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ {النمل: ٨٤}. وأم ههنا بمعنى بل التي تكون للانتقال من كلام إلى كلام آخر من غير اعتبار استفهام"[١]. ولخص هذه الأقوال الهاشمي بقوله:" وتقسم بحسب الطلب إلى ثلاثة أقسام: ما يطلب به التصور تارة، والتصديق تارة أخرى، وهو الهمزة . وما يطلب به التصديق فقط ، وهو هل . وما يطلب به التصور فقط ، وهو بقية ألفاظ الاستفهام "[٢] . وعلى هذا التقسيم سيأتي تفصيل عمل هذه الأدوات .

أولاً ما يطلب به التصديق فقط: وهو (هل) ، قال السكاكي:" وهل من النوع الثاني لا تطلب به إلا التصديق كقولك هل حصل الانطلاق وهل زيد منطلق؟ "[٣]. وذكر ابن هشام أنه للتصديق الإيجابي فقط. قال:" حرف موضوع لطلب التصديق الإيجابي دون التصور ودون التصديق السلبي فيمتنع نحو هل زيداً ضربت لأن تقديم الاسم يشعر بحصول التصديق بنفس النسبة"[٤].

وهذا الحرف له عدة خصائص منها : أنه يدخل على الجملة الفعلية كقولنا: هل قام زيدٌ؟

---

[١] القزويني : التلخيص في علوم البلاغة ص١٥٣- ١٥٤.
[٢] الهاشمي : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص ٧٨ .
[٣] السكاكي: مفتاح العلوم ٣٠٩/١ .
[٤] ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ص٤٥٦ .

ويجوز دخوله على الجملة الاسمية بشرط أن يكون خبرها وصف يعمل عمل الفعل كقولنا: هل زيدٌ قائم؟ قال المبرد:" ولو قلت هل زيد قام لا يصلح إلا في الشعر لأن السؤال إنما هو عن الفعل"[١]. وقال القزويني:" ولهذا امتنع هل زيد قام أم عمرو، وقبح (هل زيدًا ضربت) لما سبق أن التقديم يستدعي حصول التصديق بنفس

الفعل والشك فيما قدم عليه، ولم يقبح (هل زيدًا ضربته) لجواز تقدير المحذوف"[٢] .

ومن خصائص هذا الحرف أنه إذا دخل على الفعل المضارع خصصه للستقبال ، ولا يجوز أن يستفهم به عن الحاضر . قال القزويني: "وهل تخصص المضارع بالاستقبال فلا يصح أن يقال: هل تضرب زيدًا وهو أخوك؟ كما تقول: أتضرب زيدًا وهو أخوك؟"[٣].

ثانياً ما يطلب به التصديق والتصور: وهو الهمزة وهي أصل أدوات الاستفهام .

قال السيوطي: " الهمزة للاستفهام والمراد به طلب الإفهام وهي الأصل فيه لكونها حرفا بخلاف ما عدا هذه من أدواته فلم تخرج عن موضوعها فلم تستعمل لنفي ولا بمعنى قد بخلاف هل"[٤]. وهذا الحرف تميز عن غيره بعدة خصائص منها: أنه الأداة الوحيدة التي تأتي للتصديق تارة وللتصور تارة أخرى . قال القزويني:" فالهمزة لطلب التصديق، كقولك: أقام زيد؟، وأزيد قائم؟، أو التصور كقولك: أدبس في الإناء أم عسل؟، وفي الخابية دبسك أم

---

[١] المبرد: المقتضب ٧٥/٢ .
[٢] القزويني: الايضاح في علوم البلاغة ٥٨/٣ .
[٣] المرجع نفسه ٥٩/٣ .
[٤] السيوطي: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ٥٨٢/٢ .

في الزق؟"[١] . وقال الزمخشري:" والهمزة أعم تصرفاً في بابها من أختها. تقول أزيد عندك أم عمرو؟. وأزيداً ضربت؟ وأتضرب زيداً وهو أخوك؟"[٢] . ومن خصائص الهمزة أنها يستفهم بها عن النفي كما يستفهم بها عن الإثبات . قال ابن هشام: " تدخل على الإثبات كما تقدم وعلى النفي نحو﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾{الشرح: ١ } وقوله:﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ ﴾{آل عمران: ١٦٥ } ..."[٣] . وذكر ذلك السيوطي في قوله:" ودخولها على النفي كما تدخل على الإثبات نحو ألم يقم زيد؟ وغيرها لا يدخل إلا على الإثبات خاصة"[٤]. ومن خصائصها أنها يجوز حذفها مع بقاء عملها ولا يصلح ذلك مع بقية الأدوات . ذكر الزمخشري أنها تحذف إذا دل عليها دليل واستشهد بقول عمر بن أبي ربيعة:[٥]

لعمرك ما أدري وإن كنت داريا بسبع رمين الجمر أم بثمان

وتقدير الكلام: أبسبع رمين الجمر؟ والدليل على حذف الهمزة وجود أم المعادلة لها[٦]

وقال السيوطي:" من أجل أصالتها فيه اختصت بالحذف أي بجواز حذفها كقوله:[٧]

طربت وما شوقا إلى البيض أطرب ولا لعبا مني وذو الشيب يلعب

أراد أَوَ ذو الشيب وسائر الأدوات لا تحذف"[٨].

---

[١] القزويني: الايضاح في علوم البلاغة ٥٦/٣ .
[٢] الزمخشري: المفصل في صنعة الإعراب ، ص٤٣٧ .
[٣] ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ص٢١ .
[٤] السيوطي : همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ٥٨٢/٢ .
[٥] البيت لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ، ص ٣٦٢ .
[٦] بتصرف/الزمخشري: المفصل في علوم البلاغة ، ص ٤٣٨ .
[٧] البيت للكميت في ديوانه ، وفي شرح الشواهد الشعرية في أمهات الكتب النحوية ١٢٥/١ .
[٨] السيوطي : همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ٢/ ٥٨٢ .

ثالثاً ما يطلب به التصور فقط: وهو الأسماء (ما ، من ، أي ، كم ، كيف ، أين ، أنَّى ، متى ، أيَّان) . قال السيوطي بعد حديثه عن الهمزة وهل:" بقية ألفاظ الاستفهام يقصد بها التصور فقط . وتختلف من جهة أن المطلوب بكل منها تصور شيء آخر"[١] . وقال السبكي:" هذا هو القسم الثالث وهو ما يطلب به التصور فقط، وهى بقية ألفاظ الاستفهام، وقد استدل عليه بقوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾{يس: ٤٨ } . فإنَّ(إن كنتم صادقين) يدل على أن المطلوب التصور وعلى أن من شرط طلبه تقدم التصديق، ألا تراه معلقا على الصدق، وبقية ألفاظ الاستفهام تقاس على متى"[٢] . وقال التفتاذاني:" والباقية من ألفاظ الاستفهام تشترك في أنها للتصور فقط ، وتختلف من جهة أن المطلوب بكل منها تصور شيء آخر"[٣] .

وخلاصة الحديث عن أدوات الاستفهام: أنَّ (الهمزة) حرف استفهام يأتي للتصديق تارة وللتصور تارة أخرى . وأما (هل) حرف استفهام يأتي للتصديق فقط . وأما الأدوات:(ما ، من ، أي ، كم ، كيف ، أين ، أنَّى ، متى ، أيَّان) فهي أسماء استفهام تأتي للتصور فقط . أي: يستفهم بها عن تصور شيء معين يختلف باختلاف الأداة . وهذان المعنيان(التصديق والتصور) نجدهما إذا كان القصد من الاستفهام طلب الفهم أو العلم (استفهام حقيقي) وسيأتي

---

[١] السيوطي: شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان ، تحقيق: إبراهيم محمد الحمداني – أمين لقمان الجبَّار، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ، ص ١٣٨ .

(٢) السبكي : عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ٤٤١/١ .

(٣) التفتازاني: المطول(شرح تلخيص مفتاح العلوم)، ص ٤١٥ .

الحديث عنه بالتفصيل[١] . أما إذا سيق الاستفهام لغير طلب الفهم والعلم (استفهام مجازي) فليس هنالك تصديق ولا تصور، فالمقصود معنى بلاغي يقصده المتكلم ويفهمه السامع من سياق الكلام . وسيأتي الحديث عنه أيضاً بالتفصيل[٢]- إن شاء الله تعالى- .

جملة الاستفهام الحقيقية:

سبقت الإشارة إلى أن الاستفهام إذا كان القصد منه طلب الفهم أو العلم ، فإما أن يصاغ للتصديق وإما يصاغ للتصور. والاستفهام في حالتي التصور والتصديق هو استفهام حقيقي وعلى هذا يمكن تقسيم الاستفهام الحقيقي إلى: استفهام تصديق ، واستفهام تصور.

أولاً استفهام التصديق:

ويكون بطلب معرفة حصول النسبة بين شيئين أو عدم حصولها كقولنا: (هل قام زيد؟) فالاستفهام عن حصول القيام من زيد . قال السكاكي:" وإذا تأملت التصديق وجدته راجعا على تفصيل المجمل . وهو طلب تعيين الثبوت أو الانتفاء في مقام التردد"[٣].

وقال المراغي :" هو إدراك نسبة يتردد العقل بين ثبوتها ونفيها"[٤] .

ومثال استفهام عن نسبة التصديق قوله(صلى الله عليه وسلم): " لو أخبرتكم أنَّ خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي؟ قالوا: نعم"[٥]. فهو(صلى الله عليه وسلم) سأل عن نسبة التصديق

---

(١) البحث نفسه ص ٨٠ وما بعدها .
(٢) البحث نفسه ص ٨٣ وما بعدها .
[٣] السكاكي: مفتاح العلوم ٣٠٨/١ .
[٤] المراغي : علوم البلاغة (البيان – المعاني – البديع) ، ص٦٥ .
[٥] البخاري : صحيح البخاري ١١١/٦ .

حاصلة منهم أم لا لذلك أتى جوابهم بقولهم: نعم . ومنه قوله تعالى:﴿ فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡ ﴾{الأعراف: ٤٤}. قال أبو حيان:" وتكون إجابتهم بنعم تصديقاً لجميع ما وعد الله بوقوعه في الآخرة للصفين"[١]. ومنه قول الشاعر:[٢]

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم

ويتضح ذلك من قول الزَّوْزوني:" هل عرفت دار عشيقتك بعد شكّك فيها؟"[٣]

ثانياً استفهام التصور:

يتأتى بطلب تعيين شيء معين كقولنا : أعلي قائم أم زيد؟ فالاستفهام عن الشخص الذي حصل منه القيام . لذلك الجواب عنه يكون بالتعيين ولا يكون بالنفي والإثبات. ذكر الشريف الجرجاني قول التفتازاني: أن التصور هو إدراك غير النسبة في تصور المسند أو المسند إليه فقولهم:(أفي الخابية دبسك أم في الزق؟) أنت تعلم أن الدبس محكوم عليه بالكينونة في الخابية أو في الزق ، والمطلوب تعيين أحدهما. أما قولهم:(أدبس في الإناء أم عسل؟) فإنك تعلم أن في الإناء شيئاً والمطلوب تعيينه.[٤] . هذا إذا كان التصور عن طريق الهمزة والمسؤول عنه هو الذي يليها قال السيوطي:" المسؤول عنه بالهمزة هو ما يليها كالفاعل في(أأنت ضربت؟) والمفعول في(أزيداً ضربت؟) والفعل في(أضربت زيداً؟)..."[٥] أما إذا كان

---

[١] أبو حيان: البحر المحيط في التفسير ٥٥/٥

[٢] البيت لعنترة بن شداد في ديوانه ، ص١٨٢ .

[٣] الزوزوني: حسين بن أحمد بن حسين ، شرح المعلقات السبع ، الناشر: دار إحياء التراث العربي ، ط١ ، ١٤٢٣هـ ، ص٢٤٥ .

[٤] بتصرف/ الشريف الجرجاني: الحاشية على المطول ، ٢٥٣.

[٥] السيوطي: شرح عقود الجمان في المعاني والبيان ، تحقيق: إبراهيم محمد الحمداني – أمين لقمان الحبار ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ، ٢٠١١م ، ص ١٣٣ .

التصور عن طريق أسماء الاستفهام فيختلف معنى التصور باختلاف الأداة . قال أحمد مطلوب:" ما: يطلب بها شرح الشيء، مثل: (ما البلاغة؟) ، من: للسؤال عن الجنس مثل: (من هذا؟) ، أي: للسؤال عما يميز أحد المتشاركين في أمر يعمهما، مثل: (أي الثياب عندك؟) ، كم: للسؤال عن العدد، مثل (كم كتابا عندك؟) ، كيف: للسؤال عن الحال ، مثل: (كيف محمد؟) ، أين: للسؤال عن المكان، مثل: (أين كنت؟) ، أنّى: تستعمل تارة بمعنى كيف، كقوله تعالى:﴿ قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ ﴾{البقرة: ٢٥٩} وتارة بمعنى(من أين) كقوله تعالى:﴿ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ ﴾{آل عمران: ٣٧}. وتارة بمعنى (متى) مثل: (أنّى تسافر؟) ، متى: للسؤال عن الزمان، مثل: (متى جئت؟) ، أيّان: للسؤال عن الزمان، كقوله تعالى:﴿ يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾{القيامة: ٦} "[1]. لم يختلف البلاغيون في أن هذه الأسماء جميعها يطلب بها تصور شيء معين . غير أنهم فصَّلوا القول في بعض الأسماء فمن ذلك: (ما) قسمها المراغي إلى ثلاثة أقسام: منها ما يطلب به شرح الاسم نحو: ما اللجين؟ فيجاب بأنه الفضة. ومنها ما يطلب بها بيان حقيقة المسمى نحو: ما الحسد؟ فيجاب: بأنه تمني زوال نعمة المحسود. ومنها ما يطلب بها بيان حال الشيء نحو قولك لقادم عليك وأنت لا تعرفه: ما أنت؟ . وقول المتنبي:[2]

ليت المدائح تستوفي مناقبه فما كليب وأهل الأعصر الأول

---

[1] البيلي : أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي ، من بلاغة القرآن ، الناشر: نهضة مصر – القاهرة ، ٢٠٠٥م ، ص ١١٩- ١٢٠ .
[2] البيت للمتنبي في ديوانه ، ص٣٣٨ .

ثم ذكر المراغي أن (أيَّان) للزمان المستقبل خاصة وليس لعموم الزمن[١] . وقوله موافقاً لقول الهاشمي :" و(أيَّان) موضوعة للاستفهام، ويطلبُ بها تعيينُ الزَّمان المُستقبل خاصة وتكون في موضع (التهويل والتفخيم) دون غيره"[٢].

جملة الاستفهام المجازية:

سبق الحديث عن الاستفهام الحقيقي وهو طلب معرفة أو فهم غاب عن ذهن المستفهم . ولكن قد يصاغ الاستفهام مع أن المستفهم مدرك لما يستفهم عنه وذلك لغرض بلاغي يفهمه السامع من خلال السياق. وهذا ما أدرجه البلاغيون تحت عنوان: المعاني البلاغية للاستفهام ، أو المعاني المجازية للاستفهام.

فأطلق عليها التفتازاني مصطلح المجاز قال: " إن هذه الكلمات الاستفهامية كثيراً ما تستعمل في غير الاستفهام مما يناسب المقام بمعونة القرائن ، وتحقيق كيفية هذا المجاز وبيان أنه من أي نوع من أنواعه مما لم يحم أحد حوله "[٣] . وشرح الشريف الجرجاني عبارة (مما لم يحم أحد حوله) بقوله:" وذلك لصعوبة بيان علاقة المجاز، وكيفية المناسبة المجوزة له ، ونحن نذكر في هذه المواضع ما يتضح به وجه المجاز فيها "[٤] . وقال ابن عاشور بعد حديثه عن هذه المعاني: "وهذه مجازات ظاهرة وتفريعها سهل"[٥] . وذكر السيوطي مثل ذلك

---

[١] بتصرف/ المراغي: علوم البلاغة(البديع-البيان-المعاني)، ص ٦٧ .
[٢] الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص ٨٢ .
[٣] التفتازاني: المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم ، ص٤١٩ .
[٤] الشريف الجرجاني: الحاشية على شرح المطول ، ص ٢٦٢ .
[٥] ابن عاشور : موجز البلاغة ، الناشر: المكتبة العلمية – تونس ، ط١ ، بدون ت ط ، ص ٢٤ .

قال: " قد تستعمل كلمات الاستفهام في غيره مجازاً "[1] . وخالف بسيوني هذه الأقوال جميعها بقوله: " وكثير من البلاغيين وبخاصة المتأخرين منهم يطلقون على هذه المعاني (المعاني المجازية للاستفهام) ونحن لا نوافقهم على هذه التسمية ولا نرتضي هذا الإطلاق ، ولا نقر أن تلك المعاني البلاغية التي يفيدها الاستفهام معان مجازية "[2] . ثم ذكر بسيوني عدة أسباب لعدم موافقته لهذه التسمية نُلخِّصُ منها ما يأتي:

– إن المتقدمين من البلاغيين لم يتحدثوا عن وجه دلالة الاستفهام على تلك المعاني، وإنما بينوا أنها معاني تستنبط من سياق الكلام والوقوف على قرائن أحواله. أما وجه الدلالة فقد شاع الحديث عنه بين المتأخرين .

– عندما يفيد الاستفهام معنى بلاغي يظل المعنى الأصلي باقياً ، واستشهد بقول الفراء عن قوله تعالى:﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ﴾{البقرة: ٢٨} أن الاستفهام فيها قد دخله وشابه معنى التعجب فلم يعد استفهاماً محضاً . واستشهد أيضاً بقول الجرجاني:(واعلم أنا وإن كنا نفسر الاستفهام في مثل هذا بالإنكار ، فإن الذي هو محض المعنى أنه ليتنبه السامع حتى يرجع إلى نفسه فيخجل ويرتدع ويعي بالجواب). – إن الأسلوب الاستفهامي لا يفيد معنى واحداً كالتعجب ترى عدة معان تنبعث من الأسلوب الاستفهامي[3]. والذي يتبادر إلى الذهن أنه لا فرق بين المصطلحين فالمعاني المجازية

---

[1] السيوطي: شرح عقود الجمان في المعاني والبيان ، ص١٤١ .
[2] بسيوني: دراسة بلاغية ونقدية لعلم المعاني ، ص ٣٩٣ .
[3] المرجع نفسه ، ص ٣٩٣ – ٣٩٤ .

للاستفهام يراد بها الاستفهام غير الحقيقي ، كما أن المعاني البلاغية للاستفهام كذلك . قال أبو موسى وهو يتحدث عن أساليب الاستفهام : " والمهم أن أكثر أساليب الاستفهام في الكتاب العزيز جاءت لغير المعنى الحقيقي للاستفهام "[١] فالمجاز في هذا المعنى هو ما يقابل الحقيقة ، وليس المقصود المجاز المرسل وحده كما فهمه بسيوني. ومصطلح المجاز تاريخياً لم ينحصر في المجاز العقلي والمرسل . ويؤكد ذلك ما قاله ابن حجة الحموي: " المجاز جنس يشتمل على أنواع كثيرة كالاستعارة والمبالغة والتمثيل والتشبيه وغير ذلك مما عدل فيه عن الحقيقة الموضوعة للمعنى المراد"[٢] . وإن كان كذلك فلا مشاحة في التسمية ما دام المعنى واحد.

كثرت المعاني المجازية التي تخرج إليها جملة الاستفهام فهي بمثابة ألوان البديع لا حصر لها ، فكلما أمعنت النظر في السياق والدلالة قطفت معنًى جديداً . وهذه المعاني قسمها الزركشي إلى قسمين . قال:" قد يخرج الاستفهام عن حقيقته بأن يقع ممن يعلم ويستغني عن طلب الإفهام ،وهو قسمان: بمعنى الخبر وبمعنى الإنشاء"[٣]

أولاً: معاني الاستفهام التي تخرج إلى معنى الخبر:

الاستفهام الذي هو بمعنى الخبر أنواعه كثيرة هي: الإنكار – التقرير – الاثبات مع التوبيخ – الاثبات مع العتاب – التبكيت(*) – التسوية – التعظيم – التهويل – التسهيل –

---

[١] أبو موسى: محمد حسين أبو موسى ، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية ، الناشر: دار الفكر العربي – مصر ، بدون ت ط ، ص ٢٩٥ .

[٢] ابن حجة الحموي: تقي الدين أبوبكر بن علي بن عبد الله الحموي ، خزانة الأدب وغاية الإرب ، المحقق: عصام شقيو ، الناشر: دار ومكتبة الهلال – بيروت ، ٢٠٠٤م ٤٤٠/٢ .

[٣] الزركشي: البرهان في علوم القرآن ٣٢٨/٢ .

(*) التبكيت أن يستقبل الرجل بما يكره . وقيل هو تقريع وتوبيخ معاً. انظر:(ابن منظور : لسان العرب ١١/٢).

التفجع – التكثير – الاسترشاد . ولبيان ذلك نأخذ منها على سبيل المثال:

الإنكار: يكون ذلك بإنكارك على المخاطب ما حدث منه في الماضي أو ما يحدث منه في المستقبل. وينقسم إلى إنكار توبيخي وإنكار تكذيبي .قال فضل عباس:" لأنك حينما تنكر من شخص أمراً ما ؛ فإما أن يكون هذا الأمر ادَّعاه لنفسه ، وليس ذلك صحيحاً ، فأنت تكذبه فيما ادَّعى ، وإما أن تنكر عليه قولاً قاله أو عملاً عمله ولم يكن ينبغي له ذلك ، فأنت توبِّخه على ما صدر منه "[1]. فإنكار التوبيخ كقوله تعالى:﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾{الصافات: ١٢٥}.قال أبو السعود: "وقد أشير إلى المقتضي للإنكار المعنيِّ بالهمزة "[2]. فهو قد أنكر عليهم عبادة الصنم وترك عبادة الله وحده. ومن ذلك في شعر العرب قول الشاعر:[3]

أَطَرَباً وَأَنْتَ قَيْسَرِيُّ والدَّهْرُ بِالإِنْسانِ دَوَّارِيُّ؟

فهو ينكر عليه طربه مع كبر سنه ويوبخه على ذلك. أما إنكار التكذيب كقوله تعالى: ﴿ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ ﴾{الإسراء: ٤٠}. ومنه قول الشاعر:[4]

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أقوال

فأنكر عليه أن يقتله ويكذبه لأن الشاعر معه سيفه وحربته التي كأنياب الغول.

---

[1] فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفنانها ، ص ١٩٤ .

[2] أبو السعود: محمد بن محمد بن مصطفى ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، الناشر: دار إحياء التراث الغربي ، - بيروت ، بدون ت ط ، ٢٠٤/٧ .

[3] البيت لرؤبة العجاج ، وهو في لسان العرب ٩٣/٥ .

[4] البيت لامرئ القيس في ديوانه ، ص١٢ .

التقرير: هو حَمْلُ المخاطَب على الإقرار والاعتراف بأمْرٍ قد استقرّ عنده وعَلِمَ به[٤]. قال الزركشي:" فالتقرير: كقوله تعالى:﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ {المائدة: ١١٦}.{أأنت فعلت؟} واعلم أن هذا النوع يأتي على وجوه: الأول: مجرد الإثبات كما ذكرنا. الثاني: الإثبات مع الافتخار كقوله تعالى عن فرعون:﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ ﴾ {الزخرف: ٥١}. الثالث: الإثبات مع التوبيخ كقوله تعالى:﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ﴾{ النساء: ٩٧} أي: هي واسعة فهلا هاجرتم فيها. الرابع: مع العتاب كقوله تعالى:﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾{الحديد: ١٦}. قال ابن مسعود: ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية إلا أربع سنين"[١]. وقد يكون التقرير بأسماء الاستفهام قال التفتازاني:" والاسماء الاستفهامية للتقرير بما يسأل بها عنه نحو:﴿ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ﴾ {البقرة: ٢١١}.وماذا فعلت بفلان؟ ، ومن الذي قتلته؟ ونحو ذلك"[٢].

التعظيم: هو اندفاع نفس المتكلم للتعبير عن شيء عظيم فخم حين يراه[٣] . ومن ذلك قوله تعالى:﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ {البقرة: ٢٥٥}. قال الزمخشري:" من ذا الذي يشفع عنده بيان لملكوته وكبريائه[٣]. ومن ذلك قول الشاعر:[٤]

---

[٤] حبنَّكة : البلاغة العربية ، ص ٢٧٥/١ .
[١]الزركشي: البرهان في علوم القرآن ٣٣٦/٢ .
[٢] التفتازاني: المطول شرح تلخيص المفتاح ، ص ٤٢٠ .
[٣] حبنَّكة : البلاغة العربية ٢٨٣/١ .
[٣] الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٣٠١/١ .
[٤] البيت للمتنبي في ديوانه ، ص٤٦٠ .

وَمَنْ مِثْلُ كَافُورٍ إِذَا الخَيْلُ أحْجَمَتْ؟ وَكانَ قَلِيلاً مَنْ يَقُولُ لَهَا اقْدُمِي

أي: هو عظيم قليل النظير في الحثّ على وُرُودِ المعارك، فأورد الاستفهام والغرض منه التعظيم.[١]

التسوية: هو الاستفهام الداخل على جملة يصح حلول المصدر محلها.[٢] نحو: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾{ البقرة: ٦}. ومعنى ذلك: تساوى عندهم الإنذار وعدمه. ومنه قول الشاعر:[٣]

ولست أبالي حين أُقْتَلُ مسلماً على أي جنب كان في الله مصرعي؟

التكثير: هو التعبير عن الكثرة والأداة المستعملة في هذا غالبا كلمة "كم" وتخرج حنيئذ عن الاستفهام وتسمى "كم" الخبرية التي يعبر بها عن الكثرة[٤]. كقوله تعالى: ﴿كَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّنۡ ءَايَةم بَيِّنَةٖۗ﴾ {البقرة: ٢١١}. والمعنى كثير ما آتيناهم من آية بيِّنة

. ومن ذلك قول الشاعر:[٥]

كم[*] عمة لك يا جرير وخالة فدعاء قد حلبت عليَّ عشاري

ثانياً: معاني الاستفهام التي تخرج إلى معنى الإنشاء:

---

[١] حبنَّكة: البلاغة العربية ٢٨٤/١ .

[٢] المرجع نفسه ٢٨٨/١ .

[٣] البيت لخبيب بن عدي الأنصاري، أورده أبو عمر يوسف بن عبد الله القرطبي في كتابه: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيق: محمد علي البجاوي ، الناشر: دار الجيل- بيروت، ط١ ، ١٤١٢هـ ، ٤٤١/٢ .

[٤] حبنَّكة: البلاغة العربية ٢٧٨/١ .

[٥] البيت للفرذدق في ديوانه ، ص٣١٢ .

[*] يجوز أن تكون خبرية فيقدر تمييزها مجروراً، ويجوز أن تكون استفهامية فيقدر تمييزها منصوباً.انظر:(شرح ابن عقيل على ألفية مالك ٢٢٦/١).

هي الأمر – النهي – التمني – الدعاء – العرض – التحضيض – التهكم – التحذير – التذكير – الترغيب – الاستبطاء – التعجب – التحقير – الاستبعاد – التوبيخ – الإياس – الإيناس – التنبيه .

الأمر: ويكون ذلك إذا طلب المتكلم من السامع القيام بفعل ما عن طريق الاستفهام . فإن كان الطلب إلزاماً فهو الأمر كقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ {المائدة: ٩١} . والدليل على أنه إلزام قول عمر بن الخطاب: (انتهينا يا رب)[١] كقوله تعالى: ﴿ وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ءَايَةٗ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴾ {القمر: ١٥}. فالاستفهام هنا بمعنى الأمر ولكنه لا على الإلزام لأنه طلب حثٍّ على الادكار فهو تحضيض. قال الرازي:" وهذا الكلام يصلح حثّاً ويصلح تخويفاً وزجراً "[٢]. ومن ذلك قول الشاعر:[٣]

أَلاَ ارْعِوَاءً لَمِنْ وَلَّتْ شَبِيبَتُهُ وآذَنَتْ بِمَشيبٍ بَعْدَهُ هَرَمُ؟

قال حبنَّكة:" أي: فلْيَرْعَوِ عن المعاصي والقبائح وفعل السّيّئات"[٤].

النهي: يكون ذلك إذا طلب المتكلم من السامع الكف عن فعل شيءٍ ما عن طريق الاستفهام . وذلك كقوله تعالى: ﴿ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ ﴾ {التوبة: ١٣}. ذكر

---

[١] الزمخشري : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٢٦٠/١ .
[٢] الرازي: مفاتيح الغيب ٢٩/ ٢٩٨ .
[٣] البيت بلا نسبة أورده شُرَّاب في كتابه: شرح الشواهد الشعرية في أمهات الكتب النحوية ٤٢/٣ .
[٤] حبنَّكة: البلاغة العربية ٢٨٩/١ .

الزركشي أن معنى الاستفهام النهي بدليل قوله تعالى:﴿ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ ﴾ {المائدة: ٤٤} وأكد ذلك السعدي بقوله: " فإن كنتم مؤمنين فامتثلوا لأمر الله، ولا تخشوهم فتتركوا أمر الله"[١] . ومنه قول الشاعر:[٢]

أكلَّ امرئٍ تحسبين امرأً ونارٍ توقّد بالليل نارا

أي: لا تحسبي ذلك .

التعجب: ويسمى استفهاماً تعجبياً حين يكون صادراً من متعجب فعلا، ويسمى استفهاما تعجيبيا حين يكون الغرض من إيراده إثارة العجب عند من يخاطب به أو يتلقاه[٣]. ومن ذلك قوله تعالى:﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ ﴾ {النمل: ٢٠} . فتعجب نبي الله سليمان من غياب الهدهد لذلك سأل نفسه بقوله (ما لي؟) قال القرطبي: وقيل: إنما قال:(ما لي لا أرى الهدهد)، لأنه اعتبر حال نفسه، إذ علم أنه أوتي الملك العظيم، وسخر له الخلق، فقد لزمه حق الشكر بإقامة الطاعة وإدامة العدل، فلما فقد نعمة الهدهد توقع أن يكون قصر في حق الشكر، فلأجله سلبها فجعل يتفقد نفسه، فقال: ما لي"[٤] . ومن التعجب قول الشاعرة:[٥]

أنشأ يمزق أثوابي يؤدبني أبعد شيبي يبغي عندي الأدبا؟

---

[١] السعدي: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي ، تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن ، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق ، الناشر: مؤسسة الرسالة – ط١ ، ١٤٢٠هـ ، ص ٣٣٠ .

[٢] البيت لأبي داوود الإيادي ، أورده شُرَّاب في كتابه: شرح الشواهد الشعرية في أمهات الكتب النحوية ٤١٠/١ .

[٣] حبنكة : البلاغة العربية ٢٧٨/١ .

[٤] القرطبي: تفسير القرطبي ١٧٩/١٣ .

[٥] البيت لأم ثواب الهزانية ، وهو في شرح ديوان الحماسة ، ص ٥٣٧ .

الاستبطاء: هو استبطاء الموعود بوعد حدوث الموعود به عن طريق الاستفهام[1]. أو هو تضجر من انتظار أمر موعود به لم يحدث بعد . ومثلوا لذلك بقوله تعالى: ﴿وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ {البقرة: ٢١٤}، قال القرطبي:" وأكثر المتأولين على أن الكلام إلى آخر الآية من قول الرسول والمؤمنين، أي: بلغ الجهد بهم حتى استبطئوا النصر"[2] . وقال الزمخشري:" وزلزلوا وأزعجوا إزعاجاً شديداً شبيهاً بالزلزلة بما أصابهم من الأهوال والأفزاع إلى الغاية التي قال الرسول ومن معه فيها متى نصر الله؟ أي بلغ بهم الضجر ولم يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك"[3]. ومنه قول الشاعر:[4]

حتَّامَ نحن نساري النجم في الظُّلَمِ وما سُراه على خُفٍّ ولا قدم

وخلاصة القول في المعاني المجازية للاستفهام أنها ليست محدودة ، ولا تنحصر في عدد معين وتعرف من خلال السياق ، وتتداخل مع بعضها في المعنى فتكون لجملة الاستفهام الواحدة عدة معانٍ ويكثر ذلك في القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ﴾ {التوبة: ١٣}. فهي بمعنى النهي كما سبق ، وقد يكون المعنى إنكار لخشيتهم إياهم ، وقد يكون توبيخاً لهم على ذلك. وهكذا.

---

[1] بتصرف/حبنَّكة : البلاغة العربية ٩٤/١ .
[2] القرطبي: تفسير القرطبي ٣٥/٣ .
[3] الزمخشري: الكشاف ٢٥٦/١ .
[4] البيت للمتنبي في ديوانه ، ص ٤٩٥ .

المبحث الثاني

جملة الأمر

الأمر مصدر الفعل(أَمَرَ يأمرُ). ذكر له الخليل معنيين ، قال:" الأَمْرُ: نقيضُ النَّهي، والأمرُ واحدٌ من أمور النّاس"[١]. وقال ابن فارس:" الهمزة والميم والراء أصول خمسة: الأمر من الأمور، والأمر ضد النهي، والأَمَر النماء والبركة بفتح الميم، والمَعْلَم، والعجب"[٢] . وتوسع الفيروز آبادي في ذلك قائلاً:" هو لفظ عامّ للأَفعال والأَقوال، والأَحوال، كلّها"[٣]. ثم ذكر أن الأمر ورد في القرآن على ثمانية عشر وجهاً، واستدل لكل وجه بآية[٤] . من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ ﴾ {هود: ١٢٣}. فلفظ الأمر هنا عامٌّ. قال ابن عاشور:" والتعريف في الأمر تعريف الجنس فيعم الأمور، وتأكيد الأمر بـ(كله) للتنصيص على العموم"[٥]. ومنه قوله تعالى:﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي ﴾ {الإسراء:٨٥ }. فالأمر هنا بمعنى الإبداع .

وما ذكره الفيروز هو الذي يترجح في الذهن ، لأن لفظ (الأمر) لا يحصر في معانٍ معينة ، بل يفهم من السياق وأما حصره لمعاني الأمر في هذه الآيات لا يتناقض مع قوله: إن الأمر لفظ عامٌّ لأن معنى الأمر الذي ذكره بعض من العام.

---

[١] الخليل: العين ٢٩٧/٨ .
[٢] ابن فارس: مقاييس اللغة ١٣٧/١ .
[٣] الفيروز آبادي: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، تحقيق: محمد علي النجار ، الناشر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، مصر- القاهرة ، ١٤١٦هـ ، ٣٩/٢ .
[٤] بتصرف/المرجع نفسه ٤٠/٢-٤٢ .
[٥] ابن عاشور: التحرير والتنوير ١٩٥/١٢ .

والأمر اصطلاحاً: هو قول القائل لمن دونه افعل[١]. وعرفه ابن الحاجب بقوله:" صيغة يطلب بها الفعل من الفاعل المخاطب بحذف حرف المضارعة"[٢].

وأخذ الرضي على هذا التعريف شيئاً قال:" لو قال صيغة يصح أن يطلب بها الفعل، لكان أصرح في عمومه لكل ما يسميه النحاة أمراً ، وذلك أنهم يسمون به كل ما يصح أن يطلب به الفعل من الفاعل المخاطب بحذف حرف المضارعة ، سواء طلب منه الفعل على سبيل الاستعلاء وهو المسمى أمراً عند الأصوليين ، نحو قولك اضرب على وجه الاستعلاء ، أو طلب به الفعل على وجه الخضوع من الله تعالى ، وهو الدعاء نحو اللهم ارحم"[٣] . وقال عباس حسن:" الأمر طلب فعل شيء . ولا يُسمَّى أمراً إلا إن كان صادراً ممن هو أعلى درجة إلى من هو أقل درجة "[٤] . وتطرق له القزويني بذكر صوره التي يكون عليها قال:" والأظهر أن صيغته –من المقترنة باللام نحو ليحضر زيد، وغيرها نحو: أكرم عمرًا، ورويد بكر– موضوعة لطلب الفعل استعلاء، لتبادر الذهن عند سماعها إلى ذلك وتوقف ما سواه على القرينة"[٥]. وشرح السبكي هذا التعريف بقوله:" من أنواع الطلب الأمر، وهو يعنى أمر حقيقة في القول الطالب للفعل إيجاباً، وكذا ندباً على المشهور، وصيغته نحو: اكرم زيداً، والمقترن باللام، نحو: ليحضر زيدٌ واسم الفعل نحو: نزال ودراك. قال: (والأظهر أن هذه الصيغ موضوعة لطلب الفعل استعلاء). وينبغي أن يقول: طلباً جازماً؛ فإنه يدخل في عبارته

---

[١] الشريف الجرجاني: التعريفات ، ص٣٧ .
[٢] الرضي : شرح الرضي على الكافية ١٢٣/٤ .
[٣] المرجع نفسه ١٢٤/٤ .
[٤] عباس حسن: النحو الوافي ٣٦٦/٤ .
[٥] القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة ٨١/٣ .

المندوب، والصحيح أن صيغة افعل موضوعة للإيجاب، وإن كان الأمر الأعم منه ومن المندوب. والمصنف لم يفرق بين الأمر وبين صيغة افعل. والتحقيق ما قلناه ، وقوله: الأظهر يحتمل أن يريد به كونها لطلب الفعل ليكون دفعاً لمن ادعى أنها حقيقة في الإباحة مثلاً "[1] . والأمر عند الهاشمي هو طلب حصول الفعل من المخاطب على وجه الاستعلاء مع الإلزام – وله أربع صيغ: فعل الأمر، والمضارع المجزوم بلام الأمر ، واسم فعل الأمر ، والمصدر النائب عن فعل الأمر"[2] . ومن هذه التعريفات نصل إلى الآتي:

–مصطلح الأمر عند النحويين هو صيغة (افعل) لوحدها ولم يدرجوا بقية الصيغ تحت مسمَّى الأمر.

–مصطلح الأمر عند البلاغيين هو طلب الفعل من الفاعل المخاطب على وجه الإلزام والوجوب . وذلك لأن الإلزام والوجوب لا يكونان إلا من الأعلى.

–يأتي الأمر على أربع صيغ هي: (افعل) و(ليفعل) و(اسم فعل الأمر) و(مصدر فعل الأمر). هذه الصيغ لها دلالات أصلية هي الوجوب والندب والإباحة ، وقد تخرج عن هذه الدلالات لأغراض بلاغية أخرى تعرف من السياق. وعلى هذا السياق سيأتي الحديث عن جملة الأمر من ناحية الحقيقة والمجاز .

جملة الأمر الحقيقية:

صيغ الأمر الأربع التي سبق ذكرها كلها موضوعة لطلب الفعل من الأعلى إلى من هو

---

[1] السبكي: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ٤٦٢/١ .
[2] الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص٧١ .

دونه. فجملة الأمر مع هذه الصيغ تكون حقيقية ما لم تأت قرينة تصرفها عن ذلك المعنى. وذكر القزويني: أن هذه الصيغ موضوعة لطلب الفعل استعلاء ، لتبادر الذهن عند سماعها إلى ذلك وتوقف ما سواه على القرينة[١]. وهذا المعنى توافقت فيه أقوال البلاغيين جميعها. قال المراغي:" والأصل في صيغة الأمر أن تفيد الإيجاب أي: طلب الفعل على وجه اللزوم، وهذا هو المفهوم منها عند الإطلاق، نحو: قم وسافر. وما عداه يحتاج إلى قرائن أخرى تستفاد من سياق الحديث"[٢] . وقال أحمد بدوي:" الأصل في الأمر أن يكون لطلب الفعل على سبيل الإيجاب"[٣] . وقال قليقلة:" الأمر الحقيقي هو طلب الفعل على سبيل الاستعلاء والإلزام. كقول الضابط لجنوده في ساحة القتال : تقدموا واضربوا . وكقول الله تعالى مخاطباً محمداً(صلى الله عليه وسلم):﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ ﴾ {التوبة: ١٠٣}. وقوله تعالى مخاطباً المؤمنين:﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ {البقرة:٤٣}. فقد جاءت أفعال الأمر في هذه الأمثلة السابقة على سبيل الاستعلاء أولاً ، وعلى سبيل الإلزام ثانياً ، وهي لذلك من نوع الأمر الحقيقي "[٤]. وعلى هذه الأقوال يمكن التمثيل لجملة الأمر الحقيقية بما يأتي:

صيغة فعل الأمر: ومن أمثلتها قوله تعالى:﴿ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ ﴾ {البقرة: ١٤٤} . قال المراغي :" وإنما أكد الأمر باستقباله، ووجّهه إلى المؤمنين بعد أن أمر به نبيه، وشرفهم بالخطاب بعد خطاب رسوله، لتشتدّ

---

[١] بتصرف/القزويني : الايضاح في علوم البلاغة
[٢] المراغي: علوم البلاغة(البيان،المعاني،البديع) ، ص٧٥ .
[٣] أحمد بدوي: من بلاغة القرآن ، ص ١٢٩ .
[٤] قليقلة : البلاغة الاصطلاحية ، ص ١٥٢ .

عزيمتهم وتطمئنّ قلوبهم"[1] . ومنه قوله(صلى الله عليه وسلم):(صل ما أدركت، واقض ما سبقك)[2] .

فهو أمر بإتمام الصلاة . ومن ذلك في الشعر قول الشاعر:[3]

وقال أمير المسلمين تقدموا وأحبب إلينا أن تكون المقدَّما

صيغة المضارع المقرون بلام الأمر: قال تعالى:﴿ لِيُنفِقْ ذُوسَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ﴾ {الطلاق: ٧} . ومنه قوله(صلى الله عليه وسلم):(ولكن ليمش وعليه السكينة والوقار)[4]. وهو أمر يوضح هيئة المشي إلى الصلاة . ومن ذلك قول الشاعر:[5]

لتقم أنت يا ابن خير قريش فلتقضّي حوائج المسلمينا

والمعنى : قم أنت .

اسم فعل الأمر: ومثال ذلك قوله تعالى:"﴿ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴾ {الحاقة: ١٩}.

ومنه قوله(صلى الله عليه وسلم):(خلق الله الخلق، فلما فرغ منه قامت الرحم، فقال: مه ، قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة)[6]. ومن ذلك قول الشاعر:[7]

تَراكِها مِن إبل تَراكِها أَما تَرَى المَوْت لَدَى أَوْراكِها؟

فتراكها اسم فعل بمعنى اتركها.

المصدر النائب عن فعل الأمر: ومثاله قوله تعالى:﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ ﴾

---

(1) المراغي: تفسير المراغي ١٠/٢ .
(٢) الحديث في صحيح مسلم: ٤٢١/١ .
(٣) البيت ذكره أبو حيان في كتابه : ارتشاف الضرب في معرفة كلام العرب ٢٠٦٧/٤ .
(٤) صحيح مسلم ٤٢١/١ .
(٥) البيت بلا نسبة وهو في شرح الرضي على الكافية ٨٥/٤ .
(٦) الحديث في صحيح البخاري ١٤٩/٩ .
(٧) البيت لطفيل بن يزيد الحارثي ، أورده ابن منظور في: لسان العرب ٤٠٥/١٠ .

{محمد: ٤} . والمعنى فاضربوا الرقاب ضرباً. ومنه قوله(صلى الله عليه وسلم):(مهلاً يا عائشة، إن الله يحب الرفق في الأمر كله)[١] والمعنى اتَّئدي و تمهلي. ومنه قول الشاعر:[٢]

فصبراً في مجال الموت صبراً فما نيل الخلود بمستطاع

جملة الأمر المجازية:

سبقت الإشارة إلى توافق أقوال البلاغيين أن الأمر الحقيقي هو طلب حدوث الفعل من الأعلى إلى الأدنى وأنه بمعنى الإلزام والوجوب . قال بسيوني:" الأصل في أسلوب الأمر طلب حدوث شيء لم يكن حاصلاً وقت الطلب على سبيل التكليف والإلزام ...وقد يخرج عن هذا الأصل فيفيد معانٍ كثيرة يرشد إليها السياق وقرائن الأحوال"[٣] . ذكر قليقلة: أن الأمر الحقيقي لابد له من توفر شرطين هما: الإلزام والعلو. فإن اختل شرط من هذين لم تدل صيغ الأمر على معانيها الحقيقية ، وإنما تدل على معاني بلاغية نهتدي إليها بذوقنا وبسياق الكلام وقرائن الأحوال[٤].

قال فضل عباس:" هذه الصيغ ليست على سبيل الحصر فهناك صيغ كثيرة تستفاد من السياق"[٥]. فبما أنها تعرف من السياق وعن طريق القرائن يترك الباب مفتوحاً للذوق البلاغي والعقل الحصيف ، ولكن نذكر منها على سبيل المثال:

الدعاء : ويكون عادة من العبد لربه. وهو على ضربين: ١/الدعاء للمتكلم: هو أن يطلب

---

[١] الحديث في صحيح البخاري ١٢/٨ .
[٢] البيت لقطري بن الفجاءة ، أورده شُرَّاب في كتابه: شرح الشواهد الشعرية في أمهات الكتب النحوية ١٢٧/٢ .
[٣] بسيوني: دراسة بلاغية ونقدية لمسائل علم المعاني ، ص ٣٥٧ .
[٤] بتصرف/ قليقلة: البلاغة الاصطلاحية ، ص ١٥٤ .
[٥] فضل حسن عباس : البلاغة فنونها وأفنانها ، ص ١٥٢ .

المتكلم شيئاً لنفسه بصيغة الأمر، ومن ذلك قوله تعالى على لسان إبراهيم:﴿ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ {إبراهيم: ٣٧} . فالصياغ في قوله(اجعل) و(ارزقهم) أمر ولكنه اختل شرط العلو لذلك فهو دعاء وليس أمر. ومنه قول الشاعر:[١]

أَزِلْ حسد الحساد عني بكبتهم فأنت الذي صيرتهم لي حُسَّدا

٢/ الدعاء للمخاطب: أن يطلب المتكلم شيئاً للمخاطب بصيغة الأمر ، كقول الشاعر:[٢]

فأسلم أمير المؤمنين ولا تزل مستعليا بالنصر والتأييد

فالسلامة ليست بيد أمير المؤمنين وإنما ذلك دعاء له بالسلامة.

الالتماس: ويكون عادة من الإنسان لمن هو أعلى منه، أو لمساويه[٣]، كقوله تعالى حكاية عن إخوة يوسف:﴿ ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ ﴾ {يوسف: ٨١}. فالتمس منهم أن يرجعوا ويبلغوا أباهم بما حصل. ومنه قول الشاعر:[٤]

خليليَّ غُضَّا ساعة وتهجَّرا ولوما على ما أحدث الدهر أو ذرا

فالتمس الشاعر من صاحبيه الميل والتهجر والنوح . ولم يكن ذلك أمر منه لهما لاستوائهم في المكانة.

النصح و الإرشاد: ويكون عادة في مجال النصح وإبداء المشورة[٥]. كقوله

---

[١] البيت للمتنبي في شرح ديوانه للواحدي ، ص ٢٦٧ .
[٢] المراغي: علوم البلاغة (البيان ، المعاني، البديع) ، ص ٧٥.
[٣] حبنكة : البلاغة العربية ٢٣٢/١ .
[٤] البيت للنابغة الجعدي في ديوانه ، تحقيق: واضح الصمد ، الناشر: دار صادر ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٩٩٨م ، ص ٥٤ .
[٥] حبنكة : البلاغة العربية ٢٣٢/١ .

تعالى:﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ {الأعراف: ١٩٩}. ومنه قول النبي (صلى الله عليه وسلم):(دع ما يريبك إلى ما لا يريبك)[١] . فهذا نصح منه(صلى الله عليه وسلم)وإرشاد إلى ما فيه الخير. ومنه قول الشاعر:[٢]

شاور سواك إذا نابتك نائبة يوما وإن كنت من أهل المشورات

واخفض جناحك إن منحت إمارة وارغب بنفسك عن ردى اللذات

الإباحة: وتحصل إذا أباح المتكلم أمراً كان محظوراً لدى المخاطب أو توهم المخاطب أنه محظورٌ ، كقوله تعالى:﴿ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ ﴾ {المائدة: ٢}. قال ابن عاشور:" فالأمر فيه للإباحة ... وقد حرم في حالة الإحرام، فإذا انتهت تلك الحالة رجع إلى إباحته"[٣] . ومنه قول النبي(صلى الله عليه وسلم):(نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها)[٤]. فالأمر بعد النهي للإباحة كما سبق ذلك في تفسير قوله:(فاصطادوا). ومن ذلك قول الشاعر:[٥]

فقل ما شئت فيَّ فلي لسان مليء بالثناء عليك رطب

وعاملني بإنصاف وظلم تجدني في الجميع كما تحب

التعجيز: هو أمر المخاطب بما يعجز عنه إظهاراً لضعفه عن القيام به[٦]. ومن ذلك قوله

---

[١] النووي: أبو زكريا محي الدين يحى بن شرف ، رياض الصالحين ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت- لبنان ، ط٣ ، ١٤١٩هـ ، ص٥١ .

[٢] البيتان لأبي الحسن الجرجاني ، أوردهما الوطواط بلا نسبة في كتابه غرر الخصائص الواضحة ، تعليق: إبراهيم شمس الدين ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ، ١٤٢٩هـ ، ص١٢٣ .

[٣] ابن عاشور: التحرير والتنوير ٨٥/٦ .

[٤] الحديث في صحيح مسلم ٦٧٢/٢ .

[٥] البيتان لأبي فراس الحمداني معاتباً سيف الدولة وهما في ديوانه ، شرح: خليل الدويهي ، الناشر: دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٤١٤هـ ، ص ٥٠ .

[٦] قليقلة: البلاغة الاصطلاحية ، ص ١٥٤ .

تعالى:﴿ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ {البقرة: ٢٣} . قال ابن عاشور:" والأمر في قوله: فأتوا أمر تعجيز "[١]. ومنه قول الشاعر:[٢]

أولئك آبائي فجئْني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

التمني: وهو طلب الأمر المحبوب الذي يرجى وقوعه إما لكونه مستحيلا، وإما لكونه ممكنا غير مطموع في نيله[٣]. ومثاله قول الشاعر:[٤]

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح وماالإصباح منك بأمثل

فهو لا يأمر الليل بالانجلاء ولكنه يتمنى ذلك.

---

[١] ابن عاشور: التحرير والتنوير ١٨٣/٢٣ .
[٢] البيت للفرزدق في ديوانه ص ٣٦٠ .
[٣] عبد العزيز عتيق : علم المعاني ، ص ٧٨ .
[٤] البيت لامرئ القيس في ديوانه ، ص ٤٩ .

المبحث الثالث

جملة النهي

النون والهاء والياء أصل صحيح يدل على غاية وبلوغ. ومنه أنهيت إليه الخبر: بلغته إياه. ونهاية كل شيء: غايته. ومنه نهيته عنه، وذلك لأمر يفعله. فإذا نهيته فانتهى عنك فتلك غاية ما كان وآخره[١]. قال ابن منظور:" النهي: خلاف الأمر. نهاه ينهاه نهيا فانتهى وتناهى: كف"[٢]. وقال الزمخشري:" نهاه فانتهى. وتناهوا عن المنكر. وانتهى الشيء: بلغ النهاية"[٣]. وقال الشريف الجرجاني:" النهي: ضد الأمر، وهو قول القائل لمن دونه: لا تفعل"[٤].

والنهي اصطلاحاً : هو طلب ترك الفعل ومنع وقوعه على سبيل الإلزام فهو يوافق الأمر في هذا المعنى قال السكاكي:" والنهي محذو به حذو الأمر في أن أصل استعمال لا تفعل أن يكون على سبيل الاستعلاء بالشرط المذكور"[٥] . وقال أحمد مطلوب:" النهى طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام. ويتفق مع الأمر في: أنّ كل واحد منهما لا بدّ فيه من اعتبار الاستعلاء. وأنّهما يتعلقان بالغير، فلا يمكن أن يكون الإنسان آمراً لنفسه أو ناهياً لها. وأنّهما لا بدّ من اعتبار حال فاعلهما في كونه مريداً لهما.

---

[١] ابن فارس : مقاييس اللغة ٣٥٩/٥ .
[٢] ابن منظور: لسان العرب ٣٤٣/١٥ .
[٣] الزمخشري: أساس البلاغة ٣١٤/٢ .
[٤] الشريف الجرجاني: التعريفات ، ص ٢٤٨ .
[٥] السكاكي: مفتاح العلوم ، ص٣٢٠ .

ويختلفان في: أنّ كل واحد منهما مختص بصيغة تخالف الآخر. وأنّ الأمر دالّ على الطلب، والنهى دالّ على المنع."[١] عرفه الهاشمي بقوله:" طلب الكف عن الشيء على وجه الاستعلاء مع الإلزام، وله صيغة واحدة، وهي المضارع المقرون بلا الناهية"[٢]. وقال السبكي:"هو طلب كف عن فعل على جهة الاستعلاء، وفيه من الخلاف في اشتراط العلو أو الاستعلاء ما في الأمر"[٣]. على ضوء هذه الأقوال نصل إلى الآتي:

-النهي في اللغة لا يختلف كثيراً عن معناه الاصطلاحي . فهو منع حدوث الفعل والكف عنه.

-النهي يشارك الأمر في اشتراط العلو والإلزام . ويخالفه في إرادة الفعل . والنهي له صيغة واحدة والأمر له عدة صيغ.

جملة النهي الحقيقية:

لم يختلف البلاغيون في أنَّ النهي له صيغة واحدة هي الفعل المضارع المقرون بلا الناهية . حتى أن بعضهم عرَّفه بهذه الصيغة ، قال ابن فارس:" فأما (النهي) فقولك: لا تَفْعَلْ"[٤]. كما لم يختلفوا في شَرْطَيْ الاستعلاء والإلزام بالنسبة للنهي الحقيقي . قال قليقلة:" النهي الحقيقي هو ما كان من الأعلى إلى الأدنى على سبيل الاستعلاء والإلزام كقول القائد لجنوده : لا

---

[١] أحمد مطلوب: أساليب بلاغية ، ص ١١٧ .
[٢] الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص ٧٦ .
[٣] السبكي: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ٤٧٠/١ .
[٤] ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها ، ص١٤٠ .

تتركوا أماكنكم ، ولا تغفلوا عن عدوكم "[1]. هذه الصيغة – لا الناهية مع الفعل المضارع– المنهي معها له حالتان:

الأولى: أن يكون المنهي حاضراً . في هذه الحالة إما أن يكون المنهي ضميراً بارزاً كقوله تعالى:﴿ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ ﴾ {الحجرات: ١١} . ومنه قول الشاعر:[2]

لا تسقها الماء واتركها كما تُرِكت فحسبها منه ما قد أخرجت عنبا

وإما أن يكون اسما ظاهراً كقوله تعالى:﴿ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ ﴾ {الحجرات: ١٢} .

الثانية: أن يكون المنهي غائباً وذلك كقوله تعالى:﴿ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ ﴾ {هود: ٨١}. فالنهي في هذه الآية حقيقي هو نهي عن الالتفات ذكر الرازي أنه نهي عن الالتفات أو هو نهي عن التخلف[3]. ومن ذلك قول النبي(صلى الله عليه وسلم):[لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان][4] . ومنه قول الشاعر:[5]

فازْجُرْ حِمَارَكَ لا يَرْتَعْ بِرَوْضَتِنا إذاً يُرَدُّ وقَيْدُ العَيْرِ مَكْرُوبُ

فالنهي في قوله:(لا يرتع) حقيقي والمنهي هو الضمير المستتر الذي يفسره الحمار.

جملة النهي المجازية:

يخرج النهي عن معناه الحقيقي إلى معانٍ بلاغية أخرى تفهم من السياق . قال حسن عباس:"

---

[1] قليقلة: البلاغة الاصطلاحية ، ص١٥٩ .
[2] البيت لابن المعتز في ديوانه ، الناشر: دار صادر ، بيروت – لبنان ، بدون ت ط ، ص ٧٤ .
[3] بتصرف/ الرازي: مفاتيح الغيب ٣٨١/١٨ .
[4] الحديث في صحيح البخاري ٨٢/١ .
[5] البيت لعبد الله بن عنمة في المفضليات ، ص ٣٨٣ .

قد تخرج صيغة النهي عن مدلولها الرئيس–وهو طلب الكف– إلى معانٍ تعرف بالقرائن وتستفاد من السياق "[1] . وقال قليقلة:" لا يكون النهي بلاغياً إلا إذا تخلف الشرطان السابقان – الاستعلاء والإلزام – كلاهما أو أحدهما"[2] . وقال الهاشمي:" وقد تخرج هذه الصيغة عن أصل معناها إلى معانٍ أخر، تستفاد من سياق الكلام وقرائن الأحوال"[3]. وتتعدد هذه المعاني المجازية بتعدد الأحوال والقرائن. ومن هذه المعاني:

الدعاء: وذلك عند ما يكون صادرا من الأدنى إلى الأعلى منزلة وشأنا[4]. وذلك كقوله تعالى:﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ {آل عمران: ٨}. فالعبد لا ينهي ربه وإنما يتذلل إليه ليحفظه من الزيغ . ومنه قول النبي(صلى الله عليه وسلم): [ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين][5]. ويرى حبنَّكة أن الدعاء لا يكون إلا من العبد إلى ربه وأما نهي الإنسان لبني جنسه فهو التماس سواء كان عالي الرتبة أو مساوياً له[6]. ولم يوافقه بعض الباحثين على ذلك منهم حسن طبل، ومثل لذلك بقول الشريف الرضي في المدح:

ولا تتركنَّي قاعداً أطلب المنى وأرعى بروقاً لا يجود سحابها

فهو يرى أن الدعاء قد يكون نهياً صادراً عن إنسان إلى آخر أعلى منه في المرتبة أو المنزلة الاجتماعية أو ما إلى ذلك مما لا يتصور فيه أن يكون الطلب على وجه

---

[1] فضل حسن عباس : البلاغة فنونها وأفنانها ، ص ١٥٤ .
[2] قليقلة : البلاغة الاصطلاحية ، ص ١٥٩ .
[3] الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص٧٦ .
[4] عبد العزيز عتيق : علم المعاني ، ص ٨٤ .
[5] الحديث في المستدرك على الصحيحين ، ٧٣٠/١ .
[6] بتصرف/ حبنَّكة : البلاغة العربية ، ٢٣٢/١ .

الاستعلاء والإلزام[١] . ومنه قول الشاعر:[٢]

فلا تتركنَّي بالوعيد كأنني إلى الناس مطليٌّ به القار أجرب

فالغرض من النهي في هذا البيت –على قول حبنَّكة – التماس عفو الملك . وعلى قول طبل دعاء الملك بالعفو عنه.

النصح والإرشاد: وذلك عند ما يكون النهي يحمل بين ثناياه معنى من معاني النصح والإرشاد[٣]. كقوله تعالى: ﴿ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ {المائدة:١٠١ } أرشدهم إلى أن السؤال عن كل شيء قد يجلب الإساءة . قال ابن كثير:" وظاهر الآية النهي عن السؤال عن الأشياء التي إذا علم بها الشخص ساءته، فالأولى الإعراض عنها "[٤] ومن ذلك قول النبي(صلى الله عليه وسلم):[لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري، ثم يغتسل فيه][٥].

ومنه قول الشاعر:[٦]

ولا تجلس إلى أهل الدنايا فإن خلائق السفهاء تعدي

فغرض النهي إرشاد المخاطب إلى عدم مخالطة السفهاء لكي لا يتخلق بأخلاقهم.

الالتماس: هو أن يكون النهي موجهاً من إنسان إلى آخر يساويه قدراً ورتبة[٧]، كقوله

---

[١] بتصرف/ حسن طبل: علم المعاني في الموروث البلاغي تأصيل وتقييم ، ص ٧١ .
[٢] البيت للنابغة الذبياني في ديوانه ، ص ٧٣ .
[٣] عبد العزيز عتيق : علم المعاني ، ص٨٦ .
[٤] ابن كثير: تفسير ابن كثير ٢٠٦/٣ .
[٥] الحديث في صحيح البخاري ٧٥/١ .
[٦] البيت لأبي العلاء المعري وهو في جواهر البلاغة للهاشمي ، ص ٧٧ .
[٧] عبد العزيز عتيق : علم المعاني ، ص ٨٥ .

تعالى:﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ﴾ {يوسف: ١٠}فالنهي هنا للالتماس لأن الأخ لم يكن أعلى منهم رتبة لينهاهم . قال بسيوني عن قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ ﴾ {طه: ٩٤}.:" فالنهي في قوله(لا تأخذ) المراد به الالتماس لأنه ليس فيه استعلاء ولا إلزام ، ولا تذلل وخضوع حيث وجه من هرون إلى موسى عليهما السلام وهما متساويان في الرتبة"[١]. ومن ذلك قول الشاعر:[٢]

فقلت له لا تبك عينك إنما نحاول ملكاً أو نموت فنعذرا

فالتمس من صديقه عدم البكاء والجزع.

التهديد: وذلك عند ما يقصد المتكلم أن يخوّف من هو دونه قدراً ومنزلة عاقبة القيام بفعل لا يرضى عنه المتكلم؛ كأن تقول لمن هو دونك (لا تقلع عن عنادك) أو (لا تكفّ عن أذى غيرك)[٣]. ومن ذلك قوله تعالى:﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ {إبراهيم: ٤٢} . قال البيضاوي:" والمراد به تثبيته على ما هو عليه من أنه تعالى مطلع على أحوالهم وأفعالهم لا يخفى عليه خافية، والوعيد بأنه معاقبهم على قليله وكثيره لا محالة،أو لكل من توهم غفلته جهلا بصفاته واغترارا بإمهاله. وقيل إنه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم"[٤]

التمني: هو مخاطبة ما لا يعقل بأسلوب النهي ، كقول الشاعر:

---

[١] بسيوني: دراسة بلاغية ونقدية لمسائل علم المعاني ، ص٣٧٢ .
[٢] البيت لامرئ القيس في ديوانه ، ص ٩٦ .
[٣] عبد العزيز عتيق: علم المعاني ، ص ٨٨ .
[٤] البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢٠٢/٣ .

يا ناق لا تسأمي أو تبلغي ملكاً تقبيل راحته والركن سيَّان

فهو يتمنى ألا تسأم ناقته لكي توصله للمدوح .ومنه قول الخنساء في رثاء أخيها :[1]

أعينيَّ جودا ولا تجمدا ألا تبكيان لصخر الندى

فهي تتمنى ألا تجمد عيناها ليعيناها على البكاء .

[1] البيت للخنساء في ديوانها ، شرح: حمدو طمَّاس ، الناشر: دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٤٢٥هـ ،ص ٣١.

المبحث الرابع

جملة النداء وأدواتها

النداء لغةً : هو دعاء البعيد بأي لفظ كان. قال ابن منظور:" ندا فلان يندو نُدوًّاً إذا اعتزل وتنحى"[١]. وقال ابن فارس:" ندى الصوت : بَعُدَ مذهبُه ، وهو أندى صوتاً منه أي: أبعد "[٢]. وقال الجوهري:" النِداءُ: الصوت، وقد يضم مثل الدُعاءُ والرُغاءُ. وناداهُ مُناداةً ونداء، أي صاح به"[٣].

النداء اصطلاحاً: هو طلب الإقبال أو التنبيه بأحد حروف النداء . قال التفتازاني :" هو طلب الإقبال بحرف نائب مناب أدعو لفظاً أو تقديراً"[٤] . وعرفه الهاشمي بقوله:" هو طلبُ المتكَلم إقبال المخاطب عليه بحرف نائب مناب (أنادي) المنقول من الخبر إلى الإنشاء"[٥]. وقال عنه السبكي:" وحقيقته طلب إقبال المدعو على الداعي بأحد حروف مخصوصة، وأحكامه معلومة في النحو"[٦].

وخلاصة هذه الأقوال أن النداء في اللغة عام يشمل الطلب وغيره . أما في الاصطلاح فهو طلب الإقبال أو التنبيه عن طريق الأداة.

معاني أدوات النداء:

---

[١] ابن منظور: لسان العرب ٢٦٨/١١ .
[٢] ابن فارس: مقاييس اللغة ٤١٢/٥ .
[٣] الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ٢٥٠٥/٦ .
[٤] التفتازاني: المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم ، ص ٤٣٠ .
[٥] الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص ٨٩ .
[٦] السبكي: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ٤٧٤/١ .

سبق الحديث عن أدوات النداء في الفصل الأول وأنها ثمانية أحرف ، منها ما هو للبعيد ومنها ما هو للقريب ، ومنها ما هو للمتوسط . قال التفتازاني :" أيا وهيا للبعيد، وقد ينزل غير البعيد منزلة البعيد لكونه نائماً أو ساهياً حقيقة ، أو بالنسبة للأمر الذي تناديه له يعني أنه بلغ من علوِّ الشأن إلى حيث إن المخاطب لا يفي بما هو حقه من السعي فيه ، وإن بذل واستفرغ جهده فكأنه غافل عنه بعيد ، وأي والهمزة للقريب ، وقد يستعملان في البعيد تنبيهاً على أنه حاضر في القلب ، ولا يغيب عنه أصلاً . كقول الشاعر:[١]

أسكان نعمان الأراك تيقنوا بأنكم في ربع قلبي سكَّان

وأما يا فقيل : حقيقة في البعيد والقريب ، لأنها لطلب الإقبال مطلقاً"[٢] . ووافق الهاشمي قول التفتازاني فهو يرى أن البعيد قد يُنزلُ منزلة القريب إشارةً إلى أنه لشدة استحضاره في ذهن المتكلّم صار كالحاضر معه وقد يُنزل القريب منزلة البعيد إشارة إلى عُلُوّ مرتبته، فيجعلُ بعدُ المنزلة كأنه بُعد في المكان . كقوله (أيا رب) ، أو إشارة إلى انحطاط منزلته ودرجته كقولك (أيا هذا) لمن هو معك ، أو إشارة إلى أنّ السامعَ لغفلته وشُرود ذهنه كأنّه غير حاضر كقولك للساهي (أيا فلانُ)[٣].

رغم نيابة هذه الأدوات عن بعضها إلا أنها لا تؤثر في المنادى وتخرجه عن معناه الحقيقي فالمنادى في هذه الأمثلة السابقة إما أن يطلب إقباله وإما أن يطلب تنبيهه.

---

[١] البيت لم أعثر على قائله وهو في جواهر البلاغة ، ص ٨٩.
[٢] التفتازاني : المطول شرح مفتاح العلوم ص ٤٣٠ .
[٣] بتصرف/ الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص ٨٩ .

لكن النداء يخرج إلى معان مجازية أخرى سيأتي الحديث[1] عنها.

جملة النداء الحقيقية :

النداء الحقيقي إما أن يقصد منه طلب إقبال المنادى وإما أن يقصد تنبيهه . لأن التنبيه من المعاني الحقيقية للنداء ، ودليل ذلك أن سيبويه سمَّى حروف النداء بالحروف التي ينبه بها المدعو قال:" باب الحروف التي ينبه بها المدعو: فأما الاسم غير المندوب فينبه بخمسة أشياء: بيا، وأيا، وهيا، وأى، وبالألف"[2] . فيكون النداء إقبالاً للمعرض ، وتنبيهاً للمقبل.

أولاً: ما يقصد به إقبال المنادى ، وذلك كقوله تعالى:﴿ يَٰمُوسَىٰٓ أَقۡبِلۡ وَلَا تَخَفۡۖ ﴾ {القصص: ٣١} . فالله سبحانه وتعالى طلب من موسى الإقبال بعد أن ولَّى مدبراً .

ومن ذلك قول النبي(صلى الله عليه وسلم) فيما روي عن كعب بن مالك ، أنه تقاضى ابن أبي حدرد[*] ديناً كان له عليه في المسجد، فارتفعت أصواتهما حتى سمعها رسول الله (صلى الله عليه وسلم)وهو في بيته، فخرج إليهما حتى كشف سجف حجرته، فنادى: [يا كعب] قال: لبيك يا رسول الله ، قال: [ضع من دينك هذا] وأومأ إليه: أي الشطر، قال: لقد فعلت يا رسول الله، قال: [قم فاقضه][3] . فنداء الرسول(صلى الله عليه وسلم) لكعب طلب لإقباله عليه. ومنه قول

---

(١) البحث نفسه ص ١١١ وما بعدها .
(٢) سيبويه : الكتاب ٢٢٩/١ .
(*) هو طلحة بن سلامة بن عمير بن أَبِي سلامة بن سعد بن سنان ابن الحارث بن عبس بن هوازن بن أسلم أَبُو حدرد الأسلمي روى بعض الأحاديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم . انظر:(ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة ، تحقيق: معوض وآخرون ، الناشر: دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤١٥هـ ، ٥٠٦/٢).
(٣) الحديث في صحيح البخاري ١/ ٩٩ .

الشاعر:[1]

تنادوا يا لبهثة إذ رأونا وقلنا أحسني ضرباً جهينا

فسياق النداء في صدر البيت يوحي بطلب الإقبال والمجيء .

ثانياً: ما يقصد به تنبيه المنادي (طلب إصغائه) وأكثر النداء الحقيقي هو من هذا النوع ، كقوله تعالى على لسان لقمان: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ ﴾ {لقمان: ١٧} . قال ابن عاشور:" فالنداء مستعمل مجازاً في طلب حضور الذهن لوعي الكلام وذلك من الاهتمام بالغرض المسوق له الكلام"[2]. فابن عاشور –رحمه الله– يقول باستعمال النداء مجازاً في هذه الآية بحسب قول البلاغيين : (النداء طلب الإقبال) ولكن هو طلب إقبال أو تنبيه على وجه الحقيقة . وسبق الحديث عن توضيح ذلك.

ومن نداء التنبيه قول النبي(صلى الله عليه وسلم):[يا بني سلمة ألا تحتسبون آثاركم][3]. فأراد الرسول (ص) من بني سلمة الانتباه والإصغاء إلى ما يحثهم عليه. ومن ذلك قول الشاعر:[4]

أفاطم مهلاً بعض هذا التدلل وإن كنت قد أزمعت صرمي فأجملي

جملة النداء المجازية:

تخرج جملة النداء عن معنى الإقبال والتنبيه إلى معانٍ أخرى تفهم من السياق عن طريق

---

[1] البيت لعبد الشارق بن عبد العزى الجهني ، أورده أبو العباس القلقشندي في كتابه : قلائد الجمان في التعريف بقبائل عبر الزمان ، تحقيق: إبراهيم الإبياري ، الناشر: دار الكتاب اللبناني ، ط٢ ، ١٤٠٢هـ ، ص ٤٣ .

[2] ابن عاشور: التحرير والتنوير ١٥٤/٢١ .

[3] الحديث في صحيح البخاري ١/ ١٣٢ .

[4] البيت لامرئ القيس في ديوانه ، ص ٣٢ .

القرائن . قال الهاشمي:" وقد تخرج ألفاظ النّداء عن معناه الأصلي إلى معان أخرى، تفهم من السِّياق بمعونة القرائن"[١]. وقال بسيوني:" ويأتي أسلوب النداء مفيداً لمعان بلاغية كثيرة تفهم من السياق وقرائن أحواله فعندما تنادي القبور أو النوق أو البرق أو التعجب أو الويل ، فإنه يراد بهذا النداء مقاصد وأغراض يرمي إليها المنادِي ، كما ينادي الحي العاقل لغرض آخر بالإضافة إلى طلب الإقبال"[٢] .

وقال حبنَّكة:" وقد يخرج النداء عن المعنى الأصلي الموضوع له، فيستعمل لدى البلغاء وغيرهم في أغراض أخرى غير النداء ، وهذه الأغراض تفهم من قرائن الحال أو قرائن المقال، فكل حركة نفسية ذات مشاعر تدفع الإنسان إلى التعبير عنها بنداء ما بطريقة تلقائية، ولو لم يشعر بأن هذا النداء يحقق له مرجواً أو مأمولاً أو يدفع عنه مكروها. كأن يستعمل النداء في الزجر واللوم، أو التحسر والتأسف والتفجع والندم أو الندبة، أو الإغراء، أو الاستغاثة، أو اليأس وانقطاع الرجاء، أو التمني، أو التذكر وبث الأحزان، أو التضجر، أو الاختصاص، أو التعجب" [٣] . فالمعاني المجازية للنداء لا تنحصر في عدد معين. قال عنها طبل:" هو منبع لما لا حصر له من المعاني والدلالات الفنية التي تدرك بتأمل السياقات المختلفة التي يرد فيها"[٤]. فلنأخذ منها على سبيل المثال:

الإغراء: هو حض المخاطب وإغراؤه على الزيادة في فعل ما أو عدم تركه ، كقولنا لطالب

---

[١] الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص ٩٠ .
[٢] بسيوني : دراسة بلاغية ونقدية لمسائل علم المعاني ، ص ٤١٤ .
[٣] حبنَّكة : البلاغة العربية ٢٤١/١ .
[٤] حسن طبل: علم المعاني في الموروث البلاغي(تأصيل وتقييم) ، ص ٩٦ .

العلم (يا عالم أو يا أستاذ) . قال السيوطي:" الإغراء كقولك لمن يتظلم (يا مظلوم)، فإنه ليس بنداء حقيقة لأن الغرض أن المخاطب أقبل يتظلم ولكنه ترغيب له في شكوى الظلم وحث عليه"[١] . ومن ذلك قول الشاعر:[٢]

يا أعدل الناس إلا في معاملتي فيك الخصام وأنت الخصم والحكم

التحسر: هو استعمال النداء تعبيراً عمَّا يجيش بالنفس من حسرة وندم[٣] . كقوله تعالى: ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ {يوسف: ٨٤}. قال ابن عاشور عن ذلك :" ونداء الأسف مجاز. نزل الأسف منزلة من يعقل فيقول له: احضر فهذا أوان حضورك"[٤].

ومنه قوله تعالى: ﴿ يَـٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ {الفرقان: ٢٧} . قال بسيوني بعد أن ذكر هذه الآية وأعقبها بقوله تعالى:﴿ يَـٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾ {الزمر: ٥٦}" فنداء الحسرة والويل في الآيتين يفيد التحسر والتحزن وإظهار الندم ، وكأنه يقول : يا ويلتي ويا حسرتي اقبلا فهذا أوانكما"[٥]. ومن ذلك قول الشاعر:[٦]

يا شبابي! وأين مني شبابي؟ آذنتني حباله بانقضاب

فالشاعر بندائه هذا يتحسر على شبابه الذي ولَّى.

التعجب: هو رفع الصوت تعبيراً عما في النفس من حالة التعجب المثيرة . كقوله

---

[١] السيوطي: شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان ، ص ١٤٩ .
[٢] البيت للمتنبي في شرح ديوانه للواحدي ، ص ٢٤٢ .
[٣] حبنكة : البلاغة العربية ٢٤٧/١ .
[٤] ابن عاشور: التحرير والتنوير ٤٢/١٣ .
[٥] بسيوني: دراسة بلاغية ونقدية لمسائل علم المعاني ، ص ٤١٦ .
[٦] البيت لابن الرومي في ديوانه ٢٣٢/١ .

تعالى:﴿ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ﴾ {هود: ٧٢}. فنداء الويل هنا للتعجب . قال القرطبي: "ولم ترد الدعاء على نفسها بالويل، ولكنها كلمة تخف على أفواه النساء إذا طرأ عليهن ما يعجبن منه، وعجبت من ولادتها"[١]. ومن ذلك قول الشاعر:[٢]

فيالك من ليل كأن نجومه بأمراس كتَّان إلى صمِّ جندلِ

فالشاعر يتعجب من طول الليل . قال المصطاوي:" يقول مخاطبًا الليل: فيا عجبًا لك من ليل كأن نجومه شدت بحبال من الكتان إلى صخور صلاب"[٣] فالمصطاوي جعل المنادى هو العجب ، ونداء العجب تعجباً .

التمني: هو أن يستعمل النداء بمد الصوت تعبيراً عن مشاعر النفس المتمنية أمراً عسير المنال ، أو متعذره[٤]. وذلك كقوله تعالى على لسان قوم فرعون:﴿ يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ ﴾ {القصص: ٧٩}. فهم تمنوا ما آتى اللهُ قارونَ وعبروا عن ذلك بمد صوتهم بالنداء (يا ليت) . والغالب في النداء الذي يخرج إلى التمني بهذه الصيغة ، وقد يكون بنداء الجمادات كقول الشاعر:[٥]

يا دار عبلة بالجواء تكلمي فعمي صباحاً دار عبلة واسلمي

فالشاعر يتمنى أن تخبره الدار عن أهلها وما فعلوه.

---

[١] القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٩/ ٦٩ .
[٢] البيت لامرئ القيس في ديوانه ص ٥٠ .
[٣] ديوان امرئ القيس : تحقيق: عبد الرحمن المصطاوي ، الناشر: دار المعرفة- بيروت ، ط٢ ، ١٤٢٥هـ ، ص ٥٠ .
[٤] حبنّكة : البلاغة العربية ١/ ٢٤٨ .
[٥] البيت لعنترة بن شداد ، في شرح المعلقات التسع ، للزوزوني ، ص٢٤٥ .

الندبة: هو رفع الصوت بالنداء تعبيراً عما في النفس من ألم يُتَوجَّع منه ، أو فقيداً يُتَفجَّعُ عليه[١] . ومن ذلك قول أمنا عائشة رضي الله عنها : [وا رأساه، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): ذاكِ لو كان وأنا حي فأستغفر لك وأدعو لك فقالت عائشة: وا ثكلياه، والله إني لأظنك تحب موتي، ولو كان ذاك، لظللت آخر يومك معرساً ببعض أزواجك، فقال النبي (صلى الله عليه وسلم): بل أنا وا رأساه، لقد هممت – أو أردت – أن أرسل إلى أبي بكر وابنه وأعهد...][٢]. فهي رضي الله عنها تندب رأسها وتتألم منه ، أما قول النبي(صلى الله عليه وسلم):(بل أنا وا رأساه) أراد إخبارها بأنه سيموت قبلها . قال السنيكي في شرح هذا الحديث:" دعي ذكر ما تجدينه من وجع رأسك واشتغلي بي فإنك لا تموتين في هذه الأيام بل تعيشين بعدي.(وأعهد) أي: أوصي بالخلافة لأبي بكر"[٣] ومن الندبة قول الشاعر:[٤]

وا حرَّ قلباه ممن قلبه شَبِمُ ومن بجسمي وحالي عنده سقم

فالشاعر يندب قلبه لما به من الحرور ولوعة الحب . وذلك لما في البيت الثاني من هذا المعنى قال: مالي أكتم حبًّا قد برى جسدي وتدعي حب سيف الدولة الأمم

وقد يكون نداء الندبة بـ(يا) قال التفتازاني :" ومنها الندبة كقولك : يا محمداه كأنك تدعوه، وتقول: تعال فأنا مشتاق إليك"[٥] .

---

[١] بتصرف/ حبنكة : البلاغة العربية ٢٤٩/١ .
[٢] الحديث في صحيح البخاري ٧/ ١١٩ .
[٣] السنيكي : زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، أبو يحيى السنيكي المصري الشافعي ، منحة الباري بشرح صحيح البخاري ، تحقيق: سليمان بن دريع العازمي ، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية ، ط١، ١٤٢٦ هـ ، ٦٩٠/٨ .
[٤] البيت للمتنبي في شرح ديوانه للواحدي ، ص ٢٤١ .
[٥] التفتازاني : المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم ، ص ٤٣٢ .

المبحث الخامس

جملة التمنِّي

التمنِّي مصدر الفعل (تمنَّى) فهو مزيد بالتاء والتضعيف . ومعناه في اللغة القَدَر، قال ابن فارس: " الميم والنون والحرف المعتل أصل واحد صحيح، يدل على تقدير شيء ونفاذ القضاء به ، منه قولهم: منى له الماني، أي قدر المقدر. قال الهذلي:

لا تأمنن وإن أمسيت في حرم حتى تلاقي ما يمني لك الماني

والمنا: القدر"[1]. وقال الفيروز آبادي : "مَناهُ اللهُ يَمْنِيه: قَدَّرَهُ، أو ابْتَلاهُ واخْتَبَرَهُ ، والمَنَى: المَوْتُ، كالمَنِيَّةِ، وقَدَرُ اللهِ، والقَصْدُ"[2]. وذكره الزمخشري بهذا المعنى قال:" وأنا راض بمنى الله: بقدره، وتقول: ساقه المنى، إلى درك المنى ... وهو منّي بمنى ميل، وداره منى داري: بحذائها، ومنه: المنيّة والمنايا"[3]. وأوضح ما ذكر في هذا المعنى ما قاله الراغب في تفسير قوله تعالى:﴿ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ ﴾ {البقرة: ٧٨}. قال " الأصل في هذه اللفظة الدائر في جميع متصرفاته التقدير، ومنه المنا الذي يوزن به، والذي منه الحيوان، ومنى الله كذا، أي قدر، وعن ذلك وضع الأمنية، فإنه تقدير شيء في النفس وتصويره فيها، وذلك قد يكون عن تخمين وظن، ويكون عن روية وبناء على أصل، لكن لما كان أكثره عن تخمين

---

[1] ابن فارس : مقاييس اللغة ٢٧٦/٥ .
[2] الفيروز آبادي : القاموس المحيط ١٣٣٦/١ .
[3] الزمخشري : أساس البلاغة ٢٣١/٢ .

صار الكذب به أملك، فأكثر التمني تصور ما لا حقيقة له"[١]. والذي يترجح من هذه الأقوال قول الراغب – التمني : تقدير شيء في النفس وتصويره فيها، أو هو تصور ما لا حقيقة له– وذلك لأنه أقرب الأقوال إلى التعريف الاصطلاحي للتمني .

التعريف الاصطلاحي للتمني:

عرفه الشريف الجرجاني بقوله:" طلب حصول الشيء سواء كان ممكناً أو ممتنعاً"[٢]. وقال عنه الهاشمي : هو طلب الشيء المحبوب الذي لا يُرجى، ولا يتوقَّع حصوله إما لكونه مستحيلاً ، وإمّا لكونه ممكناً غير مطموعٍ في نيله[٣]. وعرفه حبنَّكة قائلاً :" فهو طلب أمر محبوب أو مرغوب فيه، ولكن لا يرجى حصوله في اعتقاد المتمني، لاستحالته في تصوره، أو هو لا يطمع في الحصول عليه، إذ يراه بالنسبة إليه متعذراً بعيد المنال"[٤]. وهكذا بقية أقوال البلاغيين لم تخرج عن هذا المعنى وإن اختلفت في التعبير.

بالتدقيق والإمعان في الأقوال اللغوية والاصطلاحية للتمني نخلص إلى أنَّ التمني : هو تقدير أمر في نفس المتكلم يطلب حصوله من غير ترقب . لسببين : إما لكونه مستحيلاً، وإما لعدم طماعية المتكلم فيه لبعد تحققه ، هذا إذا كان الشيء المُتَمَنَّى حقيقيَّاً . أما غير ذلك فيكون صياغ التمني لغرض بلاغي يتضح لاحقاً .

جملة التمني الحقيقية:

---

[١] الراغب الأصفهاني : أبو القاسم الحسين بن محمد ، تفسير الراغب الأصفهاني ، تحقيق: محمد عبد العزيز بسيوني ، الناشر: كلية الآداب – جامعة طنطا ، ط١ ، ١٤٢٠هـ ، ٢٣٩/١ .

[٢] الشريف الجرجاني : التعريفات ، ص ٦٦ .

[٣] بتصرف/ الهاشمي : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبيع ، ص٨٧ .

[٤] حبنَّكة : البلاغة العربية ٢٥١/١ .

يمكن تقسيم التمني الحقيقي حسب إمكان حدوث المُتَمَنَّى وعدم إمكانه إلى قسمين :

أولا متمَّنى يمكن حصوله: وذلك إذا لم يخطر ببال المتكلم أنه سينال ذلك يوماً ما . ولكن يمكن حصوله. قال فضل عباس:" إذا كان الشيء المُتمنَّى ممكناً ، فيجب ألا يكون مما تتوقعه نفسك ، لأنك إذا توقعته صار ترجياً ؛ فإذا قلت ليت لي داراً . فينبغي ألا تكون متوقعاً لما تتمناه ، لقلة ذات اليد ، ولكثرة التكاليف ، وغيرهما من الأسباب ، وهذا أمر ممكن غير مستحيل "[١]. وقال بسيوني:" تقول في تمني الشيء المحبوب الذي يمكن حصوله ولكنه غير مطموع فيه لبعد مناله : ليت لي مالاً فأحجَ منه ، ليتني ألقى فلاناً فأنتفعَ بعلمه ، والبعد هنا بعد نفسي ، مرده إلى شعور النفس وإحساسها بذلك الشيء ، وقد لا يكون بعيداً بالنسبة للواقع أو العرف أو العقل"[٢]. ومن ذلك قوله تعالى:﴿ يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ ﴾ {القصص: ٧٩} . فهم قد تمنوا ما آتى اللهُ قارونَ من الأموال ، واستبعدوا أن يحصلوا ذلك لعظمته وكثرته . قال ابن عاشور:" فلذلك عظم في عيونهم ما عليه قارون من البذخ فقالوا إنه لذو حظ عظيم"[٣] . ومنه قول النبي(صلى الله عليه وسلم):[ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة...][٤] . فهو(صلى الله عليه وسلم) قد تمنى شيئاً ممكناً . ومنه قول الشاعر:[٥]

ليت الذي بيني وبينك عامر وبيني وبين العالمين خراب

فتمنَّى الشاعر وصال ممدوحه وقطع غيره من البشر. وهذا يمكن حصوله .

---

[١] فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفنانها ، ص ١٥٦ .
[٢] بسيوني : دراسة بلاغية ونقدية لمسائل علم المعاني ، ص ٤٢٠ .
[٣] ابن عاشور : التحرير والتنوير ٢٠/ ١٨٣ .
[٤] الحديث في صحيح البخاري ، ٨٣/٩ .
[٥] البيت للمتنبي في ديوانه ، ص ٤٨١ .

ثانياً متمنَّى لا يمكن حصوله: هو أن يتمنى المتكلم شيئاً يستحيل تحققه . قال التفتازاني:" وقد يكون محالاً كما تقول ليت الشباب يعود "[1] . وقال بسيوني:" تقول في تمني الأمر الذي لا طمع فيه لكونه مستحيلاً ، لا يمكن حصوله : ليت الشباب يعود ... ليت الكواكب تدنو لي"[2]. ومن ذلك قوله تعالى:﴿ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ {الأنعام: ٢٧}. تمنوا الرجوع إلى الدنيا وذلك من المحال. قال الطبري:" إنما تمنوا الردّ، وأخبروا أنهم لا يكذبون، ويكونون من المؤمنين"[3]. ومنه قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه :" ليتني لم أُخْلَق ليت أمي لم تلدني"[4]. فمنية أمير المؤمنين هذه من المستحيلات . ومنه قول الشاعر:[5]

نعب الغراب وليته لم ينعب بالبين من سلمى وأمّ الحوشب

ليت الغراب رمى حماطةَ قلبه عمرٌو بأسهمه الّتي لم تُلْغَبِ[*]

تمنى الشاعر عدم نعب الغراب وهذا لا يتأتى . كما تمنى أن يُرْمَى الغراب بأسهم عمرو في سويداء قلبه . وهذا لم يحصل لأن الغراب قد نعب ولم يصب بمكروه بعد.

جملة التمني المجازية:

توافقت أقوال البلاغيين على أن صيغة التمني إذا وردت بغير الأداة الأصلية (ليت) فهي

---

[1] التفتازاني : المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم ، ص ٤٠٧ .
[2] بسيوني : دراسة بلاغية ونقدية لمسائل علم المعاني ، ص ٤١٩ .
[3] الطبري : جامع البيان في تأويل القرآن ، ٣١٩/١١ .
[4] ابن المبرد : يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن بن عبد الهادي الصالحي ، محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، تحقيق: عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن ، الناشر: عمادة البحث العلمي – الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة ، ط١، ١٤٢٠هـ ٢/ ٦٢٣ .
[5] البيتان لوبرة بن الجحدر من بني دغش . وهما في كتاب الشعر والشعراء ، الناشر: دار الحديث – القاهرة ، ١٤٢٣هـ ، ١٢٦/١ .
[*] لم تُلْغَب بمعنى لم يفسد رميها . فاللغب عند ابن منظور هو الإعياء أو الفساد وعدم القصد.انظر:(لسان العرب ٣٨٦/١).

تأتي لغرض بلاغي يعرف من السياق . قال الهاشمي:" وللتمني أربع أدوات واحدةٌ أصلية – وهي (ليتَ) وثلاث غيرُ أصلية نائبة عنها – ويتمنى بها لغرض بلاغي"[١]. وقال المراغي:" وللتمني ألفاظ أربعة واحدة أصلية وهي ليت وثلاثة نائبة عنها"[٢]. وفصَّل حبنَّكة في ذلك بقوله:" وعلى خلاف الأصل قد يستعمل في التمني: (هل) و(لعل) و(عسى) لغرض بلاغي، وهو إبراز المتمنى في صورة الممكن المطموع فيه، بغية الإشعار بكمال العناية به، والتلهف على الحصول عليه، أو تحقيقه. وقد يستعمل في التمني حرف (لو) لإبراز المتمنى في صورة الممكن إلا أنه عزيز المنال يصعب تحقيقه، إذ حرف (لو) يشعر بعزة الأمر المرجو المطموع فيه"[٣].

وخلاصة هذه الأقوال أن التمني إذا جاء بغير (ليت) فيصحب معناه الأصلي معنى آخر لغرض بلاغي ، ولا نقول أنه يخرج عن معناه الأصلي فهو لا ينفك عنه . ومن المعاني المجازية التي تصاحب المعنى الأصلي لجملة التمني ما يأتي:

إبراز المستحيل في صورة الممكن: يكون ذلك إذا كانت الأداة المستخدمة للتمني هي في الأصل أداة الاستفهام(هل) ، أو أداة الترجي(لعل) . فالأولى: نحو قوله تعالى: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ﴾ {الأعراف: ٥٣}. فالأداة المستخدمة هي في الأصل للاستفهام ولكن استخدامها هنا للتمني. والسياق يدل على ذلك . قال ابن عاشور:" ويجوز أن

---

[١] الهاشمي : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبيع ، ص ٨٧ .
[٢] المراغي : علوم البلاغة (البيان – المعاني – البديع) ، ص ٦٣ .
[٣] حبنَّكة : البلاغة العربية ١/ ٢٥٢ .

يكون الاستفهام مستعملاً في التمني"[1]. والغرض من ذلك إبراز المستحيل في صورة الممكن. ومنه قول الشاعر:[2]

ألا هل من البين المفارق من بد وهل مثل أيامي بمنقطع السعد

تمنيت أيامي أولئك والمنى على عهد عاد وما تعيد وما تبدي

قال حسن طبل بعد ذكره للبيتين :" فـ(هل) قد خرجت من معناها الأصلي إلى إفادة التمني ، وقيمة التمني بـ(هل) هي إبراز المتمنى في صورة الممكن لشدة الحاجة إليه والرغبة فيه "[3]. والثانية كقوله تعالى:﴿ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحًا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ﴾ {غافر: ٣٦}. تمنى فرعون بناء الصرح الموصل إلى السماء واستخدم (لعل) ليشعر بإمكانية وقربه . ومن ذلك قول الشاعر:[4]

بكيت على سرب القطا إذ مررن بي فقلت ومثلي بالبكاء جدير

أسرب القطا هل من يعير جناحه لعلي إلى من قد هويت أطير

إظهار عظمة المُتَمَنَّى: ويكون ذلك باستخدام (لو) المصدرية ، كقوله تعالى على لسان نبيه لوط :﴿ قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ﴾ {هود: ٨٠}. استخدم (لو) مكان (ليت) لإظهار عظمة القوة التي تمناها لتغيير هذا المنكر . قال ابن عاشور عن تفسير هذه الآية :"

---

[1] ابن عاشور : التحرير والتنوير ١٥٦/٨ .
[2] البيتان لنصيب بن رباح في ديوانه ، جمع وتقديم: داود سلوم ، الناشر: مطبعة الرشاد ، بغداد – العراق ، ط١ ، ١٩٦٧م ، ص٨٣ .
[3] حسن طبل : علم المعاني في الموروث البلاغي (تأصيل وتجديد) ، ص ٩٤ .
[4] البيتان لمجنون ليلى في ديوانه ، ص ٩٨ .

و(لو) مستعملة في التمني، وهذا أقصى ما أمكنه في تغيير هذا المنكر"[١] . ومنه قول الشاعر:[٢]

ولَّى الشباب حميدة أيامه لو كان ذلك يشترى أو يرجع

فالشاعر تمنى شراء الشباب ورجوعه لو كان ذلك ممكناً وفي هذا إظهاراً لعظمة هذا الشباب.

التحضيض والتنديم: ويكون ذلك باستخدام أربع أدوات هي(هلَّا وألّا ولولا ولوما) . نقل القزويني عن السكاكي قوله:" كأن حروف التنديم والتحضيض هلَّا وألَّا بقلب الهاء همزة ولولا، ولوما، مأخوذة منهما مركبتين[*] مع لا وما المزيدتين لتضمنيهما معنى التمني، ليتولد منه في الماضي التنديم نحو هلَّا أكرمت زيدًا، وفي المضارع التحضيض نحو هلَّا تقوم"[٣]. إذاً هذه الأدوات الأربع تخرج من التمني إلى التحضيض إذا دخلت على فعل مضارع ، وتخرج من التمني إلى التنديم إذا دخلت على فعل ماضٍ . فالأول كقوله تعالى:" ﴿ لَّوۡمَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ {الحجر: ٧} . فكأن المعنى لو تأتينا بالملائكة ولكن استخدام (لوما) أبلغ لأن المعنى هو التحضيض . والثاني كقوله تعالى:﴿ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ ﴾ {المنافقون: ١٠}.ومن التمني الذي خرج للتحضيض قول الشاعر:[٤]

---

[١] ابن عاشور: التحرير والتنوير ١٢/ ١٣٠ .
[٢] البيت لجرير بن عطية في ديوانه ، ص ٢٦٨ .
(*) معنى ذلك أن(هلا وألا ولولا ولوما)أصلها: (هل) الاستفهامية تركبت معها (لا) الزائدة لتصبح (هلَّا) ويزول عنها معنى الاستفهام . وقد تقلب الهاء إلى همزة فتصير(ألَّا). ثم (لو) المصدرية تركبت معها (لا) الزائدة لتصبح (لولا) أو (ما) الزائدة لتصبح(لوما) .
[٣] القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة ٥٤/٣ .
[٤] البيت لعنترة بن شداد في شرح ديوانه ، للتبريزي ، ص ١٧١.

هلَّا سألت الخيل يا ابنة مالك إن كنت جاهلة بما لم تعلم

ومن خلال هذه المباحث نصل إلى أن المعاني البلاغية التي ذكرت مع كل نوع من أنواع الطلب هي جزء من كل ، وذكرت على سبيل المثال لا الحصر . والغرض من ذكرها توضيح نوع الطلب وتقسيمه من حيث الحقيقة والمجاز . وإلا فإن المعاني المجازية للجملة الطلبية لا تحصر في شيء معين ، مع أنها تتداخل مع بعضها فيخرج الاستفهام إلى الأمر والنهي ويخرج النهي إلى الأمر أو العكس . وهذا يدل على بلاغة ومرونة الجملة الطلبية .

أما الجملة الطلبية في القرآن فلها خصائص تميِّزها عن كلام البشر ، ومن يتدبر كلام الله – عز وجل– سيقف معجباً مندهشاً أمام بلاغته وما اختص به من تعبيرات . قال الخطابي:" وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل ، ومعنى به قائم ، ورباط لهما ناظم. وإذا تأَملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة حتى لا ترى شيئًا من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه ، ولا ترى نظمًا أحسن تأليفًا وأشد تلاؤماً وتشاكلاً من نظمه. وأما المعاني فلا خفاءَ على ذي عقل أنها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها"[1]. فالجملة الطلبية بشقيها– الحقيقي والمجازي – في القرآن لها طابع معجز وبلاغة فيَّاضة يدركها اللبيب وصاحب الذوق السليم . وسيأتي التفصيل عن هذه الخصائص البلاغية من خلال مباحث الفصل التالي.

[1] الخطابي: ، بيان إعجاز القرآن ، ص ٢٧ .

الفـــصـــل الـــثـــالـــث

الخصائص البلاغية للجملة الطلبية في القرآن الكريم

المبحث الأول : الخصائص البلاغية لجملة الاستفهام في القرآن الكريم

المبحث الثاني : الخصائص البلاغية لجملة الأمر في القرآن الكريم

المبحث الثالث : الخصائص البلاغية لجملة النهي في القرآن الكريم

المبحث الرابع : الخصائص البلاغية لجملة النداء في القرآن الكريم

المبحث الخامس : الخصائص البلاغية لجملة التمني في القرآن الكريم

المبحث الأول

الخصائص البلاغية لجملة الاستفهام في القرآن الكريم

تميَّز الاستفهام في القرآن الكريم بالعديد من الخصائص البلاغية التي انفرد بها عن غيره. نقل عبد القادر عن فودة قوله:" والقرآن المكي يحوي من أساليب الاستفهام أروع الصور وأكثرها للوجدان إثارة ، وأشدها على النفس وقعاً ، فترى تلك الأساليب تتوالى في مواضع كثيرة منه ، مؤدية شتى المعاني البلاغية محققة هذا التلوين الكلامي الذي يهز المشاعر هزاً ، ويبعث في النفس شغفاً وشوقاً إلى تتبعه في حركة سيره ، ومجرى انتقاله "[1]. وقال درَّاز :" الاستفهام لون من ألوان التعبير ينقل أدق المشاعر وأعمق الأحاسيس ، ويبث أخفى الخواطر والهواجس باعثاً في نفس المتلقي شتى الإيحاءات المتوهجة المتداخلة فتحس نبض القلوب في نبض الكلمات وحرارة الانفعالات في التعبيرات "[2]. ومما اختص به الاستفهام القرآني: اختيار الألفاظ المناسبة حسب ما يقتضيه المعنى . ففي قوله تعالى:﴿ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ ﴾ {الأعراف: ١٩٣}. ساوى بين حالة الدعوة وحالة الصمت ، فاستخدم مع الأولى الفعل(دعوتموهم) واستخدم مع الثانية اسم الفاعل(صامتون) . كما استخدم (على) بدل (عن) . ولم يكن ذلك إلا لمناسبة هذه الألفاظ للمعنى المقصود . فصَّل ابن عاشور في ذلك

(١) عبد القادر حسين : فن البلاغة ، الناشر: عالم الكتب ، ط٢ ، ١٤٠٥هـ ، ص ١٤٦ .
(٢) درَّاز : صباح عبيد دراز ، الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم ، الناشر: مطبعة الأمانة – شارع الجزيرة – مصر ، ط١ ، ١٤٠٦ ، ص ١٠٧.

تفصيلاً دقيقاً قال:" وسواء اسم للشيء المساوي غيره أي ليس أولى منه في المعنى المسوق له الكلام... أي سواء دَعْوَتُكُم إيَّاهم وصمتكم عن الدعوة"[١]. ثم ذكر: أن (على) فيها للاستعلاء المجازي وهي بمعنى العندية أي: سواء عندهم. وإنما جُعِلَ الأمران سواء على المخاطبين ولم يُجْعَلا سواء على المدعوين فلم يقل سواء عليهم، وإن كان ذلك أيضا سواء عليهم، لأن المقصود من الكلام هو تأييس المخاطبين من استجابة المدعوين إلى ما يدعونهم إليه لا الإخبار، وإن كان المعنيان متلازمين"[٢]. أما عن اختلاف المتساويين بين الفعلية والاسمية فهو يرى أن ذلك من الفصاحة قال:" العدول إلى الاسمية من مقتضى الفصاحة، لأن الفواصل والأسجاع من أفانين الفصاحة، وفيهما تظهر براعة الكلام إذ يكون فيه إيفاء بحق الفاصلة مع السلامة من التكلف"[٣] . ويرى السامرائي أن العدول من الفعلية إلى الاسمية –في هذه الآية– من أجل المعنى لا من أجل اللفظ . قال وذلك أن الحالة الثابتة للإنسان هي الصمت وإنما يتكلم لسبب يعرض له . ولو أن إنساناً يكلم نفسه لاتَّهمته في عقله . فالكلام طارئ يحدثه الإنسان لسبب يعرض له ، ولذا لم يسوِّ بينهما بل جاء للدلالة على الحالة الثابتة بالاسم (صامتون) وجاء للدلالة على الحالة الطارئة بالفعل(دعوتموهم) .[٤] وقول السامرائي هو الأرجح لأن الفعل يدل على حدث وزمن، أما الاسم حدث مجرد.

ومما اختص به الاستفهام القرآني : الدقة والجمال في ترتيب جملة الاستفهام . قال

---

(١) ابن عاشور : التحرير والتنوير ٢١٨/٩ .
(٢) المرجع نفسه ٢١٨/٩-٢١٩ .
(٣) المرجع نفسه ٩/ ٢١٩ .
(٤) السامرائي : بلاغة التعبير القرآني ، الناشر: دار عمار- عمان ، ط٤ ، ١٤٢٧هـ ، ص ٢٤ .

السامرائي:" إن القرآن الكريم دقيق في وضع الألفاظ ورصفها بجنب بعض دقة عجيبة فقد تكون له خطوط عامة في التقديم والتأخير ، وقد تكون هناك مواطن تقتضي تقديم هذه اللفظة أو تلك ، كل ذلك مراعى فيه سياق الكلام والاتساق العام في التعبير على أكمل وجه وأبهى صورة"[١]. ومن ذلك ما ذكره الجرجاني عن قوله تعالى:﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴾ {الأنبياء: ٦٢}. قال:" لا شبْهةَ في أنهم لم يقولوا ذلك له عليه السلامُ، وهم يُريدون أنْ يُقِرَّ لهم بأَنَّ كَسْرَ الأصنام قد كان، ولكنْ أَنْ يُقِرَّ بأنه منهُ كان؛ وقد أشاروا له إلى الفعل في قولهم. أأَنْتَ فعلْتَ هذا؟"[٢]. فهم يريدون إقراره بأنه الفاعل .

بلاغة الاستفهام الحقيقي في القرآن:

لم يكن الاستفهام الحقيقي في القرآن مقصوراً على طلب معرفة شيء مجهول كما حده العلماء في حسمٍ ، بل كان هذا المعنى الحقيقي مبطناً بألوان من المعاني الثانوية الخصبة والظلال المديدة التي لا تخرجه عن كونه حقيقياً وهذا من عجيب شأن القرآن [٣]. من ذلك قوله تعالى:﴿ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ ﴾ {آل عمران: ٣٧}. فهذا استفهام حقيقي من زكريا عليه السلام لمريم لمعرفة مكان الرزق الذي يأتيها. ومع ذلك فهو يشوبه شيء من التعجب والدهشة ، لأنه تعجب من هذه الفاكهة التي لم تكن في وقتها. وهكذا أساليب

(١) السامرائي : بلاغة التعبير القرآني ، ص ٥٣ .
(٢) الجرجاني : دلائل الإعجاز ، ص ١٤١ .
(٣) صبَّاح : الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم ، ص ١٢١ .

الاستفهام الحقيقية في القرآن لا تخلو من نكتة بلاغية أخرى. ومن ذلك قوله تعالى على لسان يعقوب:﴿ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِي ﴾ {البقرة: ١٣٣}. يلاحظ أنه سألهم عن معبودهم في المستقبل فهو استفهام حقيقي. واستخدم اسم الاستفهام(ما) لأنه قد يطلق ويراد به العموم. قال أبوحيان:" فعلى قول من زعم أن (ما) مبهمة في كل شيء، يكون هنا يقع على من يعقل وما لا يعقل، لأنه قد عُبِد بنو آدم والملائكة والشمس والقمر وبعض النجوم والأوثان المنحوتة"[١] ولاحظ ابن عاشور لبلاغة هذا الاستفهام الحقيقي قال:" وجاء يعقوب في وصيته بأسلوب الاستفهام لينظر مقدار ثباتهم على الدين حتى يطلع على خالص طويتهم ليلقي إليهم ما سيوصيهم به من التذكير وجيء في السؤال بـ(ما) الاستفهامية دون (من) لأن ما هي الأصل عند قصد العموم لأنه سألهم عما يمكن أن يعبده العابدون. واقترن ظرف بعدي بحرف (من) لقصد التوكيد فإن (من) هذه في الأصل ابتدائية فقولك: جئت من بعد الزوال يفيد أنك جئت في أول الأزمنة بعد الزوال ثم عوملت معاملة حرف تأكيد"[٢]. ومنه قوله تعالى:﴿ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ ﴾ {يوسف: ٩٠ }. سألوه عن نفسه حينما تردد بداخلهم أهو يوسف أم لا ؟ ودليل ذلك تأكيد جملة الاستفهام بإنَّ واللام. قال أبو حيَّان:" ولما استفهموه أجابهم فقال: أنا يوسف كاشفاً لهم أمره، وزادهم في

(١) أبو حيان : البحر المحيط في التفسير ٦٤٠/١ .
(٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير ٧٣٢/١ .

الجواب قوله: وهذا أخي"[1]. وقول أبي حيان هذا يدل على أن الاستفهام حقيقي. وخالفه ابن عاشور بقوله:" إذ قد اتضح لهم المعنى التعريضي من كلامه فعرفوا أنه يتكلم مريداً نفسه. وتأكيد الجملة بـ (إن) ولام الابتداء وضمير الفصل لشدة تحققهم أنه يوسف– عليه السلام–. وأدخل الاستفهام التقريري على الجملة المؤكدة لأنهم طلبوا تأييده لعلمهم به" [2]. والذي يبدو أن الاستفهام حقيقي كما فسره أبوحيان ودخول المؤكدات على الاستفهام يدل على قوة تلهفهم لمعرفة ذلك وكأنهم ينكرون أنَّ يوسف هو العزيز ويؤكد ذلك قوله:(قد منَّ الله علينا). وقد يشوبه التقرير كما سبق القول أن الاستفهام الحقيقي في القرآن لا يخلو من معنى بلاغي.

بلاغة الاستفهام المجازي في القرآن:

خروج الاستفهام القرآني عن معناه الحقيقي إلى معان مجازية أخرى له خصائص تميزه عن كلام البشر ، نقل الزركشي عن بعض الأئمة قولهم:" ما جاء على لفظ الاستفهام في القرآن فإنما يقع في خطاب الله تعالى على معنى أن المخاطب عنده علم ذلك الإثبات أو النفي حاصل فيستفهم عنه نفسه تخبره به إذ قد وضعه الله عندها فالإثبات كقوله تعالى: {ومن أصدق من الله حديثا} والنفي كقوله تعالى: {هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا} {فهل أنتم مسلمون} ومعنى ذلك: أنه قد حصل لكم العلم بذلك تجدونه عندكم إذا استفهمتم أنفسكم عنه فإن الرب تعالى لا يستفهم خلقه عن شيء وإنما يستفهمهم

(١) أبو حيان : البحر المحيط في التفسير ٦/ ٣٢٠ .
(٢) ابن عاشور : التحرير والتنوير ٤٨/١٣-٤٩ .

ليقررهم ويذكرهم أنهم قد علموا حق ذلك الشيء فهذا أسلوب بديع انفرد به خطاب القرآن وهو في كلام البشر مختلف"[1] ومن خصائص الاستفهام المجازي في القرآن: تعدد المعاني للأسلوب الواحد . من ذلك قوله تعالى:﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ ﴾آل عمران: ٨٦}. قال القرطبي:" كيف فيها معنى الاستفهام الذي معناه التعجب ... وقيل:(كيف) لفظه لفظ الاستفهام وليس به ، بل هو تقرير وتوبيخ، أي كيف تكفرون نعمه عليكم وقدرته هذه! قال الواسطي: وبخهم بهذا غاية التوبيخ، لأن الموات والجماد لا ينازع صانعه في شيء، وإنما المنازعة من الهياكل الروحانية"[2]وقال بسيوني:" تأمل الآية تجد أن الاستفهام بها يفيد إنكار الكفر والتعجب من وقوعه والتوبيخ والاستبعاد والتوعد وغير ذلك من المعاني التي تنبعث من الأسلوب وتشع منه"[3] . ومن خصائص الاستفهام المجازي في القرآن : الدقة في اختيار الأدوات التي تناسب المعنى المجازي فمثلاً: أداة الاستفهام (أنَّى) يفسرها المفسرون بمعنى (كيف) تارة وبمعنى (من أين) تارة أخرى ، فلماذا لم تستخدم (كيف) في مكانها و(من أين) في مكانها ويضرب بـ(أنى) عرض الحائط ؟. إذاً هنالك نكتة بلاغية لاستخدام هذه الأداة علمها من علمها وجهلها من جهلها. فلو تتبعنا تفسير الاستفهام في قوله تعالى:﴿ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴾ {الدخان: ١٣}. نجد أنَّ هذه الأداة تصلح للمعنيين معاً . قال القرطبي:" (أنى لهم الذكرى) أي من أين يكون لهم التذكر والاتعاظ

(١) الزركشي : البرهان في علوم القرآن ٣٢٧/٢ .
(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٢٤٩/١ .
(٣) بسيوني: دراسة بلاغية ونقدية لمسائل علم المعاني ، ص ٢٣٤-٢٣٥ .

عند حلول العذاب"[١]. وقال الرازي:" أنَّى لهم الذكرى يعني كيف يتذكرون وكيف يتعظون بهذه الحالة وقد جاءهم ما هو أعظم وأدخل في وجوب الطاعة"[٢]. وفسرها ابن عاشور بالمعنيين معاً قال:" وأنى اسم استفهام أصله استفهام عن أمكنة حصول الشيء ويتوسعون فيها فيجعلونها استفهاماً عن الأحوال بمعنى (كيف) بتنزيل الأحوال منزلة ظروف مكان كما هنا بقرينة قوله: وقد جاءهم رسول مبين والمعنى: من أين تحصل لهم الذكرى والمخافة عند ظهور الدخان المبين ...والاستفهام مستعمل في الإنكار والإحالة، أي كيف يتذكرون وهم في شك يلعبون وقد جاءهم رسول مبين فتولوا عنه وطعنوا فيه" [٣]. ويرى السامرائي أنها تختلف عن (من أين) و(كيف) لاشتراكها في أكثر من معنى ، وقد تحتمل عدة معان في آن واحد. وفصَّل في ذلك تفصيلاً عجيباً بحديثه عن قوله تعالى:﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ {البقرة: ٢٢٣}. قال:" والمراد –والله أعلم– جميع هذه المعاني، فلك أن تأتي امرأتك من أين شئت، وكيف شئت، ومتى شئت مادام ذلك لا يخالف شرع الله. فالغرض من العدول إلى (أنى) توسيع المعنى، وزيادته فبدل أن يكرر عدة تعبيرات لإفادة هذه المعاني جميعها جمعها بلفظ واحد والله أعلم"[٤] .

ومن الخصائص البلاغية للاستفهام المجازي في القرآن : ملازمة بعض التراكيب لمعاني مخصوصة . منها: (وما أدراك؟ ، فمن أظلم؟ ، أإنَّا) . أما عبارة (ما أدراك؟) فهي لم ترد إلا

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ١٣٢/١٦ .
(٢) الرازي : مفاتيح الغيب ٦٥٧/٢٧ .
(٣) ابن عاشور : التحرير والتنوير ٢٩١/٢٥ .
(٤) السامرائي : معاني النحو ٢٥٥/٤.

وهي تالية حرف عطف (الواو –ثم) وذلك لأنها تفخيم وتعظيم لما يذكر قبلها من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ﴾ {الحاقة: ٣ }. وهي تركيب جرى مجرى المثل لا يتغير بتغير الأحوال وهو استفهام خرج إلى التهويل والتعظيم في جميع ورودها في القرآن . قال القرطبي:" واللفظ استفهام، معناه التعظيم والتفخيم لشأنها، كما تقول: زيد ما زيد! على التعظيم لشأنه"[١]. وإذا تغيرت العبارة تغير المعنى تبعاً لها. فقوله:(ما يدريك) يختلف في معناه عن(ما أدراك). نقل القرطبي عن سفيان بن عيينة قوله:" كل شيء قال فيه: وما أدراك فإنه أُخْبِرَ به ، وكل شيء قال فيه: وما يدريك فإنه لم يُخْبَر به"[٢]. وذكر ابن عاشور أن تركيب (ما يدريك) ما استفهامية والاستفهام معها إنكاري ومتعلق يدريك هو الأمر الذي ينكره المتكلم على المخاطب[٣] .

أما عبارة (من أظلم؟) فهي لم ترد إلا وهي مقترنة بالفاء ولم ترد إلا في مقام التكذيب قال أبو السعود عن قوله تعالى:﴿ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ {الأنعام: ١٤٤}. " والفاءُ لترتيب ما بعدها على ما سبق من تبكيتهم وإظهارِ كذِبهم وافترائِهم" [٤]. وهذه العبارة – فمن أظلم– خروجها إلى النفي ملازم لها، فهي تعني(لا أحد أظلم) وقد تخرج إلى غيره . يرى الألوسي أن الكلام في هذه العبارة يخرج إلى المبالغة في التهديد والزجر بغض النظر عن

(١) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٢٥٧/١٨ .
(٢) المرجع نفسه ١٨/ ٢٥٧ .
(٣) بتصرف/ ابن عاشور: التحرير والتنوير ٤٣٨/٧ .
(٤) أبو السعود : إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم ١٩٤/٣ .

نفي المساواة أو الزيادة [1].

أما عبارة (أإنَّا ...) فهي ملازمة لمعنى الإنكار والاستبعاد . من ذلك قوله تعالى:﴿ أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ {الصافات: ١٦}. وقوله تعالى:﴿ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ﴾ {يوسف: ٩٠} . وقوله تعالى:﴿ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴾ {الصافات: ٥٢}. فالاستفهام في الآيات جميعها للإنكار.

(١) بتصرف/ الألوسي : روح المعاني ٣٦٢/١ .

المبحث الثاني

الخصائص البلاغية لجملة الأمر في القرآن الكريم

لم يكن انقسام صيغ الأمر إلى أربع صيغ مجرد صدفة بل قُسِّمت لغرض بلاغي ، فلكل منها مقام ودلالة تختلف عن الأخرى . قال السامرائي:" والحقيقة أن الموقف مختلف والسياق غير متفق . فإنه لا ينبغي أن ينظر إلى الآيات مجردة بل تؤخذ من مواطنها وسياقها ، وهكذا ينبغي أن ينظر إلى كل نص أدبي ، فإن اللغة ليست جملاً مفردة بل هي مواقف ومواطن وقد تصلح جملة في موطن ولا تصلح في موطن آخر "(١).

بلاغة الأمر الحقيقي في القرآن:

عند التأمل لصيغ الأمر الحقيقي في القرآن يلاحظ أنها تتميز ببعض الخصائص البلاغية . قال باحاذق: " والبلاغة القرآنية تأتي في كل ذلك بالأخص والأشكل ، أي: بما لا يدانيها من ألفاظ . هي بلاغة القرآن التي تأتي بالألفاظ التي تتناسب مع الغرض الذي تعبر عنه ، وهي من الدقة المتناهية بحيث لا يقع لفظ إلا ويطابق معناه "(٢). إذاً من هذه الخصائص الدقة المتناهية في اختيار الألفاظ التي تناسب المعاني . قال ابن عاشور عن قوله تعالى:﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ {الأعراف: ١٩٩}. "فمعنى (خذ العفو) : عامل به

(١) السامرائي : بلاغة التعبير القرآني ، ص ٨٩ .
(٢) باحاذق : عمر محمد عمر ، شرح رسالة بيان إعجاز القرآن ، الناشر: دار المأمون للتراث ، ط١ ، ١٤١٦هـ ، ص ٧٨ .

واجعله وصفاً ولا تتلبس بضده. وأحسب استعارة الأخذ للعرف من مبتكرات القرآن"[1]. فعلى هذا يكون قوله (خذ العفو) يخالف قولنا (اعفُ) فأخذ العفو أمر بأن يجعله وصفاً ملازماً له طيلة حياته. أما(اعفُ) فهو أمر بالعفو الآن. ولا يلزم ذلك في المستقبل . فلو استخدم(اعف) بدلاً عن(خذ العفو) لقصر اللفظ عن المعنى المراد . وهكذا في قوله(وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين). قال ابن قتيبة:" (العفو) : صلة القاطعين، والصفح عن الظالمين، وإعطاء المانعين. وفي (الأمر بالعرف) : تقوى الله وصلة الأرحام، وصون اللّسان عن الكذب، وغضّ الطّرف عن الحرمات. وإنما سمّي هذا وما أشبهه (عرفا) و (معروفا) ، لأن كل نفس تعرفه، وكل قلب يطمئنّ إليه. وفي (الإعراض عن الجاهلين) : الصبر، والحلم، وتنزيه النفس عن مماراة السّفيه، ومنازعة اللّجوج"[2]. فلو تغيرت الألفاظ لما وصلنا إلى هذه المعاني الجامعة. ومن ذلك قوله تعالى:﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ﴾ {النساء: ١٠٢}. الملاحظ في هذه الآية أن صيغ الأمر وردت عن طريق الفعل المضارع المقترن بلام الأمر . في حين أنها وردت في مواضع أخرى بصيغة فعل الأمر؟ كقوله تعالى:﴿ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ {المزمل: ٢}. وقوله تعالى:﴿ خُذُواْ حِذْرَكُمْ ﴾ {النساء: ٧١}.وقوله تعالى:﴿كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ ﴾ {النساء: ١٣٥}. وقوله

(١) ابن عاشور : التحرير والتنوير ٢٢٦/٩ .
(٢) ابن قتيبة : تأويل مشكل القرآن ، ص ١٢ .

تعالى:﴿ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ ﴾ {النساء: ٤}.وقوله تعالى:﴿ صَلُّواْ عَلَيۡهِ ﴾ {الأحزاب: ٥٦}.

ولم يكن ذلك إلا لما يستدعيه السياق من بلاغة . ذكر الخطيب الإسكافي أن الآية إذا افتتحت بخطاب الشاهد أجري معها فعل الأمر ، وإذا افتتحت بلفظ الإخبار عن الغائب أجري معها الفعل المضارع المقترن بلام الأمر(١). والمأمور في هذه الآية هم الصحابة يفسره ضمير الغائبين في قوله(فيهم) و(لهم)و(منهم) . ولا يصلح استخدام فعل الأمر للمخاطب الغائب.

ومن الخصائص البلاغية للأمر الحقيقي في القرآن الإيجاز . من ذلك قوله تعالى:﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ﴾ {المزمل: ٨}. يرى الزمخشري أنَّ مصدر تبتَّل هو التَّبتُّل ولكن استخدم التبتيل مراعاة للفاصلة(٢). ولكن قوله (تبتَّل إليه تبتيلا) يحوي بداخله كثير من المعاني . قال ابن القيم:" مصدر تبتَّل التبتُّل كالتعلم والتفهم .ولكن جاء على التفعيل مصدر تفعل لسر لطيف. فإن في هذا الفعل إيذانا بالتدريج والتكلف، والتعمل والتكثر والمبالغة. فأتي بالفعل الدال على أحدهما، وبالمصدر الدال على الآخر. فكأنه قيل: بتّل نفسك إلى الله تبتيلا. وتبتل إليه تبتلا. ففهم المعنيان من الفعل ومصدره. وهذا كثير في القرآن. وهو من حسن الاختصار والإيجاز " (٣).

واستخرج السامرائي من هذا الأمر كثير من المعاني التي تدل على بلاغة استخدامه

(١) بتصرف/ الإسكافي : درة التنزيل وغرة التأويل ٨٤١/١ .
(٢) بتصرف/ الزمخشري : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٦٣٩/٤ .
(٣) ابن القيم : تفسير القرآن الكريم لابن القيم ، ص٥٥٥ .

بهذه الصيغة . قال:" انظر الوضع التربوي الآخر وهو أنه جاء بالفعل الدال على التدرج أولاً ثم بالمعنى الدال على الكثرة والمبالغة بعده وهو توجيه تربوي حكيم إذ الأصل أن يتدرج الإنسان من القلة إلى الكثرة ، والمعنى : احمل نفسك على التبتل والانقطاع إلى الله في العبادة شيئاً فشيئاً حتى تصل إلى الكثرة "[1]. ولم يكتف السامرائي بذلك ولكنه لاحظ معنى بلاغياً آخر قال:" ثم انظر كيف وضعها ربنا وضعاً فنياً عجيباً آخر فجاء للدلالة على معنى التدرج والحدوث بالجملة الفعلية ، لأن الفعل يدل على الحدوث والتجدد . فقال (وتبتل) ثم جاء للدلالة على معنى المبالغة والكثرة والثبوت بالصيغة الاسمية الدالة على الثبوت والكثرة لأنها الحالة الثابتة المرادة في العبادة "[2].

بلاغة الأمر المجازي في القرآن الكريم:

تختلف معاني جملة الأمر المجازية في القرآن بحسب الصياغ والتركيب . فقد يدل التركيب الواحد على معنى من المعاني . ويدل على معنى آخر في موضع آخر. ولا يعرف ذلك إلا من مناسبة الألفاظ للمعاني ومناسبة الجمل لبعضها. فهو فريد في ألفاظه ومعانيه. قال ابن القيم:" بل للقرآن عرف خاص ومعان معهودة لا يناسبه تفسيره بغيرها ولا يجوز تفسيره بغير عرفه والمعهود من معانيه فإن نسبة معانيه إلى المعاني كنسبة ألفاظه إلى الألفاظ بل أعظم، فكما أن ألفاظه ملوك الألفاظ وأجلها وأفصحها ولها من الفصاحة أعلى مراتبها التي يعجز عنها قدر العالمين فكذلك معانيه أجل المعاني وأعظمها وأفخمها، فلا يجوز تفسيره بغيرها من

(١) السامرائي : بلاغة التعبير القرآني ، ص ٣٥ .
(٢) المرجع نفسه ، ص ٣٦ .

المعاني التي لا تليق به بل غيرها أعظم منها وأجل وأفخم. فلا يجوز حمله على المعاني القاصرة بمجرد الاحتمال النحوي الإعرابي"[١]. من ذلك قوله تعالى:﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ ﴾ {النحل: ١٢٥}. وقوله تعالى:﴿ فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ ﴾ {البقرة:٦١}. وقوله تعالى:﴿ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴾ {غافر: ٥٠}. بتدبر هذه الآيات يُلاحَظُ أن تركيب الأمر فيها هو قوله(ادع) ويختلف معناه في كل آية عن الأخرى أما الأولى فمعناها النصح والإرشاد قال ابن عاشور:" ومخاطبة الله رسوله صلى الله عليه وسلم بهذا الأمر في حين أنه داع إلى الإسلام وموافق لأصول ملة إبراهيم دليل على أن صيغة الأمر مستعملة في طلب الدوام على الدعوة الإسلامية مع ما انضم إلى ذلك من الهداية إلى طرائق الدعوة إلى الدين"[٢]. وقال أبو حيان: " أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يدعو إلى دين الله وشرعه بتلطف، وهو أن يسمع المدعو حكمه، وهو الكلام الصواب"[٣]. ويُلْمَح من هذين القولين أن الأمر هنا لنصح الرسول(صلى الله عليه وسلم) وإرشاده لكيفية طرق الدعوة . أما الآية الثانية فالأمر فيها بمعنى الرجاء قال أبو حيان:" فكأنهم قالوا: ادع لنا الذي هو محسن لك، فكما أحسن إليك في أشياء، كذلك نرجو أن يحسن إلينا في إجابة دعائك"[٤] . أما الآية الثالثة فالأمر فيها بمعنى التيئيس . قال الزمخشري: " وليس قولهم فادعوا لرجاء المنفعة، ولكن للدلالة على الخيبة، فإن الملك المقرب إذا لم يسمع

(١) ابن القيم : تفسير القرآن لابن القيم ، ص ٢٧٨ .
(٢) ابن عاشور : التحرير والتنوير ٣٢٥/١٤ .
(٣) أبوحيان : البحر المحيط في التفسير ٦١٢/٦ .
(٤) المرجع نفسه ٣٧٥/١ .

دعاؤه، فكيف يسمع دعاء الكافر"[١]. فتركيب الجملة في هذه الآيات وإن كان واحداً فيختلف معناه باختلاف السياق .

ومن الخصائص البلاغية للأمر المجازي في القرآن : الدقة المتناهية في اختيار الألفاظ التي تعبر عن المعنى المراد سواء استخدمت هذه الألفاظ على حقيقتها[*] أم كان استخدامها مجازياً كقوله تعالى:﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾{الحجر: ٩٤}. فالأمر في حقيقته للعمل بما يؤمر به ، وعدم الانشغال بما يفعله المشركون ولكن الله –سبحانه– استخدم (الصدع) و(الإعراض) لتأدية المعنى المراد. قال الخطابي:" قوله (فاصدع بما تؤمر) أبلغ من قوله: فاعمل بما تؤمر وإن كان هو الحقيقة ، والصدع مستعار ، وإنما يكون ذلك في الزجاج ونحوه من فِلِزِّ الأرض، ومعناه المبالغة فيما أمر به حتى يؤثر في النفوس والقلوب تأثير الصدع في الزجاج ونحوه"[٢] . وقد يكون ذلك في غير القرآن لكنه ليس بهذه الدقة المتناهية . قال باحاذق:" قد يوافق شاعر أو ناثر في وصف ويأتي بألفاظ مشاكلة للمعاني ومعبرة عنها ، لكن أن يأتي بالأخص والأشكل ، فذلك لا يتأتى له ، تلك مرحلة سامية ، تلك بلاغة القرآن التي حازت من أجناس الكلام أعلاها وأرفعها درجة ، فامتزج لها بذلك نمط من الكلام يجمع بين صفتي الجزالة والعذوبة فهي الأخص"[٣]. وقال مصطفى:" القرآن الكريم يتناول من الكلمات المترادفة أدقها دلالة على المعنى وأتمها تصويرا وتشخيصا للصورة

---

(١) الزمخشري : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ١٧٢/٤ .
(*) أعني حقيقة الألفاظ التي تتركب منها جملة الأمر ومجازيتها . فمثلاً قوله: (اصدع) اتسعير للفعل (بلِّغ).
(٢) الخطابي : بيان إعجاز القرآن ، ص ٤٤ .
(٣) باحاذق : شرح رسالة بيان إعجاز القرآن ، ص ٧٨ .

وأجملها وأحلاها إيقاعا ووزنا بالنسبة إلى نظائرها"[1] ومن ذلك قوله تعالى:﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾{ آل عمران: ١٣٣}. وقوله تعالى:﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾{الحديد: ٢١}. فاستخدم مع الأولى الأمر من المسارعة ومع الثانية الأمر من المسابقة ولم يكن ذلك تلاعباً بالألفاظ بل لنكتة بلاغية . قال السامرائي:" انظر كيف أنه لما ذكر الجنة بأوسع صفة لها وذكر كثرة الخلق الداخلين فيها وذكر فضله العظيم على عباده قال(سابقوا) وفي الأخرى قال(سارعوا) وذلك لأن كثرة الخلق المتوجهين إلى مكان ما تستدعي المسابقة إليه لا مجرد المسارعة . فانظر كيف ذكر في آية الحديد(المسابقة) وهي تشمل المسارعة وزيادة وذكر السماء وهي تشمل السموات وزيادة ، وذكر المؤمنين بالله ورسله وهم يشملون المتقين وزيادة . وزاد فيها ذكر الفضل على المغفرة والجنة . فجعل في كل موضع

ما يناسبه من الألفاظ – فجلَّت حكمة الله"[2].

ومن الخصائص البلاغية للأمر المجازي في القرآن: تعدد المعاني للأسلوب الواحد في الموضع الواحد. قال درَّاز:" وننبه هنا أن النص على معنى بلاغي واحد في الأسلوب لا يعني أكثر من وضوح هذا المعنى وشهرته وإلا فإن أي أسلوب إنشائي سواء كان أمراً أم غيره

(١) مصطفى مسلم : مباحث في إعجاز القرآن ، الناشر: دار القلم – دمشق ، ط٣ ، ١٤٢٦هـ ، ص ١٣٧ .
(٢) السامرائي : بلاغة التعبير القرآني ، ص٤٤ .

يفيد مجموعة من المعاني المتقاربة المتداخلة يثيرها الأسلوب في النفس المتلقية وهي معان شعورية أو نفسية أو عقلية. ولهذا قد نجد اختلافاً في تسمية هذا المعنى أو تعيينه بين العلماء لأنها أمور ذوقية نفسية متقاربة"[١]. ونمثل لذلك بقوله تعالى:﴿ وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ {الأعراف: ٨٤}. فالأمر في قوله(انظر) معناه الأساسي هو الاعتبار قال ابن عاشور:" فالأمر للإرشاد والاعتبار"[٢]. وفهم أبو حيان منه معنى التخويف والزجر قال" وفيه إيقاظ وازدجار أن تسلك هذه الأمة هذا المسلك"[٣] . وفهم الألوسي من ذلك معنى التعجيب والتحذير مع الاعتبار قال" وهذا خطاب لكل من يتأتى منه التأمل والنظر تعجيباً من حالهم وتحذيراً من أفعالهم"[٤]. وهذا مثال واحد لتعدد معاني جملة الأمر المجازية في القرآن الكريم. مع أن القرآن يذخر بكثير من هذه الأمثلة.

(١) صبَّاح عبيد درَّاز : الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم ، ص ١٦-١٧ .
(٢) ابن عاشور : التحرير والتنوير ٢٣٨/٨ .
(٣) أبو حيان : البحر المحيط في التفسير ١٠٣/٥ .
(٤) الألوسي : روح المعاني ٤١٠/٤ .

المبحث الثالث

الخصائص البلاغية لجملة النهي في القرآن الكريم

سبقت الإشارة إلى أن ألفاظ الجملة في القرآن الكريم تكون بقدر المعاني المطلوبة من غير زيادة ولا نقصان سواء استخدمت هذه الألفاظ في حقيقتها أم في مجازيتها . قال الرافعي:" قلما تصيب لأحد من بلغاء الناس كلاماً قد أحكمت ألفاظه من هذه الوجوه كلها، فإنك لتستطيع أن تجد في كل كلام بليغ معانيَ قد جلبت لألفاظها، ولكنك لا تستطيع أن تجد في القرآن كله إلا ألفاظاً لمعانيها، وإن فتشت وجهدتَ وطلبت في ذلك الفرطة والندرةَ وهذا فصلُ ما بين الكلام المعجز الذي يؤخذ من وراء النفس، وبين غيره مما يكون بعضه من النفس وبعضُه من اللسان"(١). وقال شيخون:" التعبير القرآني يظل جارياً على نسق واحد من السمو في جمال اللفظ ، وعمق المعنى ودقة التركيب ودقة الصياغة وروعة التعبير ... وتلك حقيقة شاقة ، بل لقد ظلت مستحيلة على الزمن لدى فحول علماء العربية والبيان"(٢). وجملة النهي في القرآن إحدى هذه التراكيب التي هي في غاية الروعة والجمال.

بلاغة النهي الحقيقي في القرآن:

سبقت الإشارة إلى أن صيغة (لا تفعل) تكون نهياً حقيقياً عندما يكون الخطاب من الأعلى إلى الأدنى على سبيل الاستعلاء والإلزام. ويكثر هذا النوع في القرآن الكريم لأن من

(١) الرافعي : مصطفى صادق بن عبد الرازق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي ، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت ، ط٨ ، ١٤٢٥، ص ١٨١ .
(٢) محمود شيخون: الإعجاز في نظم القرآن ، ص ٦٨ .

مقاصد القرآن تبيين الحلال من الحرام . فكل حرام فهو منهيٌّ عنه ، ويتميز هذا النوع في القرآن ببعض الخصائص التي تميزه عمَّا سواه من الكلام منها:

الزيادة والنقصان في بناء جملة النهي وذلك للدلالة على المعنى المراد من غير زيادة ولا نقصان. ومن الزيادة قوله تعالى"﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ ﴾ {النحل: ٥١}. فللمفسرين وقفة للإجابة عن السؤال : لماذا جمع بين العدد والمعدود مع أن المعدود هنا يدل على العدد؟ يجيب على ذلك الزمخشري بقوله:" الاسم الحامل لمعنى الإفراد والتثنية دال على شيئين: على الجنسية والعدد المخصوص، فإذا أريدت الدلالة على أن المعنى به منهما، والذي يساق إليه الحديث هو العدد شفع بما يؤكده، فدل به على القصد إليه والعناية به. ألا ترى أنك لو قلت: إنما هو إله، ولم تؤكده بواحد: لم يحسن، وخيل أنك تثبت الإلهية لا الوحدانية"(١). وقال البيضاوي:" ذكر العدد مع أن المعدود يدل عليه دلالة على أن مساق النهي إليه، أو إيماء بأن الاثنينية تنافي الألوهية كما ذكر الواحد في قوله: إِنَّما هُوَ إِلهٌ واحِدٌ للدلالة على أن المقصود إثبات الوحدانية دون الإلهية، أو للتنبيه على أن الوحدة من لوازم الإلهية"(٢). ومثل الأستاذ سعادة إلى ذلك بمثال ليقرب المعنى . قال:" الجواب : أنك لو قلت مثلاً لا تلبس ثوبين يحتمل النهي عنهما معاً ، ويحتمل النهي عن الاقتصار عليهما . فإذا قلت: لا تلبس ثوبين اثنين عَلِمَ المخاطب أنك نهيته عن التعدد دون الواحد . وكذلك إذا قلت

(١) الزمخشري : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٦١٠/٢ .
(٢) البيضاوي : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢٩٩/٣ .

إنما هو إله واحد ولم تصفه بواحد لم يحسن لأنك تثبت الإلهية لا الوحدانية"[١].

ومثال النقصان في جملة النهي قوله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ ﴾ {الحجرات: ١}. فالله –سبحانه وتعالى– لم يذكر مفعول لا تقدموا ولم يكن ذلك عبثاً بل لنكتة بلاغية . قال الزمخشري:" قوله تعالى لا تقدموا من غير ذكر مفعول: وجهان، أحدهما: أن يحذف ليتناول كل ما يقع في النفس مما يقدم. والثاني: أن لا يقصد قصد مفعول ولا حذفه، ويتوجه بالنهى إلى نفس التقدمة، كأنه قيل: لا تقدموا على التلبس بهذا الفعل، ولا تجعلوه منكم بسبيل "[٢]. وذكر أبو حيان مثل ذلك إلا أنه يرى أن هنالك استعارة قال:" فيه بين يدي المجلوس إليه توسعاً، لما جاور الجهتين من اليمين واليسار، وهي في قوله: بين يدي الله، مجاز من مجاز التمثيل. وفائدة تصوير الهجنة والشناعة فيها نهوا عنه من الإقدام على أمر دون الاهتداء على أمثلة الكتاب والسنة والمعنى: لا تقطعوا أمراً إلا بعد ما يحكمان به ويأذنان فيه"[٣]. وقال صافي :" استعارة تمثيلية، للقطع بالحكم بلا اقتداء ومتابعة لمن يلزم متابعته، تصويراً لهجنته وشناعته بصورة المحسوس فيما نهوا عنه، كتقدم الخادم بين يدي سيده في سيره ، حيث لا مصلحة فالمراد: لا تقطعوا أمراً وتجزموا به وتجترئوا على ارتكابه قبل أن يحكم الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وسلم) به ويأذنا فيه"[٤].

وخلاصة الأقوال أن المفعول به قد يكون حذفه للتعميم وقد يكون لعدم قصده . ويؤيد هذا أن

---

(١) سعادة : محمد عبد الله سعادة ، من أسرار النظم القرآني آيات وعبر ، الناشر: مكتبة مبارك العامة ، بدون ت ط .
(٢) الزمخشري : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٣٤٩/٤ .
(٣) أبوحيان : البحر المحيط في التفسير ٥٠٧/٩ .
(٤) محمود صافي: الجدول في إعراب القرآن الكريم ٢٦/ ٢٧٤ .

الآية استعارة تمثيلية . والذي يبدو أن هذه المعاني كلها مقصودة لأن ألفاظ القرآن مرنة في أداء المعنى. وهي بلاغة القرآن التي لا تدانيها بلاغة.

ومن هذه الخصائص : علاقة جملة النهي بالسياق العام للآية لمعرفة المقصود بالنهي لذلك لابد من التمعن في سياق الآية والوقوف على جميع جوانبها وخير مثال لذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ ﴾ {الإسراء: ٣١ }. وقوله تعالى:﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ {الأنعام: ١٥١}. لاحظ المفسرون الفرق في النظم بين الآيتين. ففي الأولى قال: خشية إملاق، وفي الآية الثانية قال: من إملاق . كما تأخر ضمير المخاطبين في الأولى وتقدم في الثانية . ولم يكن ذلك إلا للمعنى المناسب لكل آية . قال أبو حيان:" وجاء التركيب هنا نحن نرزقكم وإياهم، وفي الإسراء نحن نرزقهم وإياكم فيمكن أن يكون ذلك من التفنن في الكلام ويمكن أن يقال في هذه الآية جاء من إملاق فظاهره حصول الإملاق للوالد لا توقعه، وخشيته وإن كان واجدا للمال فبدأ أولا بقوله: نحن نرزقكم خطابا للآباء وتبشيرا لهم بزوال الإملاق وإحالة الرزق على الخلاق الرزاق، ثم عطف عليهم الأولاد. وأما في الإسراء فظاهر التركيب أنهم موسرون وأن قتلهم إياهم إنما هو لتوقع حصول الإملاق والخشية منه فبدئ فيه بقوله: نحن نرزقهم إخباراً بتكفله تعالى برزقهم فلستم أنتم رازقيهم وعطف عليهم الآباء وصارت الآيتان مفيدتين معنيين. أحدهما: أن الآباء نهوا عن قتل الأولاد مع وجود إملاقهم. والآخر: أنهم نهوا عن قتلهم وإن كانوا موسرين لتوقع

الإملاق وخشيته وحمل الآيتين على ما يفيد معنيين أولى من التأكيد"[١]. وقال ابن عاشور:" جملة: نحن نرزقكم وإياهم معترضة، مستأنفة، علة للنهي عن قتلهم، إبطالا لمعذرتهم: لأن الفقر قد جعلوه عذراً لقتل الأولاد، ومع كون الفقر لا يصلح أن يكون داعياً لقتل النفس، فقد بين الله أنه لما خلق الأولاد فقد قدر رزقهم، فمن الحماقة أن يظن الأب أن عجزه عن رزقهم يخوله قتلهم، وكان الأجدر به أن يكتسب لهم"[٢]. وقال ابن جماعة الكناني:" قوله تعالى: (مِنْ إِمْلَاقٍ) –وهو الفقر– خطاب المقلين الفقراء، أي: لا تقتلوهم من فقر بكم، فحسن: (نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ) ما يزول به إملاقكم ثم قال: (وَإِيَّاهُمْ) أي نرزقكم جميعاً.

وقوله تعالى: (خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ) خطاب للأغنياء، أي خشية إملاق يتجدد لهم بسببهم، فحسن: (نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ) "[٣].

وخلاصة هذه الأقوال : أنَّ بلاغة القرآن تراعي حتى مشاعر الإنسان الداخلية فقدم في الثانية الوعد بالرزق للآباء المقلين الفقراء لتطمئن قلوبهم ثم أكمل الوعد بذكر الأبناء . أما في الأولى فقدم وعد الأبناء بالرزق لتزول عن الآباء الخشية والخوف من الفقر ثم أكمل ذلك بوعدهم بعد أبنائهم. وهذا السياق العجيب والنظم الدقيق يدل على بلاغة القرآن التي لا تدانيها بلاغة.

بلاغة النهي المجازي في القرآن الكريم:

(١) أبو حيان : البحر المحيط ٤/ ٦٨٧ .
(٢) ابن عاشور : التحرير والتنوير ١٥٩/٨ .
(٣) ابن جماعة الكناني: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، كشف المعاني في المتشابه من المثاني ، تحقيق: عبد الجواد خلف ، الناشر: دار الوفاء – المنصورة ، ط١ ، ١٤١٠هـ ، ص ١٦٩ .

جرت العادة عند البلاغيين أن بلاغة النهي تكون بخروجه عن معناه الحقيقي إلى معنى آخر بلاغي . فهذا صواب ولكن القرآن يضيف إلى ذلك كثير من الخصائص البلاغية مما يجعله فريداً في البلاغة.

لو تدبرنا قول الله تعالى:﴿ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُواْ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ {العنكبوت: ٣٣}. فالنهي في الآية قوله:" لا تخف ولا تحزن" فهو نهي غير حقيقي لأن الخوف والحزن يحصلان للإنسان من غير إرادته ، فالغرض من النهي تطمين لوط – عليه السلام– لأنه خاف على ضيوفه من فساد قومه والسياق العام للآية يوحي بذلك قال الألوسي:" اعتراه المساءة والغم بسبب الرسل مخافة أن يتعرض لهم قومه بسوء كما هو عادتهم مع الغرباء، وقد جاؤوا إليه عليه السلام بصور حسنة إنسانية"(١). فهل كانت بلاغة هذا النهي في خروجه إلى التطمين فقط؟ كلَّا ! لنقف مع أقوال المفسرين لهذه الآية لنرى الجوانب الأخرى لبلاغة النهي في هذه الآية.

قال ابن عاشور:" وقدموا تأمينه قبل إعلامه بأنهم منزلون العذاب على أهل القرية تعجيلاً بتطمينه. وعَطْفُ (ولا تحزن) على (لا تخف) جمع بين تأمينه من ضر العذاب وبين إعلامه بأن الذين سيهلكون ليسوا أهلاً لأن يحزن عليهم، ومن أولئك امرأته لأنه لا يحزن على من ليس بمؤمن به. وجملة إنا منجوك تعليل للنهي عن الأمرين"(٢). لاحظ ابن عاشور الغرض من عطف جملة(ولا تحزن) على جملة (لا تخف) . وأن قوله: (إنا منجوك) هو تعليل للنهي

(١) الألوسي: روح المعاني ١٠/ ٣٦٠ .
(٢) ابن عاشور : التحرير والتنوير ٢٠/ ٢٤٥ .

عن الخوف والحزن. ولا حظ الزمخشري حصول الفعلين في وقتين متتاليين لا فاصل بينهما . قال" أنْ: صلة أكدت وجود الفعلين مترتِّباً أحدهما على الآخر في وقتين متجاورين لا فاصل بينهما، كأنهما وجدا في جزء واحد من الزمان"[1]. وعلى هذه الأقوال نضيف إلى بلاغة خروج النهي إلى معنى التطمين بلاغة عطف الحزن على الخوف يؤكد حصولهما في وقتين متتاليين لا فاصل بينهما كما يشير السياق إلى إعلام لوط بأن هؤلاء هالكون لا محالة . وإضافة إلى ذلك أن قوله:(إنا منجوك وأهلك) هو تأكيد للتطمين وتعليل للنهي. وهذا يدل على أن أجزاء هذه الآية مرتبطة ببعضها ارتباطاً كلياً وهي بلاغة القرآن التي لا تدانيها بلاغة.

ومن بلاغة النهي المجازي في القرآن الكريم تعدد المعاني للجملة الواحدة من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾{البقرة: ١٣٢}. شاهدنا في قوله:(فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) حيث اقترنت لا الناهية بالفعل(تموتن) والموت لا ينهي عنه إذاً المنهي عنه شيء خلاف الموت فلماذا جاءت بهذه الصيغة؟ نقف مع أقوال المفسرين في ذلك لنرى بلاغة النهي بهذه الصيغة . قال أبو حيان:" فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون: هذا استثناء من الأحوال، أي إلا على هذه الحالة، والمعنى: الثبوت على الإسلام، والنهي في الحقيقة إنما هو عن كونهم على خلاف

(١) الزمخشري : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٣/ ٤٥٣ .

الإسلام... وقد تضمن هذا الكلام إيجازاً بليغاً ووعظاً وتذكيراً"[١]. وقال الزمخشري:" فلا تموتن معناه فلا يكن موتكم إلا على حال كونكم ثابتين على الإسلام، فالنهي في الحقيقة عن كونهم على خلاف حال الإسلام إذا ماتوا، كقولك: لا تصل إلا وأنت خاشع، فلا تنهاه عن الصلاة، ولكن عن ترك الخشوع في حال صلاته"[٢]. وقال الراغب الأصفهاني:" هو حث على الإسلام، أي أسلموا قبل أن تموتوا، وليس ذلك نهياً عن الموت، وإنما هو حث على الإسلام المتقدم ذكره"[٣]. وقال أبو السعود:" ظاهرُه النهيُ عن الموت على خلاف حال الإسلام والمقصودُ الأمرُ بالثبات على الإسلام إلى حين الموتِ أي فاثبُتوا عليه ولا تفارقوه أبداً كقولك لا تصلِّ إلا وأنت خاشِعٌ وتغييرُ العبارة للدلالة على أن موتهم لا على[*] الإسلام موتٌ لا خير فيه وأن حقه أن لا يِحلَّ بهم وأنه يجب أن يحذَروه غايةَ الحذَر"[٤]. وقال المراغي:" في هذا النهى إيماء إلى أنّ من كان منحرفاً عن الجادّة لا ييأس، بل عليه أن يبادر بالرجوع إلى الله ويعتصم بحبل الدين، خيفة أن يموت وهو على غير هدى"[٥]. وبهذه الأقوال يتعدد معنى النهي في هذه الآية فهو عند أبي حيان والزمخشري نهي حقيقي ولكنه عن حالة غير الإسلام ، وعند أبي السعود نهي خرج إلى معنى الأمر (فاثبتوا على الإسلام) ، وعند الراغب حث إلى الإسلام ، ويرى المراغي أن فيها إشارة إلى عدم اليأس وحث إلى المبادرة بالرجوع

---

(١) أبو حيان : البحر المحيط في التفسير ١/ ٦٣٧ .
(٢) الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ١٩٢/١ .
(٣) الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، تفسير الراغب الأصفهاني ، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني الناشر: كلية الآداب - جامعة طنطا ، ط١، ١٤٢٠ هـ ، ٣١٩/١ .
(*) هكذا موجودة في المصدر . والفصيح في العبارة أن يقال: على غير الإسلام ، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ {آل عمران: ٨٥}.
(٤) أبو السعود : إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ١٦٤/١ .
(٥) المراغي: تفسير المراغي ٢٢١/١ .

إلى الله . فهذه المعاني جميعها يحتملها النهي في الآية ومن تمعَّن أكثر قد يجد معاني أخرى فهذه بلاغة القرآن التي لا تدانيها بلاغة.

المبحث الرابع

الخصائص البلاغية لجملة النداء في القرآن الكريم

سبق الكلام عن النداء. فأصله طلب الإقبال بحرف من حروف النداء ويخرج عن هذا الأصل لأغراض بلاغية تم التفصيل عنها سابقاً. وأدوات النداء بحسب المنادى نوعان : منها ما يكون للمنادى البعيد ومنها ما يكون للمنادى القريب وهذا هو الأصل في استخدامها . ولكنها قد تخرج عن هذا الأصل لغرض بلاغي فيكون القريب مكان البعيد لأسباب منها: إذا كان السامع ساهياً أو منشغلاً ، أو كان السامع عظيم القدر، أو كان حقيراً . ويستخدم ما للقريب للبعيد للدلالة على أنه حاضرٌ في القلب دوماً لا يغيب[١]. وعلى هذا سيأتي الحديث عن بلاغة النداء في القرآن: من حيث استخدامه في حقيقته أو خروجه عن ذلك لمعنى بلاغي.

بلاغة النداء الحقيقي في القرآن الكريم:

من الخصائص البلاغية للنداء الحقيقي في القرآن استخدام (يا) لمناداة البعيد وحذفها لمناداة القريب . قال عضيمة:" لم يقع نداء في القرآن بغير (يا)، ولذلك لا يقدر غيرها من حروف النداء عند الحذف"[٢]. وقال أحمد مطلوب:" لم يستخدم القرآن من أدوات النداء سوى يا"[٣]. فإذا كان نداء القريب في غير القرآن يستخدم معه من الأدوات(أ ، أي) ونداء البعيد له من الأدوات (يا وأيا وهيا) فكيف يكون نداء القريب في القرآن مع أنه لم يستخدم غير (يا)؟

(١) بتصرف/ التفتازاني : الطول- شرح مفتاح العلوم ، ص ٤٣٠ .
(٢) عضيمة : دراسات لأسلوب القرآن الكريم ٣/ ٥٩٩ .
(٣) أحمد مطلوب: من بلاغة القرآن ، ص ١٣٠ .

للإجابة عن هذا السؤال نقف مع أقوال البلاغيين والمفسرين في ذلك.

قال الزمخشري عن قوله تعالى﴿ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَا ﴾ {يوسف: ٢٩}:" يوسف حذف منه حرف النداء لأنه منادى قريب مفاطن للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله"(١). وقال القاسمي:" يوسف أعرض عن هذا نودي بحذف حرف النداء، لقربه وكمال تفطنه للحديث"(٢). فحذف حرف النداء في القرآن الكريم يدل على قرب المنادى إن كان المقام دعاءً أو دل السياق على الشفقة والحنان أو التلطف. ومن ذلك قوله تعالى:﴿ رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ ﴾ {يوسف: ١٠١}. فحذف حرف النداء لأن المنادى لفظ الرب الذي يدل على قرب الله –تعالى– من عباده ، كما أن المقام دعاء فقد قال في نهاية الآية (توفني مسلماً وألحقني بالصالحين). وذكر حسن إبراهيم مواضع يمنع فيها حذف حرف النداء منها:" إذا كان المنادى بعيداً ، لأن البعد يتطلب إطالة الصوت ليسمع المنادى ، والحذف يفوت هذا الغرض"(٣). وعلى هذا فإن الحذف لا يكون مع المنادى البعيد فاقتصر نداء القريب في القرآن على حذف الحرف لدلالته على القرب.

ومن الخصائص البلاغية للنداء الحقيقي في القرآن الكريم أن بنيته تُرَتَّبُ وتُرَكَّبُ حسب المعنى المقصود وهو تنبيه المخاطب إلى أمر في غاية الأهمية. فلو تدبرنا قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ ﴾{الحجرات: ١١}. وقوله

(١) الزمخشري : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٢/ ٤٦١ .
(٢) القاسمي : محاسن التأويل ٦/ ١٧١ .
(٣) إبراهيم : إبراهيم حسن إبراهيم ، أسرار النداء في لغة القرآن الكريم ، تقديم : عبد العظيم علي الشناوي ، جامعة المدينة المنورة ، بدون ت ط ، ص ٢٠ .

تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ {الحجرات: ١٣}. رغم أن الآيتين ابتدأتا بقوله(يا أيها) ولكن الفرق واضح في مضمون النداء . ففي الآية الأولى خاطب الذين آمنوا وهو نداء خاص لأمر يخص جماعة المؤمنين في أنفسهم ، وهو عدم سخرية بعضهم من بعض ، والغرض من النداء التنبيه لهذا النهي الجازم عن هذا الفعل. قال ابن عاشور:" جاءت هذه الآيات منبهة على أمور من حسن المعاملة قد تقع الغفلة عن مراعاتها لكثرة تفشيها في الجاهلية لهذه المناسبة"(١). وأما استخدامه للفعل في تركيب الجملة للدلالة على المعنى المراد من غير زيادة ولا نقصان . ذكر سعادة قول العائد:" لِمَ ينادي الله المؤمنين بقوله(يا أيها الذين آمنوا) ولم يقل يا أيها المؤمنون مع أنها مختصرة ؟ والجواب عن ذلك –والله أعلم– أن التعبير بقوله:(يا أيها الذين آمنوا) يشعر بتقدم حدوث إيمانهم وعبر عنه بالفعل الماضي. فهم قد آمنوا وامتحن قلوبهم وليسوا حديثي الإيمان ، وأيضاً (ال) تستخدم لكمال الشيء فإذا قال (يا أيها المؤمنون) دل على أن المخاطبين هم الذين كمل إيمانهم فإذا جاء بعد النداء أمر أو نهي توهم أن ذلك خاص بمن هم كاملوا الإيمان ، بخلاف الاسم الموصول (الذين آمنوا) فهو يشعر بمطلق الصفة فقط "(٢). وأما الآية الثانية فهي خطاب عام لكل الناس مؤمنهم وكافرهم ذكرهم وأنثاهم واستخدم معه (ال) ليدل على الثبات والدوام فالمنادى هم جميع الناس في جميع الأزمنة والأمكنة ليتنبهوا إلى أنهم من أصل واحد ولا فرق بينهم في اللون والعرق والجهة وأن الفارق

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير ٢٦/ ٢٤٦ .
(٢) سعادة : محمد عبدالله سعادة ، من أسرار النظم القرآني آيات وعبر ، ص١٣١ .

هو الإيمان فقط. قال ابن عاشور:" ولما كانت السخرية واللمز والتنابز مما يحمل عليه التنافس بين الأفراد والقبائل جمع الله ذلك كله في هذه الموعظة الحكيمة التي تدل على النداء عليهم بأنهم عمدوا إلى هذا التشعيب الذي وضعته الحكمة الإلهية فاستعملوه في فاسد لوازمه وأهملوا صالح ما جعل له بقوله: لتعارفوا"[1]. وقد كثر هذا النوع من النداء في القرآن الكريم وعلل الزمخشري ذلك قائلاً:" فالذي يعمل فيه حرف النداء هو (أي) والاسم التابع له صفته، كقولك: يا زيد الظريف إلا أن (أيَّاً) لا يستقل بنفسه استقلال (زيد) فلم ينفك من الصفة. وفي هذا التدرج من الإبهام إلى التوضيح ضرب من التأكيد والتشديد. وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة وموصوفها لفائدتين: معاضدة حرف النداء ومكانفته بتأكيد معناه، ووقوعها عوضا مما يستحقه أي من الإضافة فان قلت: لم كثر في كتاب الله النداء على هذه الطريقة ما لم يكثر في غيره؟ قلت: لاستقلاله بأوجه من التأكيد وأسباب من المبالغة"[2]

ومن خصائص النداء الحقيقي في القرآن : أن نداء غير العاقل في غير القرآن مجاز أما في القرآن فهو حقيقي إن كان النداء من الله تعالى. ومن ذلك قوله تعالى:﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ {الأنبياء: ٦٩} . وقوله تعالى:﴿ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴾{سبأ: ١٠}. فالنداء في الآيتين نداء حقيقي من الله –تعالى– إلى النار والطير للانتباه إلى امتثال الأمر المذكور . حسب ظاهر النص أما كونهما يعقلان كلام الله أم لا

(١) ابن عاشور : التحرير التنوير ٢٦/ ٢٦١ .
(٢) الزمخشري : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ١/ ٩٠ .

فهو أمر غيبي. قال ابن عاشور عن آية النمل:" ويجوز أن يخلق الله لها دلالة وللنمل[*] الذي معها فهماً لها وأن يخلق فيها إلهاماً بأن الجيش جيش سليمان على سبيل المعجزة له."[١]. فكلام ابن عاشور يدل على أن ذلك حصل في وقت معين للنبي سليمان ، وكذلك معجزة نبي الله إبراهيم . ولكن بتدبر قوله تعالى:﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾{الإسراء: ٤٤}. تدرك أن هذه الأشياء لها كلام وفهم ولكن لا يعلمه البشر إلا من وهبه الله ذلك . قال القرطبي:" واختلف في هذا العموم، هل هو مخصص أم لا، فقالت فرقة: ليس مخصوصا والمراد به تسبيح الدلالة، وكل محدث يشهد على نفسه بأن الله عز وجل خالق قادر. وقالت طائفة: هذا التسبيح حقيقة، وكل شيء على العموم يسبح تسبيحاً لا يسمعه البشر ولا يفقهه، ولو كان ما قاله الأولون من أنه أثر الصنعة والدلالة لكان أمراً مفهوماً، والآية تنطق بأن هذا التسبيح لا يفقه. وأجيبوا بأن المراد بقوله:(لا تفقهون) الكفار الذين يعرضون عن الاعتبار فلا يفقهون حكمة الله سبحانه وتعالى في الأشياء"[٢]. والذي يبدو أن التسبيح حقيقي ولكن لا يُفْقَه لقول الرسول(صلى الله عليه وسلم) عن النبي الذي أحرق النمل:[... فأوحى الله إليه: أن قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح][٣]. والأدلة كثيرة لكن المقام لا يسمح بسردها.

---

[*] اكتشف العلماء أن للنمل لغةَ تفاهم وتناغم خاصة بينهم، وذلك من خلال تقنية التخاطب التي تعتمد على الشفرات الكيميائية، وربما كان الخطاب الذي وجهته النملة إلى مجموع النمل في الوادي هو عبارة عن شفرة كيميائية. انظر: شبكة الألوكة ، نوع اللغة التي يتخاطب بها أفراد النمل ، تاريخ الإضافة : ٢٠١٥/١/١٩م. http://www.alukah.net/literature_language/0/81435/.

(١) ابن عاشور : التحرير والتنوير ١٩ /٢٤٢ .

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٢٦٦ .

(٣) البخاري : صحيح البخاري ٤/ ٦٢ .

بلاغة النداء المجازي في القرآن الكريم:

أكثر ما يأتي النداء في القرآن لغرض التنبيه وقد يصطحب مع ذلك معنى آخر يفهم من السياق وقرائن الأحوال . لذلك فهو يختص ببعض الخصائص التي انفرد بها عن غيره . ومن ذلك اعتماد النداء على سياق الآية لمعرفة الغرض الذي يرمي إليه . فلا يعرف النداء إلا بالفهم التام والتدبر لمعاني الآية ، فقد يُرَكَّبُ النداء من ألفاظ واحدة ، ويختلف التركيب من آية إلى أخرى. فلنمثل لذلك بقوله تعالى على لسان شعيب –عليه السلام–: (يا قومِ) ، تكرر هذا النداء في قصة شعيب مع قومه . قال تعالى:﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴾ {هود: ٨٤}. وقال تعالى:﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ ﴾{هود: ٨٨}. وقال تعالى: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ﴾ {هود: ٩٢} . وقال تعالى:﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ۖ ﴾{هود: ٩٣} . فتركيب النداء(يا قومِ) يختلف معناه باختلاف سياق كل آية. قال سعادة " قد يبدو للقارئ في كتاب الله أن هنالك تكراراً لكلمة أو حرف أو آية واحدة ، أو في آيات متباعدة في سور مختلفة والقصة فيها واحدة ، أو المعنى متشابه ، فليعلم أن لكل مكرر فائدة وحكمة قد تخفى علينا أو قد

تظهر . وما علينا إلا البحث في أسرار التنزيل لتعقب المعاني الواردة"[١] . ففي الآية الأولى أراد تنبيههم إلى أمر مهم وهو (عبادة الله وحده وعدم التطفيف) وختمت الآية بقوله:(إني أخاف عليكم...) وهذا يدل على أن نداءه يشوبه مع التنبيه الخوف والشفقة عليهم .

وفي الآية الثانية جاء بعد النداء استفهام لغرض الاستمالة والاستدراج بعد أن أعرضوا عنه . قال أبو حيان:" يا قوم أرأيتم إن كنت... هذه مراجعة لطيفة واستنزال حسن، واستدعاء رقيق"[٢]. فالنداء هنا يشوبه التلطف والاستمالة.

وفي الآية الثالثة جاء بعد النداء استفهام إنكاري قال ابن عاشور:" والاستفهام إنكاري، أي الله أعز من رهطي، وهو كناية عن اعتزازه بالله لا برهطه فلا يريبه عدم عزة رهطه عليهم"[٣]. فالغرض من النداء هنا تقوية الإنكار فلو حذف النداء لصار الإنكار هيِّناً وضعيفاً . وفي الآية الرابعة جاء بعد النداء أمر لغرض التهديد والوعيد . قال الطبري: "يا قوم اعملوا على مكانتكم ، أمرٌ منه له بوعيدهم وتهدّدهم، لا إطلاقٌ لهم في عمل ما أرادُوا من معاصي الله"[٤]. وغرض النداء هنا تنبيه وتأكيد لهذا الوعيد. والنداء في هذه الآيات يختلف تنغيمه مع كل آية فمثلاً: (يا قوم) في مقام الإنكار والغضب تخرج بصوت مرتفع ، وفي مقام الرضا والتلطف تكون بصوت هاد أو منخفض. وتكرار هذا النداء يدل على أن كل منها لها نغم يختلف عن الآخر. فلو حذف لأختل المعنى المقصود.

---

(١) محمد عبدالله سعادة : من أسرار النظم آيات وعبر ، ص ١٨٣ .
(٢) أبو حيان : البحر المحيط في التفسير ٦/ ١٩٨ .
(٣) ابن عاشور : التحرير والتنوير ١٢ / ١٥١ .
(٤) الطبري : جامع البيان في تأويل القرآن ١٢ / ١٢٩ .

ومن الخصائص البلاغية للنداء المجازي في القرآن أنه نادى الرسول (صلى الله عليه وسلم) بعدة صفات . منها: (النبي والرسول والمدثر والمزمل) ولم يكن ذلك إلا إكراماً وتشريفاً وتعظيماً لقدره واستئناساً له وتلطفاً به. وللعلماء وقفة مع هذا النوع من النداء . قال ابن عاشور:" ونداء النبيء عليه الصلاة والسلام بوصف النبوءة دون اسمه العلم تشريف له بفضل هذا الوصف ليربأ بمقامه عن أن يخاطب بمثل ما يخاطب به غيره ولذلك لم يناد في القرآن بغير يا أيها النبي أو يا أيها الرسول"(١). وقال الزمخشري:" جعل نداءه بالنبي والرسول في قوله يا أيها النبي اتق الله يا أيها النبي لم تحرم. يا أيها الرسول بلغ. ما أنزل إليك. وترك نداءه باسمه كما قال: يا آدم، يا موسى، يا عيسى، يا داود: كرامة له وتشريفاً، وربئاً(*) بمحله وتنويهاً بفضله"(٢). وقال أبو حيان:" يا أيها النبي، يا أيها الرسول ، هو على سبيل التشريف والتكرمة والتنويه بمحله وفضيلته"(٣). وهذه الأقوال توصلنا إلى أن النداء يدل على هذه المعاني التي ذكروها ، ولكن هل تتوقف بلاغة النداء عند هذا الحد؟ لماذا نودي مرة بالرسول ومرة بالنبي ولم يُنَادَ بأحدهما ؟ أليس الرسول هو النبي ؟ ويجيب عن ذلك سعادة بقوله:" نجد أن الخطاب للنبي يكون في الأمر الخاص نحو قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ ﴾{التحريم: ١}. ولذا قال:﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ ﴾{الأحزاب: ٣٢}. ولم يقل يا نساء الرسول لأنه قصد اختصاصهن عن بقية الأمة. وإذا كان القصد بالخطاب التشريع العام

(١) ابن عاشور : التحرير والتنوير ٢١ / ٢٤٩ .
(*) رفعة لمكانته. ربأ وارتبأ بمعنى: أشرف ، ومربأة البازي : الموضع الذي يشرف عليه .(انظر: لسان العرب ٨٢/١).
(٢) الزمخشري : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٣/ ٥١٨ .
(٣) أبو حيان : البحر المحيط في التفسير ٤٥٠/٨ .

فيكون بلفظ الرسول﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ﴾{المائدة: ٦٧}. وإذا جاء لفظ النبي للتشريع العام يكون مع قرينة مثل قوله:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾ {الطلاق: ١}. لأن النبي هو إمامهم وقدوتهم ، ولا يقومون بأمر دونه ، فكان النداء له خطاباً لهم جميعاً ، وهو وحده ساد مسد جميعهم . فهذا مقام التشريع والأولى به لفظ(الرسول) ولكن أتى بلفظ النبي لأنه أمر خاص به وبأمته وخص بالذكر لينوب عنهم"[١].

وأما نداءه بالمدثر والمزمل فللملاطفة والمؤانسة . قال القرطبي:" يا أيها المدثر: ملاطفة في الخطاب من الكريم إلى الحبيب إذ ناداه بحاله، وعبر عنه بصفته، ولم يقل يا محمد ويا فلان، ليستشعر اللين والملاطفة من ربه كما تقدم في سورة (المزمل). ومثله قول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي–رضي الله عنه– إذ نام في المسجد: (قم أبا تراب) وكان خرج مغاضباً لفاطمة رضي الله عنها فسقط رداؤه وأصابه تراب"[٢].

ومن الخصائص البلاغية للنداء المجازي إيجاز جملة النداء مع اتساع معناها ويكثر ذلك في الدعاء كما في قوله تعالى:﴿ وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ ﴾{هود: ٤٥}. عبارات موجزة صاغها نوح ليعبر عمَّا بداخله من الشفقة والرحمة لولده الذي غرق مع الكافرين ، ونداء نوح لربه يعني دعاءه ، قال ابن عاشور:" والنداء هنا نداء دعاء فكأنه قيل: ودعا نوح ربه، لأن الدعاء يصدر بالنداء غالباً"[٣] . وعبر ابن عاشور عن هذا الإيجاز البليغ

(١) محمد عبد الله سعادة : من أسرار النظم آيات وعبر ، ص ١٢٦ .
(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ١٩ / ٦١ .
(٣) ابن عاشور : التحرير والتنوير ١٢ / ٨٤ .

بقوله: " والاقتصار على هذه الجمل الثلاث في مقام الدعاء تعريض بالمطلوب لأنه لم يذكره، وذلك ضرب من ضروب التأدب والتردد في الإقدام على المسئول استغناء بعلم المسئول كأنه يقول: أسألك أم أترك؟ "[١] . وقال البقاعي :" (رب إن ابني) أي الذي غرق(من أهلي) أي وقد أمرتني بحمل أهلي، وذلك الأمر محتمل للإشارة إلى إرادة نجاتهم (وإن وعدك الحق) أي الكامل في نجاتهم إلا من سبق عليه القول، وقد علمت ذلك في المرأة الكافرة"[٢]. ويرى طنطاوي أن العبارتين دعاء به استعطاف ورجاء ، قال:" تضرع نوح- عليه السلام- إلى ربه فقال في استعطاف ورجاء: يا رب! ان ابني (كنعان) مِنْ أَهْلِي فهو قطعة منى، فأسألك أن ترحمه برحمتك إِنَّ وَعْدَكَ الحَقُّ أي: وإن كل وعد تعده لعبادك هو الوعد الحق وأنت- يا ربي- قد وعدتني بنجاة أهلي إلا من سبق عليه القول منهم، لكني في هذا الموقف العصيب أطمع في عفوك عن ابني وفي رحمتك له"[٣]. فكل المعاني والتقديرات التي ذكرت تحتملها العبارتان . وأوجز لأن الله عالم بحاله فالمقام مقام إيجاز. ومن ذلك قوله تعالى:﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ﴾{القصص: ١٦}. عبارة موجزة عبر بها عن الندم والقلق الذي انتابه بعد قتله القبطي. فسرها الألوسي بقوله: " قال رب إني ظلمت نفسي بوكز ترتب عليه القتل فاغفر لي ذنبي"[٤]. وقال المراغي في تفسيرها:" رب إني ظلمت نفسى بقتل نفس لا يحل

(١) ابن عاشور : التحرير والتنوير ١٢ / ٨٥ .
(٢) البقاعي : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٩/ ٢٩٤ .
(٣) طنطاوي : التفسير الوسيط للقرآن الكريم ٧/ ٢١٢ .
(٤) الألوسي : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ١٠/ ٢٦٤ .

قتلها، فاغفر لي ذنبي واستره ولا تؤاخذني بما فعلت"[1]. وبهذه التقديرات والمعاني تظهر بلاغة الإيجاز في هذا النوع من النداء المجازي في القرآن .

(١) المراغي : تفسير المراغي ٢٠ / ٤٤ .

المبحث الخامس

الخصائص البلاغية لجملة التمني في القرآن الكريم

اتفقت أقوال البلاغيين على التمني أنه طلب شيء محبب إلى النفس لا يرجى حصوله . وأن له أداة أصلية واحدة (ليت) فإذا جاء بغيرها يكون قد خرج لغرض بلاغي يفهم من السياق . وجاء التفصيل عن ذلك في الفصل السابق. أما جملة التمني في القرآن الكريم لها وضعها الخاص من البلاغة .

بلاغة التمني الحقيقي في القرآن الكريم :

لم يرد التمني الحقيقي في القرآن الكريم إلا في سياق النداء . بمعنى: لا توجد ليت إلا وهي مسبوقة بأداة النداء ، وإن كان بعض النحويين يرى أن أداة النداء إذا وليها حرف فهي للتنبيه . قال ابن هشام:" وإذا ولي يا ما ليس بمنادى كالفعل في(ألا يا اسجدوا) والحرف في نحو (يا ليتني كنت معهم فأفوز) يا رب كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة ... قيل هي للنداء والمنادى محذوف وقيل هي لمجرد التنبيه لئلا يلزم الإجحاف بحذف الجملة كلها"[١]. ورجَّح أبو حيان أنها للتنبيه ، قال:" وياء عند قوم للنداء، والمنادى محذوف تقديره: يا قوم ليتني. وذهب أبو علي: إلى أن يا للتنبيه، وليس في الكلام منادى محذوف، وهو الصحيح"[٢]. ونقل ابن هشام قول ابن مالك:" إن وليها دعاء أو أمر فهي للنداء لكثرة وقوع النداء قبلهما نحو(يا

(١) ابن هشام : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ص ٤٨٩ .
(٢) أبو حيان : البحر المحيط في التفسير ١١٢/١ .

آدم اسكن) (يا نوح اهبط) ونحو (يا مالك ليقض علينا ربك) وإلا فهي للتنبيه"[١] والذي يترجح أنها للنداء والمنادى معها محذوف يقدر حسب السياق . ويرى ابن الأنباري : أن القول بأن النداء يقدر إذا وقع بعد حرف النداء فعل أمر، غير صحيح لأنها دخلت على الحرف وعلى الجملة الاسمية[٢] . وبتدبر بعض الآيات التي استشهد بها ابن الأنباري تتضح بلاغة التمني المصاحب للنداء المحذوف وأن المحذوف يقدر حسب سياق التمني ، من ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا ﴾{مريم: ٢٣}. فياء للنداء والمنادى محذوف تقديره – والله أعلم– يا خوفي احضر! أو يا مصيبتي احضري! ليتني مت ... قال أبو حيان:" وتمنت مريم الموت من جهة الدين إذ خافت أن يظن بها الشر في دينها وتعير فيغبنها ذلك"[٣]. ولا مجال للتنبيه هنا لأنها كانت وحدها حينما أتاها المخاض ولا يصح أن تنبه نفسها. لكنها نادت لإظهار ما بداخلها من خوف العار ثم تمنت الموت. ومن ذلك قوله تعالى:﴿ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا ﴾{الأنعام: ٢٧}. وقع التمني بعد المنادى المحذوف الذي يقدر – والله أعلم– يا حسرتنا! أو يا ويلنا! ليتنا نرد ... قال ابن عاشور:" وحرف النداء في قولهم: يا ليتنا نرد مستعمل في التحسر، لأن النداء يقتضي بعد المنادى، فاستعمل في التحسر لأن المتمنى صار بعيداً عنهم، أي غير مفيد لهم"[٤]. والغرض من النداء إظهار ما بداخلهم من حسرة وندم وليس ثمت تنبيه فمن ينبهون ؟ والكل منتبه يوم القيامة.

---

(١) ابن هشام : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ص ٤٨٩ .
(٢) بتصرف/ ابن الأنباري : الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين ٨٣/١ .
(٣) أبو حيان : البحر المحيط في التفسير ٧/ ٢٥٢ .
(٤) ابن عاشور : التحرير والتنوير ٧/ ١٨٤ .

ومن ذلك قوله تعالى:﴿ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴾{يس: ٢٦}. فالتمني في هذه الآية جاء بعد نداء محذوف تقديره – والله أعلم– يا للعجب ! ويا للدهشة! ليت قومي يعلمون ... قال الزمخشري:" يا ليت قومي يعلمون مرتب على تقدير سؤال سائل عما وجد من قوله عند ذلك الفوز العظيم، وإنما تمنى علم قومه بحاله، ليكون علمهم بها سبباً لاكتساب مثلها لأنفسهم، بالتوبة عن الكفر والدخول في الإيمان والعمل الصالح المفضيين بأهلهما إلى الجنة"(١).

ومن الخصائص البلاغية للتمني الحقيقي في القرآن أن معناه الأصلي يقترن بمعنى بلاغي آخر يفهم من السياق . يلاحظ في الآيات السابقة أن التمني جاء بمعناه الحقيقي ولكنه يشوبه معنى آخر . فحينما تمنت مريم الموت كان سبب ذلك الخوف من أن يظن بها الشر . ونلمح التحسر في قوله تعالى:(يا ليتنا نرد) وذلك لما رأوه من الهول والعذاب . وأما قوله تعالى(يا ليت قومي يعلمون) فمصاحب للدهشة والتعجب والسرور بنعيم الجنة .

ومن ذلك قوله تعالى:﴿ وَلَئِنۡ أَصَٰبَكُمۡ فَضۡلٞ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمۡ تَكُۢ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُۥ مَوَدَّةٞ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾{النساء: ٧٣}. فهو قد تمنى معيتهم ومرافقتهم لإصابة الغنائم . ويلمح من السياق الحسد والبغض في نفسه المريضة . نقل الطبري عن قتادة وابن جريج قولهما:" إنما قال من قال من المنافقين ... حسداً منهم لهم "(٢). وقال

(١) الزمخشري : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٤/ ١١ .
(٢) الطبري : جامع البيان في تأويل القرآن ٥٤٠/٨ .

القرطبي :" وقول المنافق (يا ليتني كنت معهم) على وجه الحسد أو الأسف"[١]. وقال ابن عاشور:" وهذا المبطئ يتمنى أن لو كان مع الجيش ليفوز فوزاً عظيماً، وهو الفوز بالغنيمة والفوز بأجر الجهاد، حيث وقعت السلامة والفوز برضا الرسول، ولذلك أتبع (فأفوز) بالمصدر والوصف بعظيم. ووجه غريب حاله أنه أصبح متلهفاً على ما فاته بنفسه، وأنه يود أن تجري المقادير على وفق مراده ، فإذا قعد عن الخروج لا يصيب المسلمين فضل من الله"[٢].

بلاغة التمني المجازي في القرآن الكريم:

لم تخرج أداة التمني الأصلية (ليت) عن معناها الحقيقي في القرآن إلى معنى بلاغيٍّ آخر إلا بمصاحبة المعنى البلاغي للمعنى الحقيقي كما مر في الحديث عن بلاغة التمني الحقيقي .

أما جملة التمني المجازية في القرآن جاءت عن طريق أساليب بلاغية أخرى كالاستفهام والشرط والترجي وغيرها. وهذه الأساليب تدل على التمني إذا طلب بها أمر لا يمكن حصوله كقول الشاعر[٣]:

أسرب القطا هل من يعير جناحه لعلي إلى من قد هويت أطير

فالشاعر نادى القطا ، ونداء ما لا يعقل تمني. ثم طلب منه إعارة الجناح وهذا محال حدوثه لذلك فهو تمنٍّ ، ثم بيَّن أنه طلب الجناح ليطير إلى محبوبه ويستحيل أن يحدث طيران من الشاعر. فالبيت به ثلاثة أنواع من التمني المجازي وهو في قمة البلاغة. وهذه الأساليب هنا

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٥/ ٢٧٦ .
(٢) ابن عاشور : التحرير والتنوير ٥/ ١٢٠ .
(٣) البيت لمجنون ليلى في ديوانه ، ص ٩٨ .

لا تدل على معانيها الحقيقية ألبتة . أما هذه الأساليب في القرآن فتحتمل التمني وتحتمل معانيها الحقيقية وهذا ما اختص به القرآن الكريم . من ذلك قوله تعالى:﴿ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ {الأعراف: ٥٣}. ذكر القرطبي أنه استفهام فيه معنى التمني[١]. و قال أحمد بدوي :" السر في إيرادهم التمني في أسلوب الاستفهام، هو تصوير هذا الأمل الذى يجول بنفوسهم مجسماً فيها تجسماً قويّاً، حتى ليتلمسونه بين ظهرانيهم"[٢]. وتعددت معانيه عند ابن عاشور قال:" والاستفهام يجوز أن يكون حقيقياً يقوله بعضهم لبعض، لعل أحدهم يرشدهم إلى مخلص لهم من تلك الورطة، وهذا القول يقولونه في ابتداء رؤية ما يهددهم قبل أن يوقنوا بانتفاء الشفعاء المحكي عنهم في قوله تعالى: (فما لنا من شافعين ولا صديق حميم) ويجوز أن يكون الاستفهام مستعملاً في التمني، ويجوز أن يكون مستعملاً في النفي. على معنى التحسر والتندم"[٣] . فكل هذه المعاني تحتملها الآية ، فهذه المرونة لا نجدها إلا مع ألفاظ القرآن الكريم.

ومن الخصائص البلاغية للتمني المجازي في القرآن : الدقة في اختيار الأسلوب الذي يكون عليه التمني . فالتمني بـ(لو) الشرطية يخالف معناه التمني بـ(هل) الاستفهامية وكذلك التمني بـ(لعل) يخالفهما معاً. قال درَّاز :" وهل في التمني لها دلالة خاصة تختلف عن لو للتمني التي تصور الأمل مخنوقاً يقذفه اللسان في حال يأس جاثم ثم ينحدر إلى قرار في سراديب

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٢١٨/٧ .
(٢) أحمد بدوي: من بلاغة القرآن ، ص ١٢٧-١٢٨ .
(٣) ابن عاشور : التحرير والتنوير ١٥٦/٨ .

أعماق محلولكة القنوط . فلو تلتقي مع ليت – كما يقول الشهاب – في معنى التقدير ، ولذا أقيمت مقامها وهو يعني مطلق التمني ، وإلا فإن لو لها مقامات فيها أبعد إحالة وامتناعاً وهو قريب من دلالتها شرطاً"[1] . وما نقل عن الشهاب الألوسي في أن (لو) بمعنى (ليت) يوافق قول الزمخشري:" (لو) في معنى التمني. ولذلك أجيب بالفاء الذي يجاب به التمني، كأنه قيل: ليت لنا كرة فنتبرأ منهم"[2]. ويوضح درَّازُ الفرقَ بين هذه الأساليب بعقد موازنة بين أنواع التمني في قوله تعالى:﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُۚ ﴾ {الأعراف: ٥٣}. وقوله تعالى:﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ {الأنعام: ٢٧ }. وقوله تعالى:﴿ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ {الشعراء: ١٠٢}. قال:" وتَمَنِّي المعذبين العودة إلى الدنيا إنما يعكس حسرة وندماً وألماً نفسيَّاً لا يطاق ، والتمني يعين الأسلوب كله على تصويره فهم يأتون بالمادتين (ردَّ وكرَّ) من الفعل المضعف الدال على الرد بقوة وسرعة ولذا لم يعبروا بالفعل نرجع أو نعود استطالة لزمنه ، ثم إن للمعذبين مواقف ولتمنيهم درجات ... ولمّا كانت الفرصة لم تفت بعد في نظرهم . تقفز إلى أذهانهم فكرة الشفاعة والشفعاء . أما التمني بليت : حين واجهوا النار ووقفوا عليها بدء دخولهم فيها فهنا يكون التمني حقيقة لأمر محال أو جَدٌّ بعيد ، فهم بَعْدُ لم تخمد جذوة الآمال فيهم . أما لو

(١) درَّاز : الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم ، ص ٢٨٣ .
(٢) الزمخشري : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٢١٢/١ .

فهي أصلاً للامتناع فكأنها رجع صدى بعيد أنهم يقولونها بعد أن مر بهم فنون من العذاب"[1].

وخلاصة القول في بلاغة الجملة الطلبية في القرآن أنها دقيقة في اختيار الألفاظ المناسبة وترتيبها في الجملة حسب ما يقتضي المعنى المراد . فتحس الألفاظ وكأنها متماسكة متشابكة الأيدي ، لا يفارق لفظ مكانه حتى يختل المعنى المراد . وقد يكون المراد عدة معاني للجملة الواحدة أو اللفظ الواحد . ويزاد في الجملة ويحذف منها حسب ما يقتضي السياق . وتتبادل المعاني في الجملة الطلبية فيأتي الأمر – مثلاً– في سياق النهي ، فيكون أبلغ منه في سياق الأمر أو العكس . ويأتي الأمر في سياق الاستفهام فيكون أبلغ منه في سياق الأمر .

وستأتي وقفة متأنية ونظرة بلاغية إلى كيفية معالجة الألوسي للجملة الطلبية ، فهو قد فصَّل فيها تفصيلاً دقيقاً ، وتظهر بلاغته بطريقة عرضه لها ، مستفيداً من أقوال السابقين مضيفاً إلى ذلك علمه الوافر وثقافته الواسعة بعلوم اللغة العربية .

(١) درَّاز : الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم ، ص ٢٦٧-٢٦٨ .

الـــفـــصـــل الـــرابـــع

بلاغة الجملة الطلبية في تفسير الألوسي

المبحث الأول : بلاغة جملة الاستفهام في تفسير الألوسي

المبحث الثاني : بلاغة جملة الأمر في تفسير الألوسي

المبحث الثالث : بلاغة جملة النهي في تفسير الألوسي

المبحث الرابع : بلاغة جملة النداء في تفسير الألوسي

المبحث الخامس : بلاغة جملة التمني في تفسير الألوسي

المبحث الأول

جملة الاستفهام في تفسير الألوسي

تناول الألوسي الاستفهام من خلال حديثه عن معنى الآية التي يكون في سياقها الاستفهام ، فيذكر نوع الاستفهام وما يدل عليه من معنى بلاغي . ثم يذكر أقوال العلماء فيه ، وما ذلك إلا لتحرير المعنى المقصود من الآية . فسُمِّيَ تفسيره (روح المعاني).فيطرق باب النحو تارة، ثم البلاغة تارة أخرى، وقد يعرج على المعاجم وأشعار العرب كل ذلك لأجل المعنى وروحه.

الاستفهام الحقيقي في تفسير الألوسي:

من الاستفهام الحقيقي عند الألوسي قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ {البقرة: ٢٦٠}. قال الألوسي:" ثم الاستفهام بـ(كيف) إنما هو سؤال عن شيء متقرر الوجود عند السائل والمسئول، فالاستفهام هنا عن هيئة الإحياء المتقرر عند السائل أي:(بصرني كيفية إحيائك للموتى) وإنما سأله –عليه السلام– لينتقل من مرتبة علم اليقين إلى عين اليقين"[1] . وقول الألوسي هذا يتفق مع ما قاله أبو حيان عن ذلك ، قال:" والسؤال عن الكيفية يقتضي تيقن ما سأل عنه: وهو الإحياء، وتقرره، والإيمان به، وأنه مما انطوى الضمير على اعتقاده"[2]. ويلاحظ أن الألوسي لم يقل أن الاستفهام حقيقي بل يفهم ذلك من

---

[1] الألوسي : روح المعاني ٢/ ٢٦ .
[2] أبو حيان : البحر المحيط في التفسير ٢/ ٦٤٣ .

قوله:(سأله لينتقل من علم اليقين إلى عين اليقين). ومن الاستفهام الحقيقي قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ {البقرة: ٢١٥}. وقوله تعالى:﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ {البقرة: ٢١٩}. الاستفهام في الآيتين قوله(ماذا ينفقون؟) وهو استفهام عن الشيء الذي ينفق . فأتى الجواب في الآية الأولى بالأوجه التي ينفق عليها ، وفي الآية الثانية بقوله: (العفو) . قال الألوسي عن الأولى :" وأشار إجمالاً إلى بيان المُنْفَق فقوله: (من خير) يتضمن كونه حلالاً إذ لا يسمى ما عداه خيراً وإنما تعرض لذلك وليس في السؤال ما يقتضيه لأن السؤال للتعلم لا للجدل، وحق المعلم فيه أن يكون كطبيب رفيق يتحرى ما فيه الشفاء. طلبه المريض أم لم يطلبه؟، ولما كانت حاجتهم إلى من ينفق عليه كحاجتهم إلى ما ينفق بيَّن الأمرين. وهذا كمن به صفراء فاستأذن طبيباً في أكل العسل فقال: كُلْهُ مع الخل، فالكلام إذاً من أسلوب الحكيم"[1] وقال في تفسير الآية الثانية :" وكأنه سئل أولاً عن المُنْفَق والمُصْرَف ثم سئل عن كيفية الإنفاق بقرينة الجواب فالمعنى يسألونك عن صفة ما ينفقونه قل العفو أي صفته أن يكون عفواً[*] فكلمة (ما) للسؤال عن الوصف كما يقال: ما زيد؟ فيقال: كريم إلا أنه قليل في الاستعمال"[2].

ويُفْهَمُ من كلام الألوسي أنَّ (ما) في الآيتين استفهام عن وصف ما ينفقونه ، فَضَمَّنَ

---

[1] الألوسي : روح المعاني ١/ ٥٠١ .

[*] لا يجهد ماله أي : يعطيه ويفرقه جميعاً.والعفو: أحل المال وأطيبه ، وقيل عفو المال ما يفضل عن النفقة.(انظر: لسان العرب ١٣٥/٣ - ٧٦/١٥).

[2] الألوسي: روح المعاني ١/ ٥٠٩ .

قوله:(من خيرٍ) أن يكون حلالاً ، وقوله:(العفو) أحلَّ المال وأطيبه. وبهذا يكون الجواب مطابقاً للاستفهام في الآيتين.

ومن الاستفهام الحقيقي عند الألوسي قوله تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ {الكهف: ١٩}. قال الألوسي:" كم لبثتم أي: كم يوماً أقمتم نائمين؟، وكأنه قال ذلك لما رأى من مخالفة حالهم لما هو المعتاد في الجملة، وقيل راعهم ما فاتهم من الصلاة فقالوا ذلك: قالوا أي: قال بعضهم: لبثنا يوماً أو بعض يوم. أو للشك كما قاله غير واحد، والمراد لم نتحقق مقدار لبثنا أي: لا ندري أن مدة ذلك هل هي مقدار مدة يوم أو مقدار مدة بعض يوم منه، والظاهر أنهم قالوا ذلك لأن لوثة النوم لم تذهب من بصرهم وبصيرتهم فلم ينظروا إلى الأمارات، وهذا مما لا غبار عليه سواء كان نومهم وانتباههم جميعاً أو أحدهما في النهار أم لا"[1] . لا شك أن كلام الألوسي هذا يدل على أنَّ الاستفهام حقيقي وإن لم يصرح بذلك ، ففسر الاستفهام بقوله:(كم يوماً أقمتم نائمين؟) ومثل هذا الاستفهام يحتاج إلى جواب . ثم ذكر جواب الاستفهام بقوله:(لا ندري أن مدة ذلك هل هي مقدار مدة يوم أو مقدار مدة بعض يوم منه).

ومن الاستفهام الحقيقي قوله تعالى:﴿ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴾ القيامة: {٢٦ – ٢٧}. قال الألوسي:" والاستفهام عند بعض حقيقي . وقيل هو استفهام استبعاد وإنكار. أي: قد بلغ مبلغاً لا أحد يرقيه كما يقال عند اليأس من ذا الذي يقدر أن يرقي هذا المشرف على الموت؟

---

[1] الألوسي: روح المعاني ٨/ ٢١٨ .

وروي ذلك عن عكرمة وابن زيد وقيل هو من كلام ملائكة الموت أي: أيكم يَرْقَى بروحه أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب؟ من الرقي وهو العروج ؛ وروي هذا عن ابن عباس أيضاً وسليمان التيمي والاستفهام عليه حقيقي"[١]. فالألوسي أورد الوجهين(الحقيقة والمجاز) على حد سواء . والذي يبدو أن الاستفهام حقيقي لأن معنى الإنكار عادة ما يأتي مع حرفي التصديق(هل والهمزة) ، فإن كان الاستفهام مجازياً: فهو بمعنى النفي ، والمعنى:(قيل لا راقٍ). وما يؤكد أن الاستفهام حقيقي أن معنى الإنكار يختفي إن كان المخاطب الملائكة على أحد قولي الألوسي . ومثل هذا الاستفهام قول الشاعر:[٢]

إذا القومُ قالوا مَن فَتًى؟ خِلتُ أنّني عُنِيتُ فلمْ أكسَلْ ولم أتبَلّدِ

كما يترجح معنى الحقيقة عند أبي حيان قال:" فاحتمل أن يكون القائل حاضرو المريض طلبوا له من يرقي ويطب ويشفي ... وهو استفهام حقيقة. وقيل: هو استفهام إبعاد وإنكار، أي قد بلغ مبلغاً لا أحد يرقيه"[٣].

وبهذه النماذج ندرك كيفية معالجة الألوسي للاستفهام الحقيقي . فهو إما أن يشير باللفظ إلى أنه حقيقي ، وإما أن يلمح من خلال عباراته عن معنى الآية.

الاستفهام المجازي في تفسير الألوسي:

تعددت المعاني المجازية للاستفهام في تفسير الألوسي . لا تجد معنى من معاني الاستفهام

---

[١] الألوسي: روح المعاني ١٥/ ١٦٢ .
[٢] البيت لطرفة بن العبد في ديوانه ص ٢٤ .
[٣] أبو حيان: البحر المحيط في التفسير ١٠/ ٣٥١.

المجازي إلا ويشاركه معنى آخر. ذكر ذلك الألوسي أم فهم من خلال كلامه ، وسبب ذلك أنه يدلي بأقوال من سبقوه ثم يبين ما يترجح عنده وكل ذلك بحثاً عن روح المعنى. ومن هذه المعاني ما يأتي:

الاستفهام بمعنى الإنكار والنفي: الإنكار والنفي أكثر معاني الاستفهام وروداً في تفسير الألوسي ويكثر ذلك مع تركيب(مَنْ +أفعل التفضيل) من ذلك قوله تعالى:﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةًۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾ {البقرة: ١٣٨}. الاستفهام في قوله:(ومن أحسن من الله صبغة؟)، قال الألوسي:" والاستفهام للإنكار"[١]. ثم يلمح من كلامه معنى آخر يصاحب هذا الإنكار وهو النفي . قال:" والتفضيل جار بين الصبغتين لا بين فاعليهما. أي: لا صبغة أحسن من صبغته تعالى على معنى أنه أحسن من كل صبغة"[٢]. ويؤكد هذا المعنى قول أبي حيان:"هذا استفهام ومعناه النفي، أي: ولا أحد أحسن من الله صبغة"[٣].

ومن ذلك قوله تعالى:﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ ﴾ {البقرة: ١١٤}. الاستفهام في قوله(ومن أظلم ...؟) ، هذا التركيب ورد في القرآن الكريم في تسعة مواضع كلها تدل على الإنكار والنفي . قال الألوسي عن تفسير هذه الآية:" و(أظلم) أفعل تفضيل خبر عن- من- ولا يراد بالاستفهام حقيقته وإنما هو بمعنى النفي فيؤول إلى

---

[١] الألوسي : روح المعاني ١/ ٣٩٥ .
[٢] المصدر نفسه ١/ ٣٩٥ .
[٣] أبو حيان : البحر المحيط في التفسير ١/ ٦٥٦ .

الخبر أي: لا أحد أظلم من ذلك"[1] . واضح أنه يفسر الاستفهام بمعنى النفي . ثم نقل عن غيره معنى الإنكار قال:" وقد قال غير واحد إن قولك: من أظلم ممن فعل كذا إنكار لأن يكون أحد أظلم منه أو مساوياً له وإن لم يكن سبك التركيب متعرضاً لإنكار المساواة ونفيها إلا أن العرف الفاشي والاستعمال المطرد يشهد له فإنه إذا قيل من أكرم من فلان؟ أو لا أفضل من فلان فالمراد به حتماً أنه أكرم من كل كريم وأفضل من كل فاضل"[2].

وقد يأتي الإنكار عند الألوسي مصاحباً معنى غير النفي كقوله تعالى:﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾ {الأنعام: ١٤}. الاستفهام في قوله(أغير الله أتخذ ولياً؟) قال الألوسي:" قل للمشركين بعد توبيخهم بما سبق أغير الله أتخذ ولياً؟ . إنكارٌ لاتخاذ غير الله تعالى ولياً ، لا لاتخاذ الولي مطلقا"[3]. أثبت الألوسي أن الاستفهام في الآية بمعنى الإنكار ، وأن قوله(فاطر السموات والأرض) تأكيد لهذا الإنكار . ولكنه يلحظ معنى آخر بخروج الكلام من مقتضى الإنكار . قال:" وقيل: الولي بمعنى الناصر كما هو أحد معانيه المشهورة، ويعلم من إنكار اتخاذ غير الله تعالى ناصراً أنه لا يتخذه معبوداً من باب الأَوْلَى، ويحتمل الكلام– على ما قيل– أن يكون من الإخراج على خلاف مقتضى الظاهر قصداً إلى إمحاض النصح ليكون أعون على القبول"[4]. ويحتمل الاستفهام معنى التوبيخ كما يراه أبو

---

[1] الألوسي : روح المعاني ١/ ٣٦٢ .
[2] المصدر نفسه ١/ ٣٦٢ .
[3] المصدر نفسه ٤/ ١٠٤ .
[4] المصدر نفسه ٤/ ١٠٤ .

حيان قال:" أمر تعالى نبيه أن يقول لهم ذلك على سبيل التوبيخ لهم أي: من هذه صفاته هو الذي يتخذ ولياً وناصراً ومعيناً لا الآلهة التي لكم"[1].

ومن الإنكار مع غير النفي عند الألوسي قوله تعالى:﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ ﴾ {الأنعام: ٥٠}. الاستفهام في قوله(قل هل يستوي الأعمى والبصير؟) قال الألوسي:" قل هل يستوي الأعمى والبصير أي الضال والمهتدي على الإطلاق كما قال غير واحد. والاستفهام إنكاري، والمراد إنكار استواء من لا يعلم ما ذكر من الحقائق ومن يعلمها مع الإشعار بكمال ظهورها والتنفير عن الضلال والترغيب في الاهتداء"[2].فمعنى الاستفهام هو الإنكار ويصاحبه تنفير عن الضلال وترغيب في الاهتداء. والاستفهام الإنكاري في القرآن لا يخلو من مصاحبة معنى آخر ، ومن ذلك تركيب:(أإذا...؟) هذا التركيب في جميع وروده في التفسير أتى بمعنى الإنكار ومعنى آخر. منه قوله تعالى:﴿ وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيّٗا ﴾ {مريم: ٦٦}. قال الألوسي تفسيراً لذلك:" وإيلاء الظرف همزة الإنكار دون الإخراج لأن ذلك الإخراج ليس بمنكر مطلقاً وإنما المنكر كونه وقت اجتماع الأمرين فقدم الظرف لأنه محل الإنكار، والأصل في المنكر أن يلي الهمزة، ويجوز أن يكون المراد إنكار وقت ذلك بعينه أي: إنكار مجيء وقت فيه حياة بعد الموت يعني أن هذا الوقت لا يكون موجوداً وهو أبلغ

---

[1] أبو حيان : البحر المحيط في التفسير ٤/ ٤٥٢ .
[2] الألوسي : روح المعاني ٤/ ١٤٨ .

من إنكار الحياة بعد الموت لما أنه يفيد إنكاره بطريق برهاني"[1]. وقال في موضع آخر:" وقرأ جماعة منهم ابن ذكوان بخلاف عنه إذا بدون همزة الاستفهام وهي مقدرة معه لدلالة المعنى على ذلك، وقيل: لا تقدير والمراد الاخبار على سبيل الهزء والسخرية بمن يقول ذلك"[2]. فهذا التركيب يحتمل الإنكار والاستهزاء.

الاستفهام بمعنى التقرير والتعجب: هذان المعنيان يلتقيان في بعض التراكيب ويفترقان في بعضها ومن التراكيب التي يجتمعان فيها في تفسير الألوسي قوله(ألم تر...؟) قال الألوسي:" (ألم تر؟) هذه الكلمة قد تذكر لمن تقدم علمه فتكون للتعجب والتقرير؛ والتذكير لمَنْ علم بما يأتي كالأحبار وأهل التواريخ ؛ وقد تذكر لمن لا يكون كذلك فتكون لتعريفه وتعجيبه ، وقد اشتهرت في ذلك حتى أجريت مجرى المثل في هذا الباب بأن شبه حال من لم ير الشيء بحال من رآه في أنه لا ينبغي أن يخفى عليه وأنه ينبغي أن يتعجب منه ثم أجري الكلام معه كما يُجْرَى مع من رأى؛ قصداً إلى المبالغة في شهرته وعراقته في التعجب"[3]. من ذلك قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ {آل عمران: ٢٣}. قال الألوسي:" ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب؟ تعجب للنبي صلى الله عليه وسلم ولكل من تتأتى منه الرؤية من حال أهل الكتاب وأنهم إذا عضتهم الحجة فروا إلى الضجة وأعرضوا عن المحجة، وفيه

---

[1] الألوسي : روح المعاني ٤٣٤/٨.
[2] المصدر نفسه ٤٣٤/٨ .
[3] المصدر نفسه ١/ ٥٥٢ .

تقرير لما سبق من أن الاختلاف إنما كان بعد مجيء العلم"[1] . ومنه قوله تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ﴾ {البقرة: ٢٥٨}. قال الألوسي موضحاً ذلك :" وقيل: استشهاد على ما ذكر من أن الكفرة أولياؤهم الطاغوت وتقرير لهم كما أن ما بعده استشهاد على ولايته تعالى للمؤمنين وتقرير لها"[2]. وهذا يدل على أن الاستفهام للتقرير . ثم ذكر التعجب في قوله:" والجمهور على أن في الكلام معنى التعجيب أي: ألم تنظر، أو ألم ينته علمك إلى قصة هذا الكافر الذي لستُ بولي له كيف تصدى لمحاجة من تكفلت بنصرته وأخبرت بأني ولي له"[3]. ومثل هذا التركيب بهذين المعنيين أتى في قول الشاعر:[4]

فَكيفَ يُرجّي المرءُ دَهراً مُخلَّداً وأعمالُهُ عَمّا قَلِيلٍ، تُحاسِبُهْ

ألم تَرَ لُقمانَ بنَ عادٍ تَتابَعتْ عليه النّسورُ، ثمّ غابتْ كواكبه؟

وورد التعجب مع الاستبعاد عند الألوسي في تفسير قوله تعالى:﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ﴾ {آل عمران: ٤٧} . قال الألوسي:" قالت رب أنَّى يكون لي ولد يحتمل أن يكون الاستفهام مجازياً والمراد التعجب من ذلك والاستبعاد العادي، ويحتمل أن يكون حقيقياً على معنى أنه يكون بتزوج أو غيره؟، وقيل: يحتمل أن يكون

---

[1] الألوسي : روح المعاني ٢/ ١٠٦ .
[2] المصدر نفسه ٢/ ١٦ .
[3] المصدر نفسه ٢/ ١٦ .
[4] البيتان لطرفة بن العبد في ديوانه ، ص ١١ .

استفهاماً عن أنه من أي شخص يكون؟"[1]. لا يبدو احتمال الحقيقة في مثل هذا الاستفهام لأن الواو للحال وجملة الحال جزء من استفهام التعجب ، بل مؤكدة له. أما كونه للاستبعاد فيرى ابن عاشور خلاف ذلك قال:" وليس كلام مريم مسوقاً مساق الاستبعاد مثل قول زكريا... لاختلاف الحالين لأن حال زكريا حال راغب في حصول الولد، وحال مريم حال متشائم منه متبرئ من حصوله"[2].

ومن استفهام التقرير عند الألوسي قوله تعالى:﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾ {الأنبياء: ٦٢}. قال تفسيراً لذلك:" والهمزة كما قال العلامة التفتازاني للتقرير بالفاعل إذ ليس مراد الكفرة حمله –عليه السلام– على الإقرار بأن كسر الأصنام قد كان ، بل على الإقرار بأنه منه ، كيف وقد أشاروا إلى الفعل في قولهم: أأنت فعلت هذا؟ وأيضاً قال بل فعله كبيرهم هذا ولو كان التقرير بالفعل لكان الجواب فعلت أو لم أفعل"[3].

الاستفهام بمعنى التوبيخ والتهكم: ورد الاستفهام بهذين المعنيين في تفسير الألوسي في عدة مواضع منها قوله تعالى:﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ {الأحقاف: ٣٤}. الاستفهام في قوله(أليس هذا بالحق؟) قال عنه الألوسي:" وفيه تهكم بهم وتوبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله تعالى ووعيده،

---

[1] الألوسي : روح المعاني ٢/ ١٥٧ .
[2] ابن عاشور : التحرير والتنوير ١٦ / ٨٢ .
[3] الألوسي : روح المعاني ٩/ ٦٢ .

وقولهم: وما نحن بمعذبين"[1] .

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ {القصص: ٦٢}. الاستفهام قوله(أين شركائي؟...) وهو تفسير لقوله(يناديهم) قال الألوسي:" ونداؤه تعالى إياهم يحتمل أن يكون بواسطة وأن يكون بدونها وهو نداء إهانة وتوبيخ فيقول تفسير للنداء أين شركائي الذين كنتم تزعمون"[2]. وقال في موضع آخر:" أين شركائي أي: بزعمكم كما نص عليه بقوله سبحانه: أين شركائي الذين كنتم تزعمون ؟ وفيه تهكم بهم وتقريع لهم"[3].

ومن استفهام التوبيخ عند الألوسي قوله تعالى: ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَآ أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴾ {الملك: ٨}. الاستفهام في قوله(ألم يأتكم نذير؟) . قال الألوسي:" وليس السؤال سؤال استعلام بل هو سؤال توبيخ وتقريع، وفيه عذاب روحاني لهم منضم إلى عذابهم الجسماني ألم يأتكم نذير يتلو عليكم آيات الله وينذركم لقاء يومكم هذا قالوا اعترافاً بأنه عز وجل قد أزاح عللهم بالكلية بلى قد جاءنا نذير وجمعوا بين حرف الجواب ونفس الجملة المجاب بها مبالغة في الاعتراف بمجيء النذير، وتحسراً على ما فاتهم من السعادة في تصديقهم"[4]. ومثل هذا الاستفهام قول الشاعر:[5]

أَلَمْ أُخْبِرْكَ أنّ الدّهْرَ غُولٌ خَتُورُ العَهْدِ يَلْتَهِمُ الرّجَالا

---

[1] الألوسي : روح المعاني ١٣ /١٩٠ .
[2] المصدر نفسه ١٠ / ٣٠٧ .
[3] المصدر نفسه ١٣ / ٤ .
[4] المصدر نفسه ١٥ / ١٢ .
[5] البيت لامرئ القيس في ديوانه ، ص ١٤٧ .

ومن استفهام التهكم عند الألوسي قوله تعالى:﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۚ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴾ {الفرقان: ٧ } . الاستفهام قوله(ما لهذا الرسول؟) قال الألوسي:" وعنوا بالإشارة والتعبير بالرسول الاستهانة والتهكم"[١]. وكأن الألوسي استقى هذا المعنى من قول الزمخشري:" وفي هذا استهانة وتصغير لشأنه وتسميته بالرسول سخرية منهم وطنز"[٢]. ويرى ابن عاشور أن الاستفهام تعجبي . قال:" والاستفهام تعجيبي مستعمل في لازمه وهو بطلان كونه رسولاً بناء على أن التعجب من الدعوى يقتضي استحالتها أو بطلانها. وتركيب (ما لهذا) ونحوه يفيد الاستفهام عن أمر ثابت له"[٣]. ولا شك أن الاستفهام يحتمل المعنيين ، ومر معنا من خصائص أسلوب القرآن: تعدد المعنى للأسلوب الواحد.

الاستفهام بمعنى الحث على الأمر أو النهي: إذا دل الاستفهام على الأمر أو النهي فهو حث عليهما . وورد هذا النوع كثيراً في تفسير الألوسي . من ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ {المائدة: ٩١}. قال الألوسي:" ثم إنه سبحانه أعاد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام الإنكاري مع الجملة الاسمية مرتباً على ما تقدم من أصناف الصوارف فقال جل شأنه: فهل أنتم منتهون؟ إيذانا بأن الأمر في الردع والمنع قد بلغ الغاية وأن الأعذار قد

---

[١] الألوسي : روح المعاني ٩ / ٤٢٧ .
[٢] الزمخشري : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٣/ ٢٦٥ .
[٣] ابن عاشور : التحرير والتنوير ١٨/ ٣٢٧ .

انقطعت بالكلية حتى أن العاقل إذا خَلَى ونفسه بعد ذلك لا ينبغي أن يتوقف في الانتهاء"[١].

فذكر الألوسي لهذا الاستفهام معنيين (الإنكار والحث على الأمر) وهذا ديدنه مع أسلوب الاستفهام المجازي يذكر له أكثر من معنى. ولم يقل أبوحيان أنه حثٌّ بل قال:" وقيل هو استفهام يُضَمَّنُ معنى الأمر أي: فانتهوا ولذلك قال عمر انتهينا يا رب"[٢]. والذي يبدو من سياق الآية أنها تعليل لسبب التحريم والاستفهام معها مجرد ملاطفة وإيقاظ للعقل. أبدع ابن عاشور القول في ذلك قائلاً:" فإن ما ظهر من مفاسد الخمر والميسر كاف في انتهاء الناس عنهما. فلم يبق حاجة لإعادة نهيهم عنهما، ولكن يستغنى عن ذلك باستفهامهم عن مبلغ أثر هذا البيان في نفوسهم ترفيعاً بهم إلى مقام الفطن الخبير، ولو كان بعد هذا البيان كله نهاهم عن تعاطيها لكان قد أنزلهم منزلة الغبي، ففي هذا الاستفهام من بديع لطف الخطاب ما بلغ به حد الإعجاز"[٣].

ومن الحث على الأمر عند الألوسي قوله تعالى:﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ {الأنبياء: ١٠٨}. الاستفهام في قوله(فهل أنتم مسلمون؟) قال:" فهل أنتم مسلمون؟ أي: منقادون لما يوحى إلي من التوحيد، وهو استفهام يتضمن الأمر بالانقياد، وبعضهم فسر الإسلام بلازمه وهو إخلاص العبادة له تعالى وما أشرنا إليه أولى"[٤]. فالاستفهام هنا حث على الانقياد وإخلاص العبادة لله .

---

[١] الألوسي : روح المعاني ٤ / ١٧ .
[٢] أبو حيان : البحر المحيط في التفسير ٤/ ٣٥٩ .
[٣] ابن عاشور : التحرير والتنوير ٧/ ٢٨ .
[٤] الألوسي : روح المعاني ١٠١/٩ .

ومن الاستفهام الذي بمعنى النهي قوله تعالى:﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ {البقرة: ٧٦}. الاستفهام في قوله(أتحدثونهم بما فتح الله عليكم؟) ذكر الألوسي لهذا الاستفهام ثلاثة معاني هي: التوبيخ والإنكار والنهي ونقل أقوال القائلين بذلك ولكنه يثبت أنه إنكار ونهي. قال:" ومن الناس من جوز كون هذا التوبيخ من جهة المنافقين لأعقابهم وبقاياهم الذين لم ينافقوا، وحينئذ يكون البعض الذي هو فاعل (خلا) عبارة عن المنافقين، وفيه وضع المظهر موضع المضمر تكثيراً للمعنى. والاستفهام إنكار ونهي عن التحديث في الزمان المستقبل وليس بشيء- وإن جل قائله- اللهم إلا أن يكون فيه رواية صحيحة، ودون ذلك خرط القتاد"[1].

ويؤكد ذلك قوله بعد سرده للأقوال النحوية:" وعندي: أن رجوع ضمير (به) لما فتح الله من حيث إنه محدث به وجعل القيد هو المقصود، أو للتحديث المفهوم من (أتحدثونهم) وحمل عند ربكم على يوم القيامة ، والتزام أن الإخفاء يدفع هذا الاحتجاج ليس بالبعيد- إلا أن أحداً لم يصرح به- ولعله أولى من بعض الوجوه"[2].

وخلاصة هذا المبحث أن الاستفهام ورد في تفسير الألوسي بنوعيه –الحقيقي والمجازي- وتناول أكثرها بالشرح والتحليل. لكنه لم يقف مع بعض الأنواع وقفة بلاغية بل يتحدث عن

---

[1] الألوسي : روح المعاني ٣٠٠/١ .
[2] المصدر نفسه ١/ ٣٠١ .

إعرابها وتركيبها . وذلك أنه لم يتناول الاستفهام من أجل البلاغة ، وإنما تناوله من أجل المعنى ، فروح المعنى هو ضالته التي ينشدها متى ما وجدها توقف.

المعاني المجازية التي ذكرت في هذا المبحث هي أكثر المعاني وروداً في التفسير . وقُسِّمَتْ بالمزاوجة بين كل معنيين لمزاوجتها في التفسير ، لا يخلو الاستفهام المجازي في تفسير الألوسي من ذكر معنيين أو أكثر .

المبحث الثاني

جملة الأمر في تفسير الألوسي

الأمر من الموضوعات التي أولاها الأصوليون عناية خاصة لما له علاقة وطيدة بالأحكام الشرعية . وكثيراً ما ينقل الألوسي أقوالهم مستشهداً بها على معنى الأمر في الآية سواء كان حقيقياً أم كان مجازياً ، وسيتضح ذلك من خلال تتبعنا لهذا النوع في تفسيره .

الأمر الحقيقي في تفسير الألوسي:

ورد هذا النوع من الأمر كثيراً في تفسير الألوسي فقد يشير إليه بقوله: أمر حقيقي أو يكتفي بقوله: أمر وجوب، أو أمر ندب. وللألوسي وقفة مع المفردات واستخدامها من حيث الزيادة والنقصان ومن حيث ترتيبها في الجملة.

من ذلك قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾{المائدة: ١} . وورد الأمر نفسه في قوله تعالى:﴿ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴾ {هود: ٨٥}. الأمر في هاتين الآيتين قوله:(أوفوا) . قال الألوسي عن الآية الأولى:" يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود: الوفاء حفظ ما يقتضيه العقد والقيام بموجبه، ويقال: وَفَى ووفَّى وأوفى بمعنى، لكن في المزيد مبالغة ليست في المجرد... ويُحْمَلُ الأمرُ

على مطلق الطلب ندباً أو وجوباً "[1]. ظاهر كلام الألوسي أن الأمر حقيقي للندب أو الوجوب . وقال عن الأمر في الآية الثانية :" ويا قوم أوفوا المكيال والميزان أي: أتموهما، وفائدة التصريح بذلك مع أن الانتهاء المطلوب من النهي السابق[*] لا يتحقق بدون الإتمام فيكون مطلوباً تبعاً، وهذا مسلم على المذاهب. جعل النهي عن الشيء عين الأمر بالضد أو مستلزماً له تضمناً أو التزاماً لأن الخلاف في مقتضى اللفظ لا أن التحريم أو الوجوب ينفك عن مقابلة الضد غير واحدة[**]. النهي بما كانوا عليه من القبيح وهو النقص مبالغة في الكف، ثم الأمر بالضد مبالغة في الترغيب وإشعاراً بأنه مطلوب أصالة وتبعاً مع الإشعار بتبعية الكف عكساً، وتقييده بقوله سبحانه: بالقسط أي بالعدل من غير زيادة ولا نقصان، ثم إدماج أن المطلوب من الإتمام العدل، ولهذا قد يكون الفضل محرماً كما في الربويات"[2]. فالأمر في هذه الآية حقيقي لأنه للوجوب كما قال:" وفائدة الأمر بتسوية الآلتين وتعديلهما بعد النهي عن نقصهما: المبالغة في الحمل على الإيفاء والمنع والبخس، والتنبيه على أنه لا يكفيهم مجرد الكف عن النقص والبخس بل يجب عليهم إصلاح ما أفسدوه وجعلوه معياراً لظلمهم وقانوناً لعدوانهم"[3]. ويفهم من كلامه أنه يفسر الأمر حسب سياق الآية لذلك فرَّق لنا بين معنى الوفاء في الآية الأولى والثانية. ويتضح الفرق بتعدية الأول إلى مفعوله بحرف

---

[1] الالوسي : روح المعاني ٣/٢٢٢ -٢٢٣.

[*] ربط الألوسي تفسير الأمر في هذه الآية بالنهي المذكور في الآية السابقة لها وهي قوله تعالى:﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴾ {هود : ٨٤}.

[**] يعني : أن التحريم في النهي لا ينفك عن الوجوب في الأمر.

[2] الألوسي : روح المعاني ٦/ ٣١١ .

[3] المصدر نفسه ٦/ ٣١١ .

الجر ، والثاني بنفسه.

ومن الأمر الحقيقي عند الألوسي قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ {البقرة: ٢٥٤}. الأمر في قوله:(أنفقوا مما رزقناكم...) . قال الألوسي:" يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم قيل: أراد به الفرض كالزكاة دون النفل لأن الأمر حقيقة في الوجوب ولاقتران الوعيد به وهو المروي عن الحسن"[١]. فصرح الألوسي بأن الأمر حقيقي وواجب ويرى أنه مقترن بالترغيب ليس الوعيد. قال:" و(ما) موصولة حذف عائدها والتعرض لوصوله منه تعالى للحث على الإنفاق والترغيب فيه"[٢] . ويفهم معنى الحث والترغيب من خلال السياق كما تمت الإشارة إلى أنه يُفَسِّرُ الأمر من خلال السياق.

ومن الأمر الحقيقي قوله تعالى:﴿ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴾ {الطلاق: ٢} . وردت في هذه الآية أربع جمل للأمر وهي:(فأمسكوهن) ، (فارقوهن) ، (أشهدوا) ، (أقيموا). لم يتطرق الألوسي للحديث –بلاغياً– عن الجملتين الأوليين ، بل اكتفى بذكر المعنى المجازي لقوله:(فأمسكوهن بمعروف) قال:" فراجعوهن

---

[١] الألوسي : روح المعاني ٥/٢ .
[٢] المصدر نفسه ٦/٢ .

بمعروف بحسن معاشرة وإنفاق مناسب للحال من الجانبين"[1]. فالله سبحانه استخدم لفظ الإمساك بدل المراجعة ليبين عدم اكتمال الطلاق قبل اكتمال العدة . قال ابن عاشور:" اعتزام المراجعة عبَّر عنه بالإمساك للإيماء إلى أن المطلقة الرجعية لها حكم الزوجة فيما عدا الاستمتاع فكأنه لما راجعها قد أمسكها أن لا تفارقه فكأنه لم يفارقها لأن الإمساك هو الضن بالشيء وعدم التفريط فيه"[2]. فهذه بلاغة القرآن ودقته في اختيار الألفاظ المناسبة. فالأمر في قوله:(فأمسكوهن) أو(فارقوهن) للإباحة وهو أمر حقيقي . كما سبق أن الإباحة من معاني الأمر الحقيقي[3]. أما الأمر في قوله تعالى:(وأشْهِدوا ذوي عدل...) هو أمر ندب عند اختيار الرجعة أو الفرقة ، ونقل عن الشافعي أنه للوجوب في الرجعة . وأما الأمر في قوله تعالى:(وأقيموا الشهادة لله...) فهو أمر للشهود[4]. والأمر في كليهما حقيقي.

ومن الأمر الحقيقي في تفسير الألوسي قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔاۚ ﴾ {البقرة: ٢٨٢}. ورد الأمر هنا في خمسة مواضع هي:(فاكتبوه) و(ليكتب...) و(فليكتب) و(وليملل...) و(ليتق الله ربه) . فالأوامر هذه كلها حقيقية لأن منها الواجب ومنها المستحب . قال الألوسي:" فاكتبوه أي: الدين بأجله لأنه أرفق وأوثق والجمهور على استحبابه... وليكتب بينكم كاتب بالعدل:

---

[1] الألوسي : روح المعاني ١٤/ ٣٣٠ .
[2] ابن عاشور : التحرير والتنوير ٢٨ / ٣٠٨ .
[3] راجع البحث نفسه ص ٩٤ .
[4] بتصرف/ الألوسي : روح المعاني ١٤ / ٣٣٠ .

بيان لكيفية الكتابة المأمور بها وتعيين من يتولاها إثر الأمر بها إجمالاً... والمراد أمر المتداينين على طريق الكناية[*] بكتابة عدل فقيه ديِّن. حتى يكون ما يكتبه موثوقاً به متفقاً عليه بين أهل العلم"[1]. فالأول أمر للمتدائنين والثاني أيضاً أمر للمتدائنين ، ولكن الثاني بيان لكيفية الأول . وعن قوله تعالى:(فليكتب وليملل الذي...) ذكر الألوسي أن قوله: فليكتب أمر للكاتب ، ذُكِرَ بعد نهيه عن الامتناع عن الكتابة للتأكيد واعتناءً بشأن الكتابة. وليملل أمر للمدين. وكذلك وليتق الله ربه أمر للمدين. وجمع بين لفظ الجلالة وصفته للمبالغة في الحث على التقوى[2]. ويرى ابن عاشور أن الأمر في قوله:(وليتق الله) أمر للكاتب . قال:" فلو أخفى المدين شيئاً أو غبن لأنكر عليه رب الدين لأن الكتابة يحضرها كلاهما لقوله تعالى: وليكتب بينكم. ويحتمل أن يعود الضميران[*] إلى(كاتب) بقرينة أن هذا النهي أشد تعلقاً بالكاتب فإنه الذي قد يغفل عن بعض ما وقع إملاؤه عليه"[3].

وخلاصة ذلك أن الأمر الأول أمر بكتابة الدين ، والثاني أمر بكيفة اختيار الكاتب والثالث ، أمر للكاتب بعدم الامتناع عن الكتابة ، والرابع أمر بأن الإملاء يجب على الذي عليه الحق ، والخامس أمر للكاتب بأن يتقي الله فيما يملى عليه . وكل ذلك جاء بأسلوب بليغ وسياق عجيب .

---

[*] الأمر في ظاهره موجه إلى الكاتب وهو في الحقيقة موجه إلى المتدائنين ، وجاء بهذا الأسلوب مبالغة في الأمر .(انظر:ابن عاشور التحرير والتنوير ٣/ ١٠١).

[1] الألوسي : روح المعاني ٥٤/٢ .

[2] بتصرف / المصدر نفسه ٥٥/٢ .

[*] الضمير المستتر في قوله:(وليتق الله) وقوله :(ولا يبخس)

[3] ابن عاشور : التحرير والتنوير ١٠٤/٣ .

الأمر المجازي في تفسير الألوسي:

يجيء الأمر لغير المعاني الحقيقية المذكورة ويكون الغرض منه معنى بلاغياً آخر يعرف من سياق الآية . وأشهر هذه المعاني في تفسير الألوسي :

الدعاء: كثر هذا النوع في القرآن الكريم وينحصر في صياغين هما: (الأمر والنهي) ، وهو أكثر من أن يحصى في هذه الصفحات ، ولكن لنأخذ منه بقدر الحاجة . لم يسمِّ الألوسي الدعاء أمراً كما يسمي غيره من المعاني التي يدل عليها الأمر. ولعل ذلك لكونه موجهاً إلى الله سبحانه وتعالى. من ذلك قوله تعالى:﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ {البقرة: ١٢٧ – ١٢٨}. ورد الأمر الدعائي في هاتين الآيتين في أربعة مواضع هي: (ربنا تقبل منا) و(اجعلنا مسلمين لك) و(أرنا مناسكنا) و(تب علينا) . قال الألوسي:" والتقبُّل مجاز عن الإثابة والرضا لأن كل عمل يقبله الله تعالى فهو يثيب صاحبه ويرضاه منه، وفي سؤال الثواب على العمل دليل على أنَّ ترتبه عليه ليس واجباً، وإلا لم يطلب"[1]. يبدو من قول الألوسي أن قوله:(تقبَّلْ) بمعنى: أثبنا وارض عنا ، فاختار القرآن لفظ التقبل لأنه يترتب عليه المعنيان مع ما فيه من الإيجاز والبلاغة. ويفهم معنى الدعاء من بعض عباراته كقوله:(سؤال الثواب) وقوله:(إلا لم يطلب) . والسؤال والطلب من معاني

[1] الألوسي : روح المعاني ١/ ٣٨٣ .

الدعاء. أما الدعاء في قوله تعالى:(واجعلنا مسلمين لك) فهو دعاء بالانقياد والإخلاص لله فهو مجاز لأن ذلك حاصل لهما.قال الألوسي:" فالمراد طلب الزيادة فيهما أو الثبات عليهما"[1]. وقوله:(وأرنا مناسكنا) دعاء للمعرفة أي: علمنا وبصرنا كيفية عبادة الحج وشعائره . وقوله:(وتب علينا...) قال عنه:" إن كان الضمير شاملاً لهما وللذرية كان الدعاء بها منصرفاً لمن هو من أهلها ممن يصح صدور الذنب المخل بمرتبة النبوة منه ، وإن قيل: إن الطلب للذرية فقط وارتكب التجوز في النسبة إجراء للولد مجرى النفس بعلاقة البعضية ليكون أقرب إلى الإجابة، أو في الطرف حيث عبر عن الفرع باسم الأصل أو قيل: بحذف المضاف- أي على عصاتنا- زال الإشكال "[2] . وسياق الآيات التي تحوي هذه الأدعية توحي برباط وثيق بينها يربط السابق باللاحق. فقوله: (تقبل منا...) طلباً لقبول امتثال الأمر: طهرا بيتي ... وقوله:(واجعلنا مسلمين...) طلباً للثبات على الانقياد والامتثال . وقوله:(وأرنا مناسكنا) طلباً لمعرفة كيفية هذه العبادات .وقوله:(وتب علينا) طلباً للتوفيق للتوبة أو قبولها عند نقصانها أو السهو عنها. فهذا النسق من الأسلوب لا تجده إلا في القرآن المعجز ببلاغته.

ومن الأمر الدعائي في تفسير الألوسي قوله تعالى:﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ {الشعراء: ٨٣} . طلب نبي الله إبراهيم من ربه أن يؤتيه الحكمة أو الحكم وأن يلحقه بالصالحين ، وذلك حاصل . قال الألوسي:" وأجيب بمنع كونها حاصلة وقت

---

[1] الألوسي : روح المعاني ١ / ٣٨٣ .
[2] المصدر نفسه ١/ ٣٨٤ .

الدعاء سلمنا ذلك . إلا أنه لا محذور لجواز أن يكون المراد طلب كمالها ... وجوز أن يكون المراد طلب الثبات ... وألحقني بالصالحين: طلب كمال القوة العملية "[1]. فعلى هذا يكون الدعاء طلباً للزيادة والثبات . ووافقه على هذا ابن عاشور قال:" وقد كان إبراهيم حين دعا نبيًّاً فلذلك كان السؤال طلباً للازدياد لأن مراتب الكمال لا حد لها بأن يعطى الرسالة مع النبوءة أو يعطى شريعة مع الرسالة، أو سأل الدوام على ذلك"[2]. ولم يكتف الألوسي بذكر المعنى المجازي للدعاء بل تطرق لبلاغة التقديم والتأخير في هذا الدعاء قال:" وقدم الدعاء الأول على الثاني لأن القوة العلمية مقدمة على القوة العملية لأنه يمكن أن يعلم الحق وإن لم يعمل به"[3] .

الإرشاد: قل أن تخلو الأوامر القرآنية من هذا المعنى فمعظم الأوامر القرآنية هي إرشاد المأمورين إلى شيء فيه صلاحهم . ففي قوله تعالى:﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ {التوبة: ٥} . هذه الأوامر مع أنها للإباحة لكن تلمح فيها أن الله أرشدهم إلى كيفية قتال المشركين . قال أبو حيان:" وهذا تنبيه على أن المقصود إيصال الأذى إليهم بكل طريق، إما بطريق القتال، وإما بطريق الاغتيال"[4].

---

[1] الألوسي : روح المعاني ١٠ / ٩٦ .
[2] ابن عاشور : التحرير والتنوير ١٩ / ١٤٥ .
[3] الألوسي : روح المعاني ١٠ / ٩٦ .
[4] أبو حيان : البحر المحيط في التفسير ٥/ ٣٧٢ .

ومن الأمر الإرشادي في تفسير الألوسي قوله تعالى:﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ {الأعراف: ٢٠٤} . الأمر في قوله تعالى:(فاستمعوا له وأنصتوا) قال الألوسي:" فاستمعوا له وأنصتوا : إرشاد إلى طريق الفوز بما أشير إليه من المنافع الجليلة التي ينطوي عليها القرآن"[١]. ولم يقف عند هذا الحد بل تعداه ليوضح سبب عطف الأول على الثاني هو الاهتمام بأمر القرآن ومعنى ذلك: كأن الثاني تأكيد للأول . وتطرق إلى المعنى من حيث الحقيقة والمجاز ، قال:" وقال الزجاج: المراد منه[*] القبول والإجابة ، وهو بهذا المعنى مجاز كما نص عليه في الأساس[**]"[٢].

ومن الأمر الإرشادي قوله تعالى:﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴾ {يوسف: ٤٧}. الأمر في قوله:(فذروه...) ، قال الألوسي:" أي: اتركوا ذلك في السنبل إلا ما لا غنى عنه من القليل الذي تأكلونه في تلك السنين، وفيه إرشاد إلى التقليل في الأكل"[٣]. وأشار إلى ذلك ابن عاشور غير أنه لم يذكر لفظ الإرشاد ، قال:" وأشار إلى إبقاء ما فضل عن أقواتهم في سنبله ليكون أسلم له من إصابة السوس الذي يصيب الحب إذا تراكم بعضه على بعض فإذا كان في سنبله دفع عنه السوس، وأشار عليهم بتقليل ما يأكلون في سنوات الخصب لادخار ما فضل عن ذلك لزمن الشدة"[٤]. وقال أبو

---

[١] الألوسي : روح المعاني ١٤٠/٥ .
[*] الضمير يفسره الاستماع من قوله(فاستمعوا).
[**] يقصد أن هذا المعنى المجازي ذكره الزمخشري في كتابه : أساس البلاغة .
[٢] الألوسي : روح المعاني ١٤٣/٥ .
[٣] المصدر نفسه ٤٤٥/٦ .
[٤] ابن عاشور : التحرير والتنوير ٢٨٧/١٢ .

حيان:" وأما قوله: فذروه فهو أمر إشارة بما ينبغي أن يفعلوه"[١].

التعجيز: ورد الأمر التعجزي كثيراً في تفسير الألوسي من ذلك قوله تعالى:﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ {البقرة:٢٣} . الأمر في قوله:(فأتوا بسورة...) وقوله:(وادعوا شهداءكم...) .

أطنب الألوسي في الحديث عن بلاغة هذه الآية ، فذكر أن تنكير كلمة(ريب) للإشعار بضعفه ، والتضعيف في كلمة(نزَّلنا) للنقل[*] وهو المرادف للهمزة ، ثم قال وفي الآية التفات من ضمير الغائب إلى المتكلم وذلك تفخيماً للمنزل ، وجاء بـ(نا) المشعرة بتعظيم تام وتفخيم الأمر رفعة لشأنه (صلى الله عليه وسلم) ، (والأمر من باب التعجيز وإلقام الحجر).[٢] ثم وضَّح ذلك قائلاً:" ويمكن أن يقال إن المراد من الآية التحدي وتعجيز بلغاء العرب المرتابين فيه عن الإتيان بما يضاهيه، فمقتضى المقام أن يقال لهم: معاشر الفصحاء المرتابين في أن القرآن من عند الله ائتوا بمقدار أقصر سورة من كلام البشر محلاة بطراز الإعجاز ونظمه"[٣]. وقال عن الأمر الثاني في الآية نفسها:" والأمر للتعجيز والإرشاد أو ادعوا من دون الله من يقيم لكم الشهادة بأن ما أتيتم به مماثله فإنهم لا يشهدون ، ولا تدعوا الله تعالى للشهادة بأن تقولوا الله تعالى شاهد وعالم بأنه مثله فإن ذلك علامة العجز والانقطاع عن

---

[١] أبو حيان : البحر المحيط في التفسير ٦/ ٢٨٥ .

[*] يعني بذلك: نقل الفعل من اللزوم إلى التعدية ومثله همزة (أفعل) التي تجعل الفعل اللازم متعدياً. ومن معاني التضعيف التنجيم والتفريق ، وليس مقصوداً في الآية ، على حد قوله: أنها للتعدية فقط.

[٢] بتصرف/ الألوسي : روح المعاني ١/ ١٩٥-١٩٦ .

[٣] المصدر نفسه ١/ ١٩٧ .

إقامة البينة والأمر حينئذ للتبكيت"[1] . وليس ثمت تبكيت لأن الله سبحانه أعقب هذا الإعجاز بشرط قال:﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ﴾ {البقرة: ٢٤}. فهذه الآية إثبات لعجزهم .

ومن الأمر التعجيزي قوله تعالى:﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُواْ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴾ {الرحمن: ٣٣}. الأمر في قوله:(فانفذوا). قال الألوسي:" والأمر للتعجيز ، لا تنفذون لا تقدرون على النفوذ إلا بسلطان[*] أي: بقوة وقهر وأنتم عن ذلك بمعزل وألف ألف منزل"[2]. ويؤكد هذا القول ما قاله ابن عاشور:" وذَكَرَ السماوات والأرض لتحقيق إحاطة الجهات كلها تحقيقاً للتعجيز، أي: فهذه السماوات والأرض أمامكم فإن استطعتم فاخرجوا من جهة منها فراراً من موقفكم هذا، وذلك أن تعدد الأمكنة يسهل الهروب من إحدى جهاتها"[3].

التهديد: وذلك عند ما يقصد المتكلم أن يخوّف من هو دونه قدراً ومنزلة عاقبة القيام بفعل لا يرضى عنه المتكلم[4]. كثر هذا النوع في تفسير الألوسي لكثرة وروده في القرآن الكريم . من ذلك قوله تعالى:﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ {الإسراء: ٦٤}. وردت في هذه الآية أربع جمل للأمر التهديدي ، هي:(استفزز) و(أجلب) و(شاركهم) و(عدهم). قال

---

[1] الألوسي : روح المعاني ١/ ١٩٨ .
[*] معنى السطان عند المفسرين هو القوة والقهر والغلبة .(انظر: الكشاف ٤٤٩/٤ . والبحر المحيط ٦٤/١٠ . وتفسير البيضاوي ١٧٤/٥).
[2] الألوسي : روح المعاني ١٤ / ١١١ .
[3] ابن عاشور : التحرير والتنوير ٢٧ / ٢٥٩ .
[4] عبد العزيز عتيق: علم المعاني ، ص ٨٨.

الألوسي:" والمراد من الأمر التهديد وكذا من الأوامر الآتية، ويمنع من إرادة الحقيقة أن الله تعالى لا يأمر بالفحشاء"[١]. وتتبع الجوانب البلاغية الأخرى من خلال السياق . منها: أن الخيل هي الأفراس الحقيقية واستعملت هنا مجازاً عن الفرسان ومَثَّلَ لذلك بقوله صلى الله عليه وسلم:[يا خيل الله اركبي][٢] . ومنها: ليس للشيطان خيل ولا رجالة وإنما هما كناية عن الأعوان والأتباع من غير ملاحظة لكون بعضهم راكباً وبعضهم ماشياً... ومراده أن يكون في الكلام استعارة تمثيلية ولا يضر فيها اعتبار مجاز أو كناية في المفردات[٣].

ومن الأمر التهديدي في تفسير الألوسي قوله تعالى: ﴿لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ {النحل: ٥٥} . الأمر في قوله:(فتمتعوا) قال الألوسي:" فتمتعوا أمر تهديد كما هو أحد معاني الأمر المجازية عند الجمهور كما يقول السيد لعبده: افعل ما تريد، والالتفات إلى الخطاب للإيذان بتناهي السخط"[٤]. وقال القدومي:" وقع في الآية التفات من الغيبة (ليكفروا بما آتيناهم) إلى الخطاب (فتمتعوا فسوف تعلمون)؛ زيادة في التهديد؛ لأن أسلوب الخطاب أبلغ في التهديد"[٥]. وجوَّز الألوسي كون اللام في قوله:(ليكفروا) أن تكون للأمر والمقصود منه التهديد بتخليتهم وما هم فيه لخذلانهم . ثم ذكر أن حذف المفعول به في قوله: (فسوف

---

[١] الألوسي : روح المعاني ٨ / ١٠٥ .

[٢] السخاوي : شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي : المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة ، تحقيق: محمد عثمان الخشت ، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت ، ط١ ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م ، ص ٧٣٥ .

[٣] بتصرف/ الألوسي : روح المعاني ٨/ ١٠٦ .

[٤] الألوسي : روح المعاني ٧ / ٤٠٦ .

[٥] القدومي: سامي وديع عبد الفتاح شحادة ، التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني ، الناشر: دار الوضاح ، الأردن – عمان ، بدون ت ط ، ص ١١١ .

يعلمون) إشعاراً بأن ما يحل بهم من العذاب لا يوصف[1]. وما قاله الألوسي يوافق قول البيضاوي:" فتمتعوا أمر تهديد. فسوف تعلمون أغلظ وعيده، وقرئ فيمتعوا مبنياً للمفعول عطفاً على ليكفروا، وعلى هذا جاز أن تكون اللام لام الأمر الوارد للتهديد والفاء للجواب"[2].

التوبيخ: ويطلق عليه التقريع والتأنيب والتبكيت. ومنه في تفسير الألوسي قوله تعالى: ﴿ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ ﴾ {المرسلات: ٢٩ – ٣٠}. الأمر في قوله:(انطلقوا) قال الألوسي:" انْطَلِقُوا أي: يقال لهم يومئذ للتوبيخ والتقريع انْطَلِقُوا إلى ما كُنْتُم به تُكَذِّبُونَ في الدنيا من العذاب"[3]. ثم ذكر أن الانطلاق الأول بخلاف الانطلاق الثاني وليس تكراراً ، ويرى أن الثاني فيه استعارة تهكمية. ويرى ابن عاشور أنه تكرار لقصد التوكيد. قال:" وأعيد فعل انطلقوا على طريقة التكرير لقصد التوبيخ أو الإهانة والدفع، ولأجله أعيد فعل انطلقوا وحرف إلى. ومقتضى الظاهر أن يقال: انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون ظل ذي ثلاث شعب، فإعادة العامل في البدل للتأكيد في مقام التقريع"[4].

ومن الأمر التوبيخي قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ {البقرة: ٢٦٧} . الشاهد في قوله:(واعلموا ...). قال الألوسي:" وفي الأمر بأن

---

[1] بتصرف / الألوسي : روح المعاني ٧ / ٤٠٦ .
[2] البيضاوي : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢٣٠/٣ .
[3] الألوسي : روح المعاني ١٥ / ١٩٤ .
[4] ابن عاشور : ٢٩ / ٤٣٥ .

يعلموا ذلك مع ظهور علمهم به توبيخ لهم على ما يصنعون من إعطاء الخبيث وإيذان بأن ذلك من آثار الجهل بشأنه عز شأنه"[1].

ولعل الألوسي نقل هذا المعنى عن شيخه أبي السعود ، ولم يكن من المفسرين من قال بذلك. قال أبو السعود:" وفي الأمر بأن يعلموا ذلك مع ظهور علمهم به توبيخ لهم على مايصنعون من إعطاء الخبيث وإيذان بأنَّ ذلك من آثار الجهل بشأنه تعالى فإن إعطاء مثله إنما يكون عادة عند اعتقاد المعطي أن الآخذ محتاجٌ إلى ما يعطيه بل مضطر إليه"[2].

هذه أشهر المعاني التي تكرر ذكرها في تفسير الألوسي اقتطفت منها بعض الأمثلة التي توضح لنا كيفية معالجة الألوسي للأمر المجازي ، مع أن هنالك بعض المعاني التي يقل ورودها ، أولم يذكر لها معنى بعينه . منها قوله تعالى:﴿ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴾ {طه: ٧٢}. الأمر في قوله:(فاقض ما أنت قاض) قال عنه الألوسي:" فَاقْضِ ما أَنْتَ قاضٍ جواب عن تهديده بقوله: لأقطعن إلخ أي: فاصنع ما أنت بصدد صنعه أو فاحكم بما أنت بصدد الحكم به ... وعلى الوجهين ليس المراد من الأمر حقيقته"[3].

ومنها معنى التفويض لم يذكر في التفسير إلا في موضع واحد هو قوله تعالى:﴿ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

---

[1] الألوسي: روح المعاني ٢/ ٣٩ .
[2] أبو السعود : إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٢٦١/١.
[3] الألوسي : روح المعاني ٨/ ٥٤٣ .

{النور: ٦٢} . شاهدنا في قوله:(فأذن لمن شئت) قال عنه الألوسي:"فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ تفويض للأمر إلى رأيه صلّى الله عليه وسلّم"[١].

أما معنى الاستهانة والاستهزاء فأكثر ما ورد مع الاستفهام أما عن طريق الأمر فوروده قليل. من ذلك قوله تعالى:﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَاۖ فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ {المائدة: ٢٤}. الأمر في قوله:(فاذهب أنت ...) قال عنه الألوسي:" وقالوا ذلك استهانة واستهزاء به سبحانه وبرسوله عليه الصلاة والسلام وعدم مبالاة، وقصدوا ذهابهما حقيقة كما ينبئ عنه غاية جهلهم وقسوة قلوبهم"[٢].

ومما سبق يلاحظ أن الجملة الطلبية عند الألوسي هي كغيرها من الجمل يفسرها حسب السياق العام للآية ، فإن كان المقام للإعجاز والبلاغة بسط القول فيهما ، وأتى بأقوال البلاغيين . وإن كانت الآية لحد أو حكم أتى بأقوال الأصوليين والفقهاء وقد يضيف إلى ذلك أقوال النحويين واللغويين . وعلة ذلك أنه يبحث عن روح المعنى في الآية .

---

[١] الألوسي : روح المعاني ٩/ ٤١٣ .
[٢] المصدر نفسه ٣/ ٢٧٨ .

المبحث الثالث

جملة النهي في تفسير الألوسي

سبق تعريف النهي أنه ضد الأمر وهو قول الأعلى لمن دونه مرتبة (لا تفعل) طلباً للكف عن الفعل. فإذا كان كذلك فهل يصح أن يقال: إن الأمر ضد النهي؟ وهل يستوجب كل منهما الآخر؟ . لا شك أن لكل منهما علاقة بالآخر ، إذا كانا حقيقيين. قال الألوسي عن قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ ﴾ {النحل: ٩٠} . قد قوبل في الآية الأمر بالنهي ، وكل من المأمور به بكل من المنهي عنه ، وجمع بين الأمر والنهي مع أن الأمر بالشيء نهي عن ضده ، والنهي عن الشيء أمر بضده لمزيد الاهتمام والاعتناء [1] . على قول الألوسي: إن كل منهما يستوجب الآخر ، واجتماعهما في سياق واحد يكون لغرض بلاغي ليس إلَّا. وهذا ما يتبادر إلى الذهن لقوله تعالى:﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ {الإسراء: ٢٣}. فقوله قضى بمعنى أمر لما أورده أبو حيان:" وقضى هنا قال ابن عباس والحسن وقتادة بمعنى أمر"[2]. فيصبح المعنى: وأمر ربك ألا تعبدوا إلا إياه . وللألوسي تأويلات كثيرة على ذلك منها: عن قوله تعالى:﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾ {الأنفال: ٤٧}.

---

[1] الألوسي : روح المعاني ٧ / ٤٥٥ .
[2] أبو حيان : البحر المحيط في التفسير ٧/ ٣٣ .

قال:" نهى المؤمنين أن يكونوا أمثالهم في البطر والرياء وأمرهم بأن يكونوا أهل تقوى وإخلاص إذا قلنا: إن النهي عن الشيء أمر بضده"[1].

ومنها قوله تعالى:﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَۖ ﴾ {البقرة: ٢٢٢}. اجتمع في الآية الأمر(فاعتزلوا النساء) ، والنهي(ولا تقربوهن) . قال الألوسي:" وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ: تقرير للحكم السابق لأن الأمر بالاعتزال يلزمه النهي عن القربان وبالعكس فيكون كل منهما مقرراً وإن تغايرا بالمفهوم فلذا عطف أحدهما على الآخر"[2].

النهي الحقيقي في تفسير الألوسي:

يتعدد هذا النوع من الطلب في القرآن بتعدد الأحكام الواردة بتحريم حدوث الفعل . ومنه في تفسير الألوسي قوله تعالى:﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ {البقرة: ١٨٨}. وقوله تعالى:﴿ وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌۗ ﴾ {الأنعام: ١٢١}. النهي في الآيتين هو قوله:(ولا تأكلوا...) وهو نهي حيقيقي . ولكن الأول نهي عن الأخذ ، والثاني نهي عن الأكل حقيقة . قال الألوسي عن الآية الأولى:"والمراد من- الأكل- ما يعم الأخذ والاستيلاء، وعبر به لأنه أهم

---

[1] الألوسي : روح المعاني ١٥/ ٢١١ .
[2] المصدر نفسه ١/ ٥١٥ .

الحوائج ، وبه يحصل إتلاف المال –غالباً– والمعنى لا يأكل بعضكم مال بعض... وَتُدْلُوا بِها إِلَى الْحُكَّامِ عطف على تأكلوا فهو منهي عنه مثله مجزوم بما جزم به وجوز نصبه بأن مضمرة ومثل هذا التركيب وإن كان للنهي عن الجمع إلا أنه لا ينافي أن يكون كل من الأمرين منهياً عنه"[1]. وقال عن الآية الثانية:" النهي عن الأكل مقيداً بكون ما لم يذكر اسم الله تعالى عليه قد أهل به لغير الله تعالى فيحل ما ليس كذلك إما بطريق مفهوم المخالفة وإما بحكم الأصل، وإما بالعمومات الواردة في حل الأطعمة"[2]. ولم يقل الألوسي أن النهي حقيقي لوضوحه . قال البيضاوي:" ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ظاهر في تحريم متروك التسمية عمداً أو نسياناً"[3].

ومن النهي الحقيقي عند الألوسي قوله تعالى:﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ {الأنعام: ١٥١}. وردت في هذه الآية أربع جمل للنهي وهي:(لا تشركوا به شيئاً) و(لا تقتلوا أولادكم) و(لا تقربوا الفواحش) و(لا تقتلوا النفس التي حرم الله) . فالنهي في الجمل كلها عند الألوسي هو نهي حقيقي بدليل قوله:" ذلِكُمْ أي: ما ذكر من التكاليف

---

[1] الألوسي : روح المعاني ١/ ٤٦٦ .
[2] المصدر نفسه ٤/ ٢٦١ .
[3] البيضاوي : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢/ ١٨٠ .

الخمسة الجليلة الشأن من بين التكاليف الشرعية وَصَّاكُمْ بِهِ أي طلبه منكم طلباً مؤكداً"[1].

وللألوسي مع هذه النواهي نظرات بلاغية أخرى ، منها قوله:(وبدأ سبحانه بأمر الشرك لأنه أعظم المحرمات وأكبر الكبائر) فهي نظرة لبلاغة التقديم والتأخير ، ومنها ملاحظته للسياق في قوله تعالى:﴿ مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ مقابل قوله تعالى:﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ {الإسراء: ٣١}. قال: المخاطب بقوله سبحانه: مِنْ إِمْلاقٍ من ابتلى بالفقر وبقوله تعالى: خَشْيَةَ إِمْلاقٍ من لا فقر له ولكن يَخشى وقوعه في المستقبل، ولهذا قدم رزقهم هاهنا في قوله عز وجل (نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ) وقدم رزق أولادهم في مقام الخشية فقيل: (نحن نرزقهم وإياكم) . ويرى أن جملة (نحن نرزقكم...) تعليل للنهي وإبطال ما اتخذوه سبباً لمباشرة المنهي عنه .

ومنها قوله:(الفواحش هي الزنا. واستخدم الجمع إما للمبالغة باعتبار تعدد ما يصدر منه ، وإما للقصد إلى النهي عن الأنواع) . ومنها: النهي عن القرب إما للمبالغة في الزجر عنها لقوة الدواعي إليها، وإما لأن قربانها داع إلى مباشرتها.[2]

ومن النهي الحقيقي عند الألوسي قوله تعالى:﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ {الإسراء: ٢٣}. ورد النهي في قوله:(ألا تعبدوا إلا إياه) وقوله:(فلا تقل لهما أف) وقوله:(

---

[1] الألوسي : روح المعاني ٤/ ٢٩٨ .

[2] بتصرف/ المصدر نفسه ٤/٢٩٧-٢٩٨ .

ولا تنهرهما) والنهي عند الألوسي في كلها حقيقي لقوله:" أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ أي: بأن لا تعبدوا إلا إياه على أن(أن) مصدرية والجار قبلها مقدر ولا نافية والمراد النهي، ويجوز أن تكون ناهية كما مرَّ[*]... وتوحيد ضمير الخطاب في (عِنْدَكَ) وفيما بعده مع أن ما صرح به فيما سبق على الجمع للاحتراز عن التباس المراد وهو نهي كل أحد عن تأفيف والديه ونهرهما فإنه لو قوبل الجمع بالجمع أو التثنية بالتثنية لم يحصل ذلك"[١]. ثم وضح الألوسي ما في الجمل من بلاغة . منها قوله:" ومعنى (عِنْدَكَ) في كنفك وكفالتك، وتقديمه على المفعول مع أن حقه التأخير عنه للتشويق إلى وروده فإنه مدار تضاعف الرعاية والإحسان، و(أَحَدُهُما) فاعل للفعل، وتأخيره عن الظرف والمفعول لئلا يطول الكلام به وبما عطف عليه وكِلاهُما معطوف عليه"[٢].

ومنها قوله:" إنه وَحَّدَ الخطاب[**] في لا تَجْعَلْ للمبالغة وجمع في أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ لأنه أوفق لتعظيم أمر القضاء"[٣]. وقريب من ذلك قول ابن عاشور:" وجيء بخطاب الجماعة في قوله: ألا تعبدوا إلا إياه لأن النهي يتعلق بجميع الناس وهو تعريض بالمشركين"[٤].

ومن النهي الحقيقي عند الألوسي قوله تعالى:﴿ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ﴾ {الضحى: ٩- ١٠}. النهي في قوله:(فلا تقهر)وقوله:(فلا تنهر). قال الألوسي:" وهو نهي ما

---

[*] يقصد أنه سبق الحديث عن جواز دخول أن المصدرية على لا الناهية في قوله:(وقد علمت أنَّ الحقَّ أنَّ (أَنِ) المصدرية توصل بالأمر والنهي كما توصل بغيرهما. انظر: روح المعاني ٢٩٤/٦).

[١] الألوسي : روح المعاني ٨/ ٥٣-٥٤ .

[٢] المصدر نفسه ٨/ ٥٤ .

[**] ضمير المخاطب في قوله تعالى:﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ {الإسراء: ٣٩}.

[٣] الألوسي : روح المعاني ٥٥/٨ .

[٤] ابن عاشور : التحرير والتنوير ٦٧/١٥ .

سمعت من معناه من باب الأولى وأيّاً ما كان ففي الآية دلالة على الاعتناء بشأن اليتيم"[1].

واضح من قوله أنه نهي حقيقي. ويؤكد هذا ما قاله القرطبي:" وأما السائل فلا تنهر أي: لا تزجره ، فهو نهي عن إغلاظ القول"[2]. ويلمح من قول الألوسي–الاعتناء بشأن اليتيم– : أن هناك معنى آخر ، وكأنه يقول: في الآية حث وحض على الاهتمام بالأيتام . ويبدو ذلك من تقديم المفعول به . قال ابن عاشور:" واليتيم مفعول لفعل فلا تقهر وقدم للاهتمام بشأنه ولهذا القصد لم يؤت به مرفوعاً... وكذلك القول في تقديم السائل"[3].

وهكذا يبدو الحس البلاغي لدى الألوسي عالياً جداً ، فهو حين يعالج النهي الحقيقي لا يغفل عن الجوانب البلاغية الأخرى . كبلاغة التقديم والتأخير للاهتمام أوالتشويق. واستخدام ضمير الجمع بدل ضمير المفرد أو العكس للمبالغة . واستخدام المفردات حسب مقام السياق كما في قوله:(من إملاق) مقابل قوله:(خشية إملاق).

النهي المجازي في تفسير الألوسي:

النهي كغيره من أنواع الطلب يخرج عن معناه الحقيقي إلى آخر مجازي لغرض بلاغي يستدعيه السياق ، ومما جاء منه في تفسير الألوسي ما يأتي:

الدعاء: من الدعاء عند الألوسي قوله تعالى:﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا

---

[1] الألوسي : روح المعاني ١٥ / ٣٨٣ .
[2] القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ١٠١ .
[3] ابن عاشور : التحرير والتنوير ٣٠ / ٤٠١ .

كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾ {البقرة: ٢٨٦} .

وردت جملة النهي الدعائي في ثلاثة مواضع من هذه الآية هي:(لا تؤاخذنا) و(لا تحمل علينا) و(لا تحمِّلنا) . قال عنها الألوسي:" شروع في حكاية بقية دعواتهم إثر بيان سر التكليف، وقيل: استيفاء لحكاية الأقوال، وفي البحر(*)– وهو المروي عن الحسن– أن ذلك على تقدير الأمر أي: قولوا في دعائكم ذلك فهو تعليم منه تعالى لعباده كيفية الدعاء والطلب منه وهذا من غاية الكرم ونهاية الإحسان يعلمهم الطلب ليعطيهم ويرشدهم للسؤال ليثيبهم"(١). وأيَّاً ما كان من التقادير فالنهي في هذه الجمل الغرض منه الدعاء والابتهال. وكعادته تحدث عن الجوانب البلاغية الأخرى منها قوله:" والتعبير عن إنزال ذلك بالتحميل مجاز باعتبار ما يؤدي إليه، وجوز أن يكون طلباً لما هو أعم من الأول لتخصيصه بالتشبيه إلا أنه صور فيه الإصر بصورة ما لا يستطاع مبالغة"(٢). وتابعه على ذلك ابن عاشور بقوله:" والحمل مجاز في التكليف بأمر شديد يثقل على النفس، وهو مناسب لاستعارة الإصر. وأصل معنى الإصر ما يؤصر به أي يربط، وتعقد به الأشياء"(٣).

ومن النهي الدعائي قوله تعالى:﴿ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ {يونس: ٨٥}. النهي الدعائي في قوله:(لا تجعلنا فتنة...) صرح الألوسي بأنه دعاء في قوله:" وفي تقديم التوكل على الدعاء –وإن كان بيانا لامتثال أمر موسى عليه السلام لهم به

(*) هو البحر المحيط في التفسير . لأبي حيان الأندلسي
(١) الألوسي : روح المعاني ٦٧/٢ .
(٢) المصدر نفسه ٦٧/٢ .
(٣) ابن عاشور : التحرير والتنوير ١٤٠/٣ .

– تلويح بأن الداعي حقه أن يبني دعاءه على التوكل على الله تعالى فإنه أرجى للإجابة"[١].

وفسر قوله: لا تجعلنا فتنة بالمجاز وإن لم يصرح به ، قال:" أي: موضع فتنة وعذاب لهم بأن تسلطهم علينا"[٢]. فذكر الفتنة وهي الحالُّ وأراد المحل على سبيل المجاز المرسل.

الإرشاد: ويطلق عليه الوعظ والنصح . ومن ذلك في تفسير الألوسي قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ {لقمان: ١٣}. النهي في قوله:(لا تشرك بالله). قال الألوسي:" لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ قيل: كان ابنه كافراً ولذا نهاه عن الشرك فلم يزل يعظه حتى أسلم... وقيل: كان مسلماً والنهي عن الشرك تحذير له عن صدوره منه في المستقبل"[٣]. وأياً ما كان فالنهي للإرشاد والوعظ . ويتضح ذلك في قول الرازي:" وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه إشارة إلى التكميل، وفي هذا لطيفة وهي أن الله ذكر لقمان وشكر سعيه حيث أرشد ابنه ليعلم منه فضيلة النبي عليه السلام الذي أرشد الأجانب والأقارب فإن إرشاد الولد أمر معتاد"[٤].

ومن النهي الإرشادي قوله تعالى:﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾ {ص: ٢٦}. النهي في قوله:(ولا تتبع الهوى). قال الألوسي:" وفيه أنَّ اتباع الهوى وحكمه بغير ما شرع الله تعالى له غير مناسب لمقامه لا

---

[١] الالوسي : روح المعاني ١٦٠/٦ .
[٢] المصدر نفسه ١٥٩/٦ .
[٣] المصدر نفسه ١١ / ٨٤ .
[٤] الرازي : مفاتيح الغيب ٢٥ / ١١٩ .

سيما وقد أخبر الله تعالى –قبل الإخبار بمسألة المتحاكمين– أنه آتاه الحكم وفصل الخطاب. فليس هذا إلا إرشاداً لما يقتضيه منصب الخلافة وتنبيهاً لمن هو دونه عليه السلام"[1].

التسلية: هي نهي المخاطب عن شيء يجعله مهموماً . ولا يصح النهي عمَّا هو خارج عن الإرادة ، فورود هذا النوع من النهي في القرآن لأجل التسلية . ومن ذلك في تفسير الألوسي قوله تعالى:﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ {التوبة: ٤٠}. النهي في قوله:(لا تحزن...) . قال الألوسي:" وفيها النص على صحبته[*] رضي الله تعالى عنه لرسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) ولم يثبت ذلك لأحد من أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام سواه... مع ما تضمنته من تسلية النبي عليه الصلاة والسلام له بقوله: لا تَحْزَنْ وتعليل ذلك بمعية الله سبحانه الخاصة المفادة بقوله: إِنَّ اللَّهَ مَعَنا ولم يثبت مثل ذلك في غيره"[2] . وقال عن النهي نفسه في موضع آخر:" وأنَّ لا تَحْزَنْ ليس المقصود منه حقيقة النهي عن الحزن فإنه من الأمور التي لا تدخل تحت التكليف بل المقصود منه التسلية للصدِّيق رضي الله تعالى عنه أو نحوها"[3]. ومثل ذلك قوله تعالى:﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ {طه: ٤٦}. النهي في قوله: (لا تخافا) قال الألوسي:" إِنَّنِي مَعَكُما: تعليل لموجب النهي ومزيد تسلية

---

[1] الألوسي : روح المعاني ١٧٩/١٢ .
[*] يعني أبا بكر الصديق رضي الله عنه.
[2] الألوسي : روح المعاني ٢٩١/٥ .
[3] المصدر نفسه ٢٩٢/٥ .

لهما، والمراد بمعيته سبحانه كمال الحفظ والنصرة"[1].

ومنه قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ ﴾ {المائدة: ٤١}. النهي في قوله:(لا يحزنك...) . قال عنه الألوسي:" وهذا وإن كان بحسب الظاهر نهياً للكفرة عن أن يحزنوه (صلّى الله عليه وسلّم) بمسارعتهم في الكفر ، لكنه في الحقيقة نهي له عليه الصلاة والسلام عن التأثر من ذلك والمبالاة، والغرض منه مجرد التسلية على أبلغ وجه وآكده، فإن النهي عن أسباب الشيء ومبادئه المؤدية إليه نهي عنه بالطريق البرهاني وقطع له من أصله"[2]. وهذا النوع من الأسلوب – لايحزنك– قال عنه ابن عاشور: هو كناية عن نهي المخاطب ، ومثّل له بقولهم:(لا أرينك تفعل كذا) [3].

التوبيخ: ورد التوبيخ عن طريق النهي في عدة مواضع في تفسير الألوسي ، منها قوله تعالى:﴿ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴾ {البقرة: ٤١}. النهي في قوله:(ولا تكونوا ...) وقوله:(ولا تشتروا...) . لم يقف الألوسي كثيراً مع الجملة الأولى(ولا تكونوا) مع أنه فصَّل القول في بلاغة الجملة الثانية قال:" وَلا تَشْتَرُوا بِآياتِي ثَمَناً قَلِيلًا الاشتراء مجاز عن الاستبدال لاختصاصه بالأعيان إما باستعمال المقيد في المطلق– كالمرسن في الأنف– وإما تشبيه الاستبدال المذكور في كونه

---

[1] الألوسي : روح المعاني ٥١١/٨ .
[2] المصدر نفسه ٣/ ٣٠٥ .
[3] بتصرف / ابن عاشور : التحرير والتنوير ٢٢١/١١ .

مرغوباً فيه بالاشتراء الحقيقي... والتعبير عن ذلك- بالثمن- مع كونه مشتري لا مشترى به للدلالة على كونه كالثمن في الاسترذال والامتهان، ففيه تقريع وتجهيل قوي"[١].

أما قوله:(ولا تكونوا) يرى أبو السعود أنه تعريض، قال:" ونهيُهم عن التقدم في الكفر به مع أن مشركي العربِ أقدمُ منهم لما أنَّ المرادَ به التعريضُ لا الدلالةُ على ما نطق به الظاهر كقولك أما أنا فلستُ بجاهل"[٢]. وتعمق ابن عاشور في تأويلها قائلاً:" والمقصود من النهي توبيخهم على تأخرهم في اتباع دعوة الإسلام فيكون هذا المركب قد كني به عن معنيين من ملزوماته، هما معنى المبادرة إلى الإسلام ومعنى التوبيخ المكنى عنه بالنهي"[٣] .

ولعل الألوسي يرى أن النهي لم يخرج عن كونه حقيقياً ، وذكر ما يشير إلى ذلك. قال:" وقد كنتم من قبل تقولون إنا نكون أول من يتبعه فلا تضعوا موضع ما يتوقع فيكم، ويجب منكم ما يبعد صدوره عنكم ويحرم عليكم من كونكم أول كافر به"[٤].

الاستهزاء: ويطلق عليه التهكم والسخرية ، ورد هذا النوع عن طريق النهي كثيراً ،

ومنه في تفسير الألوسي قوله تعالى:﴿ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴾ {الأنبياء: ١٣}. النهي في قوله:(لا تركضوا) قال عنه الألوسي:" أي قيل لهم ذلك، والقائل يحتمل أن يكون ملائكة العذاب أو من كان ثمة من المؤمنين قالوا على سبيل الهزء

---

[١] الألوسي : روح المعاني ٢٤٧/١ .
[٢] أبو السعود : إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ١/ ٩٦ .
[٣] ابن عاشور : التحرير والتنوير ٤٦٠/١ .
[٤] الألوسي : روح المعاني ٢٤٦/١ .

بهم، وقال ابن عطية: يحتمل على الرواية السالفة أن يكون القائل من جيش بُخْتُنَصَّر[*] وأراد بذلك خدعهم والاستهزاء بهم"[1]. ويؤكد هذا المعنى ما قاله البيضاوي:" لا تركضوا على إرادة القول أي: قيل لهم استهزاء لا تركضوا إما بلسان الحال أو المقال، والقائل ملك أو مَنْ ثَمَّ من المؤمنين"[2]. ثم تطرق الألوسي إلى المعنى البلاغي في لفظ الركض قال:" والركض هنا كناية عن الهرب ، أي: فإذا هم يهربون مسرعين راكضين دوابهم . وجوَّز أن يكون المعنى مشبهين بمن يركض الدواب على أن هناك استعارة تبعية ولا مانع من حمل الكلام على حقيقته"[3].

ومن النهي الاستهزائي قوله تعالى:﴿ أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ {النحل: ١}. النهي في قوله:(فلا تستعجلوه) قال الألوسي:"والخطاب للكفرة خاصة ويدل عليه قراءة ابن جبير (فلا يستعجلوه) على صيغة نهي الغائب، واستعجالهم وإن كان بطريق الاستهزاء لكنه حمل على الحقيقة ونهوا بضرب من التهكم"(٤) .

التهييج: هو تحريك القلب وإثارته لترك فعل أو الثبات عليه . ورد هذا المعنى عن طريق النهي في تفسير الألوسي من ذلك قوله تعالى:﴿ وَأَنۡ أَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٥ وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ {يونس:

(*)بختنصر بن نبوزراذان بن سنحاريب يرجع نسبه إلى كوش بن حام بن نوح .وهو ملك من ملوك بابل سار إلى بيت المقدس وانتصر على ملك بني إسرائيل وسبى أكثر أهلها إلى بابل (انظر: تاريخ الطبري ٥٤٢/١ . والكامل في التاريخ ٢٢٩/١).

[1] الألوسي : روح المعاني ١٦/٩ .

[2] البيضاوي : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٤٧/٤ .

[3] الألوسي : روح المعاني ١٦/٩ .

[4] المصدر نفسه ٣٣٥/٧ .

١٠٥ – ١٠٦}. النهي في قوله:(ولا تكونن ...) وقوله:(ولا تدع ...) . قال الألوسي:" وهذا وما قبله للتهييج والإلهاب وقطع أطماع المشركين عن مساعدته –عليه الصلاة والسلام– إياهم وإظهار أنَّ المنهي عنه في القبح والشَّرِّية بحيث ينهى عنه من لا يتصور وقوعه منه أصلاً، وروى محيي السنة[*] عن ابن عباس –رضي الله تعالى عنهما– أنه قال: الخطاب في الظاهر للنبي (صلّى الله تعالى عليه وسلم)، والمراد به أهل دينه"[١]. ثم وضح الألوسي أن جملة النهي(ولا تكوننَّ ...) معطوفة على الأمر في قوله: (أن أقم وجهك...) والغرض من ذلك تأكيد البراءة من الشرك اعتقاداً وعملاً[٢] . وجاراه على ذلك ابن عاشور غير أنه زاد على ذلك أنَّ دخول نون التوكيد على الفعل المضارع المنهي عنه للمبالغة في النهي واعتناءً بالبراءة من الشرك[٣].

ومن نهي التهييج عند الألوسي قوله تعالى:﴿ وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ﴾{القلم: ١٠}.

قال عنه:" وهذا النهي للتهييج والإلهاب أيضاً أي: دم على ما أنت عليه من عدم طاعة كل حلاف مَهِينٍ حقير الرأي والتدبير"[٤].

وخلاصة ذلك أن معاني النهي المجازية التي ذكرت هي أكثر المعاني وروداً في التفسير ، وهي أكثر من أن تحصى في هذا المبحث. وسار فيها الألوسي على النهج الذي اتبعه مع

---

[*] هو الإمام الحافظ ، محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفرَّاء البغوي الشافعي المتوفي عام ٥١٠هـ ، صاحب التفسير المسمى :(معالم التنزيل في تفسير القرآن. (انظر: ترجمته في مقدمة تفسيره ، تحقيق: محمد عبدالله نمر وآخرون ، الناشر:دار طيبة للتوزيع والنشر ، ط٤ ، ١٤/١).

[١] الألوسي : روح المعاني ٣٣٥/١٠ .

[٢] المصدر نفسه ٦/ ١٨٦ .

[٣] بتصرف/ ابن عاشور : التحرير والتنوير ٣٠٤/١١ .

[٤] الألوسي : روح المعاني ٣١/١٥ .

غيرها من المعاني. يذكر المعنى المجازي للنهي ثم يعرِّج على الألوان البلاغية الأخرى .

بعض المعاني المجازية للنهي لم ترد في تفسير الألوسي منها: الالتماس كقوله تعالى:﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ ﴾ {طه: ٩٤}. ففي الآية التماس واضح سبقت الإشارة إليه[1]، بينما الألوسي يقف عند معانيها اللغوية شارحاً مفرداتها . ولعل المعنى الذي يطلبه توصل إليه ولم يحتج إلى بلاغة النهي.

ومن معاني النهي المجازية التي لم تذكر: التمني: وهو نهي لغير العاقل فهذا النهي لم يرد لعدم وروده في القرآن. مع كثرة وروده في الشعر كقول الخنساء:

أعينيَّ جودا ولا تجمدا ألا تبكيان لصخر الندى

[1] انظر: البحث نفسه ص ١٠٦ .

المبحث الرابع

جملة النداء في تفسير الألوسي

فصَّل الألوسي القول في النداء القرآني بجانبيه– نداء القريب ونداء البعيد– تناول فيه معاني حذف الياء وذكرها ، والأغراض البلاغية التي يخرج إليها. وسيتضح هذا من خلال وقوفنا على بعض أقواله وتحليله للآيات التي ورد فيها النداء الحقيقي والمجازي.

النداء الحقيقي في تفسير الألوسي:

يكون النداء حقيقياً إذا قُصِدَ منه طلب الإقبال أو التنبيه ، وغالباً ما يأتي بعده أمر أو نهي أو استفهام . ومن ذلك في تفسير الألوسي قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ {البقرة: ٢١}. النداء في قوله:(يا أيها الناس...) . قال الألوسي:" أقبل عز شأنه عليهم بالخطاب على نهج الالتفات[*] هزَّاً لهم إلى الإصغاء وتوجيهاً لقلوبهم نحو التلقي وجبراً لما في العبادة من الكلفة بلذيذ المخاطبة"[1]. وهذه ملاحظة دقيقة تبين رُقِي الحس البلاغي لدى الألوسي. ثم واصل حديثه ليبين الغرض من ذكر الحرف (يا) وهي لنداء البعيد ، واستخدمت هنا للقريب . لم يحدد معنى بعينه بل ذكر عدة معان ،

---

[*] الانتقال من ضمير الغائب إلى ضمير الحاضر ، وهو ربط للنداء بالآية السابقة. قوله:﴿ يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ {البقرة: ٢٠}.

[1] الألوسي : روح المعاني ١٨٤/١ .

وترك الاختيار للقارئ . قال:" و(يا) حرفٌ لا (اسم فعل) على الصحيح. وضع لنداء البعيد، وقيل: لمطلق النداء أو مشتركة بين أقسامه، وعلى الأول ينادَى بها القريب لتنزيله منزلة غيره إما لعلو مرتبة المنادِي أو المنادَى، وقد ينزل غفلة السامع وسوء فهمه منزلة بعده، وقد يكون ذلك للاعتناء بأمر المدعو له والحث عليه لأن نداء البعيد وتكليفه الحضور لأمر يقتضي الاعتناء والحث، فاستعمل في لازم معناه على أنه مجاز مرسل أو استعارة تبعية في الحرف أو مكنية وتخييلية"[1]. فهذه المعاني جميعها تصلح لهذا النداء الرباني . فقد يكون لعلو شأنه–جل وعلا– وقد يكون لغفلة الناس عن العبادة ، أو الاعتناء بأمر العبادة وغيرها. ثم علل الألوسي لكثرة ورود النداء بهذه الصيغة في القرآن الكريم. قال:" وكثر النداء في الكتاب المجيد على هذه الطريقة لما فيها من التأكيد الذي كثيراً ما يقتضيه المقام بتكرر الذكر والإيضاح بعد الإبهام والتأكيد بحرف التنبيه واجتماع التعريفين"[2] .

ومن النداء الحقيقي عند الألوسي قوله تعالى:﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ {البقرة: ٣٥}. النداء في قوله:(يا آدم اسكن...) . قال الألوسي:" وتصدير الكلام بالنداء لتنبيه المأمور لما يلقى إليه من الأمر ، وتحريكه لما يخاطب به إذ هو من الأمور التي ينبغي أن يتوجه إليها"[3]. ولم يقل الألوسي أن النداء حقيقي ، لكن حين قال:(لتنبيه المأمور) دل ذلك على حقيقته . فالتنبيه من معاني

---

[1] الألوسي : روح المعاني ١٨٤/١ .
[2] المصدر نفسه ١٨٤/١ .
[3] المصدر نفسه ١/ ٢٣٤ .

النداء الحقيقية.

يرى ابن عاشور أن النداء لغرض الإكرام والتنويه بذكر آدم. قال:" ونداء آدم قبل تخويله سكنى الجنة نداء تنويه بذكر اسمه بين الملأ الأعلى، لأن نداءه يسترعي إسماع أهل الملأ الأعلى فيتطلعون لما سيخاطب به"[1] . فكلام ابن عاشور هذا لا يُخرج النداء عن حقيقته فقد يصاحب المعنى الحقيقي معنى آخر مجازي . وما يؤكد حقيقته ورود الأمر بعده . فهو إذاً للتنبيه أولاً ثم للإكرام والتنويه لقدره.

ومن النداء الحقيقي في تفسير الألوسي قوله تعالى:﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾ {البقرة: ٤٠}. النداء في قوله:(يا بني إسرائيل...) . قال الألوسي:" وأقبل عليهم بالنداء ليحركهم لسماع ما يرد من الأوامر والنواهي"[2]. والنداء حقيقي لورود هذه الأوامر بعده ، ويستشف من قوله:(ليحركهم) معنى التنبيه . ثم علل الألوسي إضافة بني إلى إسرائيل قال :" وأضاف سبحانه هؤلاء المخاطبين إلى هذا اللقب– تأكيداً لتحريكهم إلى طاعته– فإن في إِسْرائِيلَ ما ليس في اسمه الكريم– يعقوب– وقولك: يا ابن الصالح أطع الله تعالى ، أحث للمأمور من قولك: يا ابن زيد". فكلام الألوسي تعليل لإضافة (بني) إلى إسرائيل من غير إضافتها إلى يعقوب فيه ترغيب لهم وحث على ذكر النعمة والعبادة.

---

[1] ابن عاشور : التحرير والتنوير ١/ ٤٢٨ .
[2] الألوسي : روح المعاني ١/ ٢٤٣ .

ومن النداء الحقيقي عند الالوسي قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ﴾ {آل عمران: ٧٠}. النداء في قوله:(يا أهل الكتاب...) . قال عنه الألوسي:" خاطبهم بعنوان أهلية الكتاب الموجبة للإيمان به وبما يصدقه مبالغة في تقبيح حالهم في تكذيبهم بذلك"[١]. ولم يزد الألوسي على ذلك ولعل كلامه يشير إلى أن المنادى المضاف يأخذ من المضاف إليه معنى آخر إما للمدح وإما الذم . ومنه قول الصحابة رضي الله عنهم: يا نبي الله ويا رسول الله ، ومنه قول الرسول صلى الله عليه وسلم لليهود:[يا إخوة القردة والخنازير][٢].

ومن النداء الحقيقي قوله تعالى:﴿ وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ {آل عمران: ٤٢ – ٤٣}. النداء في قوله:(يا مريم...). قال الألوسي:" وتكرير النداء للإشارة إلى الاعتناء بما يرد بعد كأنه هو المقصود بالذات وما قبله تمهيد له"[٣]. ومن ذلك قول الشاعر[٤]:

يا لبكر انشروا لي كليباً يا لبكر أين أين الفرار

يا لبكر فاظْعُنُوا أو فَحِلُّوا صرَّح الشَّر وبان السِّرار

فالشاعر كرر النداء ليؤكد التهديد والوعيد. وأمثلته كثيرة في شعر العرب.

---

[١] الألوسي : روح المعاني ٢٣١/٢ .

[٢] الحاكم: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري المعروف بابن البيع ، المستدرك على الصحيحين ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١، ١٤١١هـ، ٣٧/٣ .

[٣] الألوسي : روح المعاني ٢/ ١٥١ .

[٤] البيتان لمهلهل بن ربيعة في ديوانه ص ٣٥ .

فالألوسي لم يلاحظ بلاغة التكرار فقط وإنما لاحظ بلاغة حذف حرف النداء في قوله تعالى: ﴿ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَٰطِـِٔينَ ﴾ {يوسف: ٢٩}. " يُوسُفُ حذف منه حرف النداء لقربه وكمال تفطنه للحديث، وفي ندائه باسمه تقريب له عليه السلام وتلطيف"[١].

وهكذا ديدن الألوسي مع النداء الحقيقي في تفسيره . وما يلاحظ في تفسير الألوسي: أنَّ النداء إذا ورد في موضع وتناوله بلاغيَّاً ، ثم ورد النداء نفسه في موضع آخر لا يتحدث عن بلاغته مرة أخرى إلا إذا ظهرت نكتة بلاغية لم يكن تناولها من قبل.

النداء المجازي في تفسير الألوسي:

إذا خوطب بالنداء ما لا يعقل فلا يكون لطلب الإقبال ولا التنبيه . قال أبو حيان:" وأصل النداء أن يكون لمن يعقل، ثم قد ينادى ما لا يعقل على سبيل المجاز كقولهم: يا عجباً ويا حسرة..."[٢]. ورد هذا النوع في كثير من الآيات القرآنية منها في تفسير الألوسي:

التحسر: هو إظهار الحزن والأسى عن طريق النداء. منه في تفسير الألوسي قوله تعالى: ﴿ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ {الأنعام: ٣١}. النداء في قوله:(يا حسرتنا...) قال

---

[١] الألوسي : روح المعاني ٤١٥/٦ .
[٢] أبو حيان : البحر المحيط في التفسير ٤٦١/٤ .

الألوسي:" يا حَسْرَتَا نداء للحسرة وهي شدة الندم كأنه قيل: يا حسرتنا تعالي فهذا أوانك"[١].

ثم نقل عن أبي البقاء قوله:" وهو نداء مجازي ومعناه تنبيه أنفسهم لتذكير أسباب الحسرة لأن الحسرة نفسها لا تطلب ولا يتأتى إقبالها وإنما المعنى على المبالغة في ذلك حتى كأنهم ذهلوا فنادوها، ومثل ذلك نداء الويل ونحوه ولا يخفى حسنه"[٢].

ومن النداء التحسري في تفسير الألوسي قوله تعالى:﴿ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ {يس: ٣٠}. النداء في قوله:(يا حسرة...). قال الألوسي:" والظاهر أن يا للنداء وحَسْرَةً هو المنادى ونداؤها مجاز بتنزيلها منزلة العقلاء كأنه قيل: يا حسرة احضري فهذه الحال من الأحوال التي من حقها أن تحضري فيها"[٣].

التعجب: من النداء التعجبي في تفسير الألوسي قوله تعالى:﴿ قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ﴾ {هود: ٧٢}. النداء في قوله:(يا ويلتى...) . قال الألوسي:" يا وَيْلَتى من الويل وأصله الخزي، ويستعمل في كل أمر فظيع، والمراد هنا التعجب وقد كثرت هذه الكلمة على أفواه النساء إذا طرأ عليهن ما يتعجبن منه"[٤] . ويؤكد هذا المعنى قول البيضاوي:" قالت يا ويلتى يا عجباً، وأصله في الشر فأطلق على كل أمر فظيع"[٥].

ومن نداء العجب قول الشاعر:[٦]

---

[١] الألوسي : روح المعاني ١٢٥/٤ .
[٢] المصدر نفسه ١٢٥/٤ .
[٣] المصدر نفسه ٤/ ١٢ .
[٤] المصدر نفسه ٢٩٦/٦ .
[٥] البيضاوي : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١٤١/٣ .
[٦] البيت لامرئ القيس بن حجر ، في ديوانه ، ص ٢٦ .

وَيَوْمَ عَقَرْتُ للعَذارى مَطيّتِي فيا عجباً من كورِها الْمُتَحَمَّلِ

التبشير: هو نداء البشرى أو الحظ تعبيراً عمَّا في النفس من ذلك ومنه في تفسير الألوسي قوله تعالى:﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ {يوسف: ١٩}. النداء في قوله:(يا بشرى...) قال الألوسي:" نادى البشرى بشارة لنفسه أو لقومه ورفقته كأنه نزلها منزلة شخص فناداه فهو استعارة مكنية وتخييلية أي: يا بشرى تعالَيْ فهذا أوان حضورك، وقيل: المنادى محذوف كما في يا ليت أي يا قومي انظروا واسمعوا بشراي، وقيل: إن هذه الكلمة تستعمل للتبشير من غير قصد إلى النداء"[١]. والقول الأخير هو ما يترجح في الذهن أنه للتبشير ولا علاقة له بالنداء غير أنه أتى على صورته ، فهي كالتراكيب التي جرت مجرى المثل منها: يا ويح – يا ويل – يا لهف– ياحبَّذا. منها ما يكون للفرح ومنها ما يكون للحزن ومنها ما يكون للتعجب. ونحو ذلك قول الشاعر[٢]:

ولا أَقولُ إذا ما خُلَّةٌ صَرَمَتْ يا وَيحَ نفسيَ مِن شوقٍ وإِشْفاقِ

ومنه قول الشاعر[٣]:

يا لَهْفَ هِنْدٍ إذ خَطِئنَ كاهِلاً القاتِلِينَ المَلِكَ الحُلاحِلا

---

[١] الألوسي : روح المعاني ٦/ ٣٩٤ .
[٢] البيت لتأبط شرّاً في المفضليات ، ص٢٨ .
[٣] البيت لامرئ القيس بن حجر في ديوانه ص١٤٢ .

الندبة: هي نداء المتفجع عليه أو المتوجع منه[1]. ومن ذلك في تفسير الألوسي قوله تعالى: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ {الكهف: ٤٩}. النداء في قوله:(يا ويلتنا...) قال الألوسي:" ونداء الويل: ندبة للتوجع من الويل. وأصله نداء استعمل مجازاً بتنزيل ما لا ينادى منزلة ما ينادى لقصد حضوره، كأنه يقول: هذا وقتك فاحضري، ثم شاع ذلك فصار لمجرد الغرض من النداء وهو التوجع ونحوه. والويلة: تأنيث الويل للمبالغة، وهو سوء الحال والهلاك. كما أنثت الدار على دارة، للدلالة على سعة المكان"[2].

ومن الندبة قوله تعالى: ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾{يوسف: ٨٤}. النداء في قوله:(يا أسفى على يوسف). قال الألوسي:" والمعنى يا أسفي تعال فهذا أوانك. وقيل: الألف ألف الندبة والهاء محذوفة والمعول عليه الأول، وإنما تأسف على يوسف مع أن الحادث مصيبة أخويه لأن رزأه كان قاعدة الأرزاء عنده وإن تقادم عهده أخذا بمجامع قلبه لا ينساه ولا يزول عن فكره أبدا"[3] . رجح الألوسي المعنى الأول ولكن المقام مقام ندبة وتفجع . فهذا التعبير هو تفجع على فقدان ابنه يوسف عليهما السلام.

---

[1] ابن عقيل : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٢٨٢/٣ .
[2] الألوسي : روح المعاني ١٥ / ٣٣٨ .
[3] المصدر نفسه ٣٨/٧ .

هذه بعض معاني النداء المجازية التي وردت في تفسير الألوسي وإن تكررت هذه المعاني في عدة مواضع إلا أنه تناولها بلاغياً على النمط نفسه.

قد يصاحب المعنى الحقيقيَّ للنداء معنى بلاغي آخر ولا يؤثر على حقيقته . وأكثر ما يكون ذلك مع المنادى المضاف ، لأن إضافته إلى غيره تفيده معنى جديداً. ومن ذلك الاستعطاف في قوله تعالى:﴿ قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ ﴾{طه: ٩٤} . قال الألوسي:" خص الأم بالإضافة استعطافاً وترقيقاً لقلبه"[١]. ومنها الاستهزاء في قوله تعالى:﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ﴾{الحجر: ٦}. قال الألوسي:" وخاطبوه عليه الصلاة والسلام بذلك مع أنهم الكفرة الذين لا يعتقدون نزول شيء استهزاء وتهكماً وإشعاراً بعلة الباطل في قولهم: إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ"[٢].

---

[١] الألوسي : روح المعاني ٥٦١/٨ .
[٢] المصدر نفسه ٥٦١/٨ .

المبحث الخامس

جملة التمني في تفسير الألوسي

تطرق الألوسي إلى مفهوم التمني عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ {النساء: ١٢٣}. قال"والأماني بالتشديد والتخفيف– وبهما قرىء– جمع أمنية على وزن أفعولة، وهي كما قال الراغب: الصورة الحاصلة في النفس من تمني الشيء أي: تقديره في النفس وتصويره فيها، ويقال: منى له الماني أي قدر له المقدر، ومنه قيل: منية أي مقدرة، وكثيراً ما يطلق التمني على تصور ما لا حقيقة له"[١]. ولعل الألوسي بهذا القول وضح المعنى اللغوي ولكنه حام بحمى المعنى الاصطلاحي لما ذكر أنه يطلق على تصور ما لا حقيقة له . وذكره في موضع آخر بقوله:" والمراد بالتمني قول الشخص: ليت كذا، وليت من أعمال القلب أو الاشتهاء بالقلب ومحبة الحصول مع القول"[٢] . وعلى قوله يكون التمني الحقيقي هو ما عبر عنه بـ(ليت)، أما التمني بغيرها فهو مجازي . وسيتضح أكثر في صفحات هذا المبحث.

التمني الحقيقي في تفسير الألوسي:

من التمني الحقيقي عند الألوسي قوله تعالى:﴿ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ

---

[١] الألوسي : روح المعاني ٣/ ١٤٥ .
[٢] المصدر نفسه ٣٢٨/١ .

بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾{النساء: ٧٣}. التمني في قوله:(يا ليتني كنت...) . قال الالوسي:" كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ من كلامه تعالى اعتراض بين القول ومقوله الذي هو يا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً لئلا يتوهم من مطلع كلامه أن تمنيه المعية للنصرة والمظاهرة حسب ما يقتضيه ما في البين من المودة بل هو للحرص على حطام الدنيا كما ينطق به آخره فإن الفوز العظيم الذي عناه هو ذلك"[١]. لم يصرح الألوسي بحقيقة التمني لوضوحه من أن الفوز العظيم الذي تمناه هو حطام الدنيا الزائل. ومع ذلك استخدمت معه (ليت) التي هي أداة التمني الحقيقية. ويرى ابن عاشور أنه تمنى الفوز بالدنيا والآخرة. قال:" وهذا المبطئ يتمنى أن لو كان مع الجيش ليفوز فوزاً عظيماً، وهو الفوز بالغنيمة والفوز بأجر الجهاد، حيث وقعت السلامة والفوز برضا الرسول، ولذلك أتبع فأفوز بالمصدر والوصف بعظيم"[٢].

ومن التمني الحقيقي عند الألوسي قوله تعالى:﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾ {مريم: ٢٣}. التمني في قوله:(يا ليتني مت...) ، قال الألوسي:" وإنما قالته –عليها السّلام– مع أنها كانت تعلم ما جرى بينها وبين جبريل –عليه السّلام– من الوعد الكريم استحياءً من الناس وخوفاً من لائمتهم أو حذراً من وقوع الناس في المعصية بما يتكلمون فيها. وروي أنها سمعت نداء أخرج يا من يُعْبَدُ من دون الله تعالى

---

[١] الألوسي : روح المعاني ٣/ ٧٨ .
[٢] ابن عاشور : التحرير والتنوير ١٢٠/٥ .

فحزنت لذلك وتمنت الموت، وتمني الموت لنحو ذلك مما لا كراهة فيه"[1]. فتمنيها الموت تمنياً حقيقياً. ولعل الألوسي لم يشر إليه أيضاً لوضوحه .

ومن التمني الحقيقي قوله تعالى:﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ {القصص: ٧٩}. التمني في قوله:(يا ليت لنا...) ، قال الألوسي:" قيل كانوا جماعة من المؤمنين، وقالوا ذلك جرياً على سنن الجبلة البشرية من الرغبة في السعة واليسار. وعن قتادة أنهم تمنوا ذلك ليتقربوا به إلى الله تعالى وينفقوه في سبيل الخير ، ولعل إرادتهم الحياة الدنيا ليتوصلوا بها للآخرة لا لذاتها فإن إرادتها لذاتها ليست من شأن المؤمنين، وقيل: كانوا كفاراً ومنافقين، وتمنيهم مثل ما أوتي دونه[*] نفسه من باب الغبط ولا ضرر فيه على المشهور"[2]. ولابن عاشور ملاحظة بلاغية دقيقية استطاع أن يجمع بها بين هذه الأقوال . قال:" وإنما فصلت جملة (قال الذين يريدون الحياة الدنيا) ولم تعطف لأنها تتنزل منزلة بدل الاشتمال لما اشتملت عليه الزينة من أنها مما يتمناه الراغبون في الدنيا. وذلك جامع لأحوال الرفاهية وعلى أخصر وجه لأن الذين يريدون الحياة الدنيا لهم أميال مختلفة ورغبات متفاوتة فكل يتمنى أمنية مما تلبس به قارون من الزينة، فحصل هذا المعنى مع حصول الإخبار عن انقسام قومه إلى مغترين بالزخارف العاجلة عن غير علم، وإلى علماء يؤثرون الآجل على العاجل، ولو عطفت جملة قال الذين يريدون بالواو

---

[1] الألوسي : روح المعاني ٨/ ٤٠٠ .
[*] هكذا موجودة في المصدر ، ولعلها زيدت سهواً . والمعنى: وتمنيهم- مثل ما أوتي- نفسه من باب الغبط .
[2] المصدر نفسه ١٠/ ٣٢٧ .

وبالفاء لفاتت هذه الخصوصية البليغة"[1]. ومن التمني الحقيقي في تفسير الألوسي قوله تعالى:﴿ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴾ {يس: ٢٦}. التمني في قوله:(يا ليت قومي يعلمون) ، قال الألوسي:" وإنما تمنى علم قومه بحاله ليحملهم ذلك على اكتساب مثله بالتوبة عن الكفر والدخول في الإيمان والطاعة جرياً على سنن الأولياء في كظم الغيظ والترحم على الأعداء"[2].

وهكذا طريقة الألوسي مع التمني الحقيقي يغوص في سياق الآية شارحاً لمضمون التمني ، تاركاً التصريح بكونه حقيقياً اعتماداً على وضوحه من السياق واستخدام (ليت) التي لم تأت في القرآن الكريم إلا للتمني الحقيقي.

التمني المجازي في تفسير الألوسي:

تخرج الجملة الطلبية– عادة–عن معناها الحقيقي إلى معنى آخر مجازي ، لكن جملة التمني يكون خروجها من لفظ إلى لفظ آخر لغرض بلاغي يضاف إلى معنى التمني . قال درَّاز:"ويمكن أن نرتب دلالات التمني هكذا : ليت للبعيد أو المستحيل مع أمل في تحققه ، ولو للمحال الذي لا أمل فيه ، وهل تصور المحال في صورة الممكن رغبة نفسية ، ولعل أقرب إلى الإمكان النفسي من هل"[3] . ويمكن تقسيم هذه المعاني في تفسير الألوسي إلى الآتي:

---

[1] ابن عاشور : التحرير والتنوير ٣٠/ ١٨٣ .
[2] الألوسي : روح المعاني ١١/ ٤٠٠ .
[3] درَّاز : الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم ص٢٨٣-٢٨٤ .

إبراز المحال في صورة الممكن: يأتي هذا المعنى إذا كان التمني بـ(هل) الاستفهامية أو أداة الترجي (لعل) . أما هل: فهي مختصة بدخولها على الفعل. فإذا دخلت على غيره فغالباً تكون للتمني. ومن ذلك قوله تعالى:﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ {الأعراف: ٥٣}. التمني في قوله:(فهل لنا من شفعاء...) ، قال الألوسي:" و(هل) مما له اختصاص بالفعل، والعدول للدلالة على أن تمني الشفيع أصل وتمني الرد فرع لأن ترك الفعل إلى الاسم مع استدعاء هل للفعل يفيد ذلك. فلو قدر لفاتت نكتة العدول معنى مع الغنى عنه لفظاً"[1]. فاستخدموا الاستفهام في التمني للتعبير عمَّا بداخلهم من طمع في شيء ميئوس عنه. ولأن أملهم لم يخمد بعد مع أنه من المحال أن يتحقق. قال درَّاز:" ولتمنيهم درجات وذلك أنهم حين يرون العذاب وأهواله قبل معاناة ويلاته تكون الرغبة جارفة قوية ، والأمل حيَّاً حاراً في الهروب أو العود إلى الدنيا ... ولما كانت الفرصة لما تفت بعد في نظرهم تقفز إلى أذهانهم فكرة الشفاعة والشفعاء"[2] . ومثل ذلك قوله تعالى:﴿ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴾{ غافر: ١١} . التمني في قوله:(فهل إلى خروج من سبيل) ، قال الألوسي:" مثل هذا التركيب يستعمل عند اليأس، وليس المقصود به الاستفهام وإنما قالوه من فرط قنوطهم

---

[1] الألوسي : روح المعاني ٣٦٧/٤ .
[2] درَّاز : الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم ص٢٦٧-٢٦٨ .

تعللاً أو تحيراً ولذلك أجيبوا بذكر ما أوقعهم في الهلاك"[1] . فهذا التركيب تمني لقول الألوسي: قالوه من فرط قنوطهم . ومع هذا فهو طلب للخروج ، وطلب الميئوس عنه تمنٍ . وجاء عن طريق الاستفهام لتوهمهم أن هذا المحال قد يصير ممكناً. ويؤكد هذا قول ابن عاشور:" طمعوا أن يكون اعترافهم بذنوبهم وسيلة إلى منحهم خروجاً من العذاب خروجاً ما ليستريحوا منه ولو بعض الزمن. وذلك لأن النداء[*] الموجه إليهم من قبل الله أوهمهم أنَّ فيه إقبالاً عليهم"[2]. وبهذا يتبين كيف تُظْهِرُ (هل الاستفهامية) المحال في صورة الممكن. أما لعل فيطلب بها ما يرجى حدوثه فإذا جاءت لغير ذلك فهي للتمني . ولم يتحدث الألوسي عن ذلك إلا في موضع واحد هو قوله تعالى:﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴾{غافر: ٣٦}. التمني في قوله:(لعلي أبلغ الاسباب) ، قال الألوسي:" وقال بعض: إن هذا الترجي تمن في الحقيقة لكن أخرجه اللعين هذا المخرج تمويهاً على سامعيه فكان النصب في جواب التمني"[3].

إظهار عظمة المتمنى: ويكون ذلك إذا كان التمني بـ(لو) لأنها حرف امتناع لامتناع. ومن ذلك في تفسير الألوسي قوله تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾{البقرة: ١٦٧}.

---

[1] الألوسي : روح المعاني ١٢/ ٣٠٧ .

[*] المناداة المذكورة في الآية السابقة لها وهي قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴾{غافر: ١٠}

[2] ابن عاشور : التحرير والتنوير ٢٤/ ٩٧ .

[3] الألوسي : روح المعاني ٣٢٢/١٢ .

التمني في قوله:(لو أن لنا كرة...) ، قال الألوسي:" تمنوا الرجوع إلى الدنيا حتى يطيعوا الله تعالى فيتبرؤوا من متبوعيهم في الآخرة إذا حشروا جميعاً مثل تبرِّئ المتبوعين منهم مجازاة لهم بمثل صنيعهم"[١]. وجاء التمني بلو لإظهار عظمة ما يتمنونه. قال الألوسي:" وأصلها لو الامتناعية وحيث إن التمني يكون لما يمتنع أريد بها ذلك مجازاً مرسلاً أو استعارة تبعية ثم شاع حتى صارت كالحقيقة في ذلك"[٢].

وأكثر ما يكون هذا المعنى إذا وقعت لو بعد الفعل(ودَّ–يود) . قال ابن عاشور:" والود المحبة و (لو) للتمني وهو حكاية للفظ الذي يودون به والمجيء فيه بلفظ الغائب مراعاة للمعنى"[٣] .

ومنه قوله تعالى:﴿ يَوۡمَئِذٖ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوۡ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا ﴾{النساء: ٤٢}. التمني في قوله:(لو تسوَّى بهم الأرض)، قال الألوسي:" يودون أنهم بقوا تراباً على أصلهم من غير خلق، وتمنوا أنهم كانوا هم والأرض سواء"[٤]. وتمنيهم ذلك لعظمة ما هم فيه من الهول والحساب. ومن ذلك قوله تعالى:﴿ يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾{آل عمران: ٣٠}. التمني في قوله:(لو أن بينها وبينه أمداً ...) ، نقل الألوسي عن أبي حيان قوله: إن الضمير يعود على (ما) في قوله(ما عملت) لقربه ولأنه لو عاد على(يوم)

---

[٢] الألوسي : روح المعاني ٤٣٤/١ .
[٣] المصدر نفسه ١٠٤/١٠ .
[٤] ابن عاشور : التحرير والتنوير ٦١٨/١ .
[٥] الألوسي : روح المعاني ٣٤/٣ .

فاليوم فيه الخير والشر والمتمنى بعد الشر . ورُدَّ عليه بأنه أبلغ لأنه يودّ البعد بينه وبين اليوم مع ما فيه من الخير لئلا يرى ما فيه من السوء . ثم علَّق الألوسي على ذلك قائلاً:" فالتمني هنا من قبيل التمني في قوله تعالى: ﴿ يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ ﴾ {الزخرف: ٣٨} وهذا الذي ذكر في نظم الآية هو ما ذهب إليه كثير من أئمة التفسير"[١] . وبإمعان النظر في قول الألوسي تجده قد وحَّد المعنى بين التمني بـ(لو) في الآية الأولى والتمني بـ(ليت) في الآية الثانية . وهنا سؤال: لماذا جاء التعبير مرة بلو ومرة بليت مع أن المعنى واحد؟ على ما يبدو أن التعبير بـ(لو) يظهر عظمة المتمنى. فالمتمنى في الآية الأولى بعد الشر ثم جاء التعبير بلو شاملاً بعد اليوم مع ما فيه من الخير ليدل على عظمة هذا الشر المتمنى بعده. أما التعبير بـ(ليت) فقد يكون للممكن البعيد أو لغير الممكن . فاستخدام لو يزيل احتمال الممكن البعيد.

التحضيض والتنديم: هما تركيبان للتمني المجازي يتولدان من أدوات التمني المجازية بإضافة (ما) و(لا) المزيدتين . قال السكاكي:" هلَّا وألَّا ولولا ولوما مأخوذة منهما مركبة مع لا وما المزيدتين مطلوباً بالتزام التركيب التنبيه على إلزام هل ولو معنى التمني، فإذا قيل هلَّا أكرمت أو ألَّا بقلب الهاء همزة أو لولا أو لوما فكأن المعنى ليتك أكرمت متولداً منه معنى التنديم، وإذا قيل هلَّا تكرم أو لولا فكأن المعنى ليتك تكرمه متولداً من معنى السؤال"[٢]. ومن

---

[١] الألوسي : روح المعاني ٢/ ١٢٢ .
[٢] السكاكي: مفتاح العلوم ١/ ٣٠٧ .

التحضيض في تفسير الألوسي قوله تعالى:﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴾{الأنعام: ٨}. التمني التحضيضي في قوله:(لولا أنزل عليه ملك) ، قال الألوسي:" وكلمة لَوْلا هنا للتحضيض، والمقصود به التوبيخ على عدم الإتيان بملك يشاهد معه حتى تنتفي الشبهة بزعمهم ... أي: هلا أنزل عليه ملك يكون معه يحدث الناس عنه ويخبرهم أنه رسول من ربه سبحانه إليهم"[١]. وقال أبوحيان:" ولولا بمعنى هلا للتحضيض وهذا قول من تعنت وأنكر النبوات"[٢] .

ومن التمني التحضيضي قوله تعالى:﴿ لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ {الحجر: ٧}. التحضيض في قوله:(لوما تأتينا بالملائكة) ، قال الألوسي:" لَوْما تَأْتِينا كلمة لَوْ ما كلولا تستعمل في أحد معنيين امتناع الشيء لوجود غيره والتحضيض . وعند إرادة الثاني منها لا يليها إلا فعل ظاهر أو مضمر وعند إرادة الأول لا يليها إلا اسم ظاهر أو مقدر عند البصريين ... وأيّاً ما كان فالمراد هنا التحضيض ، أي: هلا تأتينا بِالْمَلائِكَةِ يشهدون لك ويعضدونك في الانذار"[٣].

أما التنديم في تفسير الألوسي كقوله تعالى:﴿ فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾{هود: ١١٦}. التمني التنديمي في قوله:(فلولا كان من القرون ...)، قال الألوسي:" فَلَوْلا كانَ: تحضيض فيه معنى التفجع مجازاً أي: فهلا كان مِنَ الْقُرُونِ –

---

[١] الألوسي : روح المعاني ٩٢/٤ .
[٢] أبو حيان : البحر المحيط في التفسير ٤٤٢/٤ .
[٣] الألوسي : روح المعاني ٧/ ٢٦٠ .

أي:الأقوام المقترنة في زمان واحد– مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ... المعنى: تنديم أهل القرون على أن لم يكن فيهم أولو بقية ناهون"[1]. ويرى ابن عاشور أن التحضيض هو للتحذير وليس تنديماً لأن المحضوضين قد فات أوانهم وتحضيض الفائت تحذير للحاضر[2] .

ومن التنديم في تفسير الألوسي قوله تعالى:﴿ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾{النور: ١٣}. التمني التنديمي في قوله:(لولا جاءوا عليه...) ، قال الألوسي:" وذُكِرَ أنها في ذلك للتوبيخ والتنديم وهي حينئذ تختص بالماضي"[3].

وخلاصة هذا المبحث أن التمني إذا كان بـ(ليت) فهو حقيقي سواء كان محالاً ، أو ممكناً يستبعد حدوثه . ويكون التمني مجازياً بخروج لفظه وزيادة معنى آخر يضاف إلى معناه الحقيقي ، كإظهار المحال في صورة الممكن وإظهار عظمة المتمنى أو خروجه إلى التنديم والتحضيض .

---

[1] الألوسي : روح المعاني ٦/ ٣٥٤ .
[2] بتصرف/ ابن عاشور : التحرير والتنوير ١٢/ ١٨٣ .
[3] الألوسي : روح المعاني ٤٢٨/٩ .

الخاتمة:

بعد هذا العرض والتحليل لأقوال اللغويين والمفسرين والبلاغيين في الجملة الطلبية عن طريق المنهج الاستقرائي والوصفي التحليلي لمعرفة مفهومها وأنواعها ثم خصائصها البلاغية في القرآن و كيفية تحليل الألوسي لذلك . توصلت– بحمد الله– هذه الدراسة إلى عدة نتائج هي:

- اختصت الجملة الطلبية في القرآن الكريم ببعض الخصائص التي تميزها عن كلام البشر. منها: ترتيب كلمات الجملة حسب المعنى المراد ، الدقة المتناهية في اختيار الألفاظ ، تعدد المعاني للأسلوب الواحد ، الزيادة والنقصان في بناء الجملة حسب ما يقتضيه السياق.
- الجملة الطلبية عند الألوسي هي كغيرها من الجمل يفسرها حسب السياق العام للآية ، فإن كان المقام للإعجاز والبلاغة بسط القول فيهما ، وأتى بأقوال البلاغيين . وإن كانت الآية لحد أو حكم أتى بأقوال الأصوليين والفقهاء وقد يضيف إلى ذلك أقوال النحويين واللغويين .
- من الخصائص البلاغية لجملة الاستفهام ملازمة بعض تراكيبها لمعانٍ مخصوصة . منها: (ما أدراك ، من أظلم ، أإنا) هذه التراكيب لم ترد في القرآن إلا وهي تالية لأحد حروف العطف (الواو – ثم – الفاء) أما تركيب (ما أدراك) فهو ملازم لمعنى التعظيم

والتهويل ؛ وتركيب (من أظلم) يرد في مقام التكذيب ومعناه النفي ، وتركيب (أإنا...) ملازم لمعنى الإنكار والاستبعاد .

- من خصائص جملة النداء في القرآن الكريم أن نداء غير العاقل في غير القرآن مجاز، أما في القرآن فهو حقيقي إن كان النداء من الله تعالى.
- جملة التمني الحقيقية في القرآن يقترن معناها بمعنى آخر بلاغي يفهم من السياق ولا يؤثر على حقيقتها.
- تخالف جملة التمني الجمل الطلبية الأخرى في كون الجمل الأخرى يخرج معناها الحقيقي إلى آخر مجازي أما جملة التمني يخرج لفظها وتركيبها إلى لفظ آخر .
- كثرت المعاني الحقيقية لجملتي(الأمر والنهي) في تفسير الألوسي مقارنة بالمعاني المجازية وذلك لتعدد الأحكام الواردة – في القرآن – بأداء الواجبات وترك المحرمات .
- بعض المعاني المجازية لجملة النهي لم ترد في تفسير الألوسي منها : الالتماس والتمني.
- إذا ورد النداء في موضع من تفسير الألوسي وتحدث عن بلاغته ثم ورد النداء نفسه في موضع آخر لم يتناوله الألوسي بلاغياً إلا إذا ظهرت له نكتة بلاغية جديدة .
- يصاحب المعنى الحقيقي لجملة النداء معنى بلاغي آخر ولا يؤثر على حقيقته ، وأكثر ما يكون ذلك إذا كان المنادَى مضافاً لأن الإضافة تكسبه معنى جديداً .
- حين يعالج الألوسي النهيَ الحقيقي لا يغفل عن الجوانب البلاغية الأخرى . كبلاغة التقديم والتأخير للاهتمام أوالتشويق. واستخدام ضمير الجمع بدل ضمير المفرد أو العكس

للمبالغة . واستخدام المفردات حسب مقام السياق كما في قوله:(من إملاق) مقابل قوله:(خشية إملاق).

- بعض المعاني المجازية للنهي لم ترد في تفسير الألوسي منها: الالتماس كقوله تعالى: ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ ﴾ {طه: ٩٤}. ففي الآية التماس واضح سبقت الإشارة إليه ، بينما الألوسي يقف عند معانيها اللغوية شارحاً مفرداتها . ولعل المعنى الذي يطلبه توصل إليه ولم يحتج إلى بلاغة النهي.

ومن معاني النهي المجازية التي لم تذكر: التمني: وهو نهي لغير العاقل فهذا النهي لم يرد لعدم وروده في القرآن. مع كثرة وروده في الشعر كقول الخنساء:

أعينيَّ جودا ولا تجمدا ألا تبكيان لصخر الندى

- كيفية معالجة الألوسي للاستفهام الحقيقي . هي إما أن يشير باللفظ إلى أنه حقيقي ، وإما أن يلمح من خلال عباراته عن معنى الآية.
- طريقة الألوسي مع التمني الحقيقي يغوص في سياق الآية شارحاً لمضمون التمني ، تاركاً التصريح بكونه حقيقياً اعتماداً على وضوحه من السياق واستخدام (ليت) التي لم تأت في القرآن الكريم إلا للتمني الحقيقي.

التوصيات:

من التوصيات التي نود أن نرى ثمرتها قريباً ما يأتي :

- الاهتمام ببلاغة القرآن الكريم ودراستها لمعرفة وجوه الإعجاز البلاغي وبلاغة النظم القرآني.
- البحث والتنقيب عن الإشارات البلاغية في كتب التفاسير فهي مليئة بذلك .
- تفسير الألوسي يذخر بكثير من الآراء النحوية والصرفية التي تحتاج إلى دراسة مستقلة .
- معاني الجمل مرتبط بالسياق العام للآية . ومعاني الآية مرتبط بالسياق العام للسورة فليتنا نرى قريباً تفسيراً بلاغياً للقرآن الكريم .

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم .

١) إبراهيم : إبراهيم حسن إبراهيم ، أسرار النداء في لغة القرآن الكريم ، تقديم : عبد العظيم علي الشناوي ، جامعة المدينة المنورة ، بدون ت ط .

٢) الأثري : محمد بهجت الأثري ، أعلام العراق ، المطبعة السلفية – دار الكتب البصرية، ١٣٤٥هـ.

٣) أحمد مطلوب : أحمد مطلوب أحمد الناصري الصيادي ، أساليب بلاغية(الفصاحة-البلاغة-المعاني) الناشر: وكالة المطبوعات – الكويت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٠م .

٤) الإسكافي : أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي ، درة التنزيل وغرة التأويل تحقيق :محمد مصطفى آيدين ، الناشر: جامعة أم القرى، مكة المكرمة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

٥) أبو الأسود الدؤلي : ديوان أبي الأسود الدؤلي ، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين ، الناشر: دار ومكتبة الهلال ، ط٢ ، ١٤١٨هـ .

٦) الأشموني: علي بن محمد بن عيسى أبو الحسن ، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، الناشر: دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ .

٧) الألوسي : شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني:

أ- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، تحقيق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥ هـ.

ب- غرائب الاغتراب ونزهة الألباب في الذهاب والإقامة والإياب، بدون ت ط .

٨) امرؤ القيس: امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي ، ديوان امرئ القيس ، تحقيق: عبد الرحمن المصطاوي ، الناشر: دار المعرفة- بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٥هـ .

٩) الأنباري: أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري:

أ- أسرار العربية ، الناشر: دار الأرقم ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ .

ب- الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين ، الناشر: المكتبة العصرية، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤هـ .

١٠) باحاذق : عمر محمد عمر ، شرح رسالة بيان إعجاز القرآن ، الناشر: دار المأمون للتراث ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ .

١١) البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، صحيح البخاري ، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر ، الناشر: دار طوق النجاة ،الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ .

١٢) بسيوني: بسيوني عبد الفتاح فيود ، دراسة بلاغية ونقدية لعلم المعاني ، الناشر: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، الطبعة الرابعة ، ٢٠١٥م .

١٣) أبو البقاء : أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي الحنفي ، الكليات ، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، الناشر : مؤسسة الرسالة- بيروت ، بدون ت ط .

١٤) البقاعي : إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، الناشر: دار الكتاب الإسلامي – القاهرة ، بدون ت ط .

١٥) البيضاوي : ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ .

١٦) البيلي : أحمد عبد الله البيلي البدوي ، من بلاغة القرآن ، الناشر: نهضة مصر – القاهرة ، ٢٠٠٥م .

١٧) التبريزي: الخطيب التبريزي ، شرح ديوان عنترة ، تحقيق: مجيد طراد ، الناشر: دار الكتاب العربي –بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ –١٩٩٢م .

١٨) الترمزي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك ، سنن الترمزي ، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض ، الناشر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م .

١٩) التفتازاني : سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني ، المطول– شرح تلخيص مفتاح العلوم ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٣٤هـ .

٢٠) الجبرتي: عبد الرحمن بن حسن الجبرتي ، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار الناشر: دار الجيل بيروت ، بدون ت ط .

٢١) الجرجاني : أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني:

أ– دلائل الإعجاز في علم المعاني ، تحقيق: محمود محمد شاكر، الناشر: مطبعة المدني – القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٣هـ .

ب– المفتاح في الصرف ، تحقيق: علي توفيق الحَمَد– جامعة اليرموك، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ .

٢٢) جرير بن عطية الخطفي ، ديوان جرير ، الناشر: دار بيروت للطباعة والنشر – بيروت ، ١٤٠٦هـ .

٢٣) الجزولي: عيسى بن عبد العزيز بن يللبخت الجزولي المراكشي ، المقدمة الجزولية في النحو ، تحقيق: شعبان عبد الوهاب محمد ،الناشر: مطبعة أم القرى ، بدون ت ط.

٢٤) ابن جماعة الكناني: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، كشف المعاني في المتشابه من المثاني ، تحقيق: عبد الجواد خلف ، الناشر: دار الوفاء – المنصورة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ .

٢٥) ابن جني: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي :

أ- الخصائص ، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الرابعة ، د. ت .

ب- اللمع في العربية ، تحقيق: فائز فارس ، الناشر: دار الكتب الثقافية – الكويت ، بدون ت ط.

ت- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، الناشر: وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، تاريخ الطبع ١٤٢٠هـ.

٢٦) الجوجري : شمس الدين محمد بن عبد المنعم بن محمد الجوجري ، شرح شذور الذهب ، تحقيق: نواف بن جزاء الحارثي ، الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣هـ .

٢٧) الجوهري: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٧هـ .

٢٨) ابن الحاجب: جمال الدين بن عثمان بن عمر بن أبي بكر المصري الإسنوي ، الكافية في علم النحو ، تحقيق: الدكتور صالح عبد العظيم الشاعر ، الناشر: مكتبة الآداب – القاهرة ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٠م .

٢٩) الحاكم: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ،١٤١١هـ .

٣٠) حَبَنَّكَة : عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي ، البلاغة العربية ، الناشر: دار القلم الدار الشامية – دمشق – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م .

٣١) ابن حجة الحموي: تقي الدين أبوبكر بن علي بن عبد الله الحموي ، خزانة الأدب وغاية الإرب ، تحقيق: عصام شقيو ،الناشر: دار ومكتبة الهلال – بيروت ، ٢٠٠٤م.

٣٢) حسن طبل: علم المعاني في الموروث البلاغي تأصيل وتقييم ، الناشر: مكتبة الإيمان بالمنصورة – مصر ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٥هـ .

٣٣) الحنفي: أيوب بن موسى الحسيني القريمي أبو البقاء ، الكليات ، تحقيق: عدنان درويش– محمد المصري ،الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، بدون ت ط .

٣٤) أبو حيان: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف أثير الدين الأندلسي:

أ- ارتشاف الضرب من لسان العرب ، تحقيق: رجب عثمان محمد، الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ.

ب- البحر المحيط في التفسير ، المحقق: صدقي محمد جميل ، الناشر: دار الفكر، بيروت ، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

٣٥) الخطابي: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي ، بيان إعجاز القرآن ، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام ، الناشر: دار المعارف بمصر ، الطبعة: الثالثة ، ١٩٧٦م .

٣٦) الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين ، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ، الناشر: دار ومكتبة الهلال ، بدون ت ط .

٣٧) الخنساء: تماضر بنت عمر بن الحارث بن الشريد ، ديوان الخنساء ، شرح: حمدو طمَّاس ، الناشر: دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٥هـ .

٣٨) أبو داؤود: سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي ، سنن أبي داؤود ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، الناشر: المكتبة العصرية – بيروت – لبنان ، بدون ت ط .

٣٩) درَّاز : صباح عبيد دراز ، الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم ، الناشر: مطبعة الأمانة – شارع الجزيرة – مصر ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ .

٤٠) درويش: محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش ، إعراب القرآن وبيانه ، الناشر : دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية ، الطبعة : الرابعة ، ١٤١٥ هـ.

٤١) الدعاس: أحمد عبيد الدعاس وآخرون ، إعراب القرآن الكريم ، الناشر: دار الفارابي للنشر ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٥هـ .

٤٢) دعبل بن علي الخزاعي ، ديوان دعبل بن علي الخزاعي ، شرح : حسن حمد ، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ .

٤٣) دقر: عبد الغني بن محمد الدقر ، معجم القواعد العربية ، الناشر: المكتبة الشاملة – المملكة العربية السعودية ، بدون ت ط.

٤٤) الذهبي : محمد السيد حسين الذهبي ، التفسير والمفسرون ، الناشر : مكتبة وهبة – القاهرة ، الطبعة السابعة ، ٢٠٠٠م .

٤٥) ذو الرُّمة : غيلان بن مسعود بن حارثة بن عمرو بن ربيعة ، ديوان ذي الرُّمة ، شرح وتقديم: أحمد حسن سبج ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت– لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م .

٤٦) أبو ذؤيب الهذلي: ديوان ، تحقيق: أحمد خليل الشال ، الناشر: مركز الدراسات والبحوث الإسلامية – بورسعيد ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٤م .

٤٧) الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن ، مفاتيح الغيب ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٠هـ .

٤٨) الراغب الأصفهاني : أبو القاسم الحسين بن محمد ، تفسير الراغب الأصفهاني ، تحقيق: محمد عبد العزيز بسيوني ، الناشر: كلية الآداب – جامعة طنطا ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ .

٤٩) الرافعي : مصطفى صادق بن عبد الرازق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي ، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة الثامنة ،١٤٢٥هـ.

٥٠) الرضي: محمد بن حسين بن موسى الشهير بالشريف الرضي ، شرح الكافية ، تصحيح : يوسف حسين عمر ، الناشر: جامعة قازيونس – بنغازي ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٦م .

٥١) ابن الرومي : أبو الحسن علي بن العباس بن جريج ، ديوان ابن الرومي ، شرح: أحمد حسن بسج ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٣هـ .

٥٢) الزبيدي: محمد بن محمد بن عبد الرازق الحسيني ، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين ، الناشر: دار الهداية ، بدون ت ط .

٥٣) الزركشي : بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي ، البرهان في علوم القرآن تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه ، الطبعة الأولى ، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م .

٥٤) الزركلي : خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس ، الأعلام ، الناشر: دار العلم للملايين ، الطبعة الخامسة عشرة ، مايو ٢٠٠٢ م .

٥٥) الزمخشري : أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الملقب بجار الله:

أ- أساس البلاغة ، تحقيق: محمد باسل عيون السود ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ .

ب- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ .

ت- المفصل في صنعة الإعراب ، تحقيق: علي أبو ملحم ، الناشر: مكتبة الهلال – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٣م .

٥٦) زهير بن أبي سلمى : ديوان زهير ابن أبي سلمى ، تقديم : علي حسن فاعور ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ .

٥٧) الزوزوني: حسين بن أحمد بن حسين ، شرح المعلقات السبع ، الناشر: دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣هـ .

٥٨) السامرائي : فاضل صالح السامرائي :

أ- بلاغة التعبير القرآني ، الناشر: دار عمار- عمان ، الطبعة الرابعة ، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

ب- معاني النحو، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – الأردن، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

٥٩) السبكي: أبو حامد أحمد بن علي بن عبد الكافي بهاء الدين ، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: المكتبة العصرية – بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣هـ .

٦٠) السخاوي : شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي : المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة ، تحقيق: محمد عثمان الخشت ، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م .

٦١) ابن السراج: أبوبكر محمد بن السري بن سهل النحوي ، الأصول في النحو ، تحقيق: عبد الحسين الفتلي ، الناشر: مؤسسة الرسالة – لبنان ، بدون ت ط .

٦٢) سعادة : محمد عبد الله سعادة ، من أسرار النظم القرآني آيات وعبر ، الناشر: مكتبة مبارك العامة ، بدون ت ط .

٦٣) السعدي: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي ، تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن ، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق ، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ .

٦٤) أبو السعود: محمد بن محمد بن مصطفى ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، الناشر: دار إحياء التراث العربي ، – بيروت ، بدون ت ط .

٦٥) السكاكي : أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي الخوارزمي الحنفي ، مفتاح العلوم ، ضبط وتعليق: نعيم زرزور ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧هـ .

٦٦) السنيكي : زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري ، أبو يحيى السنيكي المصري الشافعي ، منحة الباري بشرح صحيح البخاري ، تحقيق: سليمان بن دريع العازمي ، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع– الرياض – المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٦ هـ .

٦٧) سيبويه: أبو بشر عمرو عثمان بن قنبر الحارثي ، الكتاب ، تحقيق: عبد السلام محمد هرون ، الناشر: مكتبة الخانجي–القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٨هـ .

٦٨) ابن سيدة : أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي ، المحكم والمحيط الأعظم ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م .

٦٩) السيوطي : عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين:

أ- شرح عقود الجمان في المعاني والبيان ، تحقيق: إبراهيم محمد الحمداني – أمين لقمان الحبار ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.

ب- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي، الناشر المكتبة الوقفية – مصر، بدون ت ط .

٧٠) الشاطبي : إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي:

أ- المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية ، تحقيق: عبدالرحمن بن سليمان العثيمين وآخرون ، الناشر: معهد البحوث العلمية ' جامعة أم القرى – مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٨هـ .

ب- الموافقات ، تحقيق: أبو عبيدة بن حسن آل سلمان ، الناشر: دار ابن عفان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م .

٧١) شرَّاب : محمد بن محمد بن حسن شرَّاب ، شرح الشواهد الشعرية في أمهات الكتب النحوية ، الناشر: مؤسسة الرسالة ، بيروت– لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٧م .

٧٢) الشريف الجرجاني: أبو الحسين علي بن محمد بن علي الزين:

أ- التعريفات ، تحقيق : جماعة من العلماء ، الناشر: دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ .

ب- الحاشية على المطول ، تحقيق: رشيد أعرضي ، الناشر: دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٧م

٧٣) الشنقيطي: محمد محمود الشنقيطي، ديوان الهذليين ، الناشر: الدار القومية للطباعة والنشر – القاهرة ، ١٣٨٥هـ .

٧٤) الشوكاني: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله ، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ، تحقيق: الشيخ أحمد عزو ، الناشر: دار الكتاب العربي ، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م .

٧٥) صافي: محمود بن عبد الرحيم صافي: الجدول في إعراب القرآن الكريم ، الناشر: دار الرشيد – دمشق ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٨هـ .

٧٦) ابن الصائغ: محمد بن سباع بن أبي بكر الجذامي ، اللمحة في شرح الملحة،تحقيق: إبراهيم بن سالم الصاعدي ، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية – المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤هـ .

٧٧) الصعيدي: عبد المتعال الصعيدي ، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح ، الناشر: مكتبة الآداب – القاهرة ، الطبعة: السابعة عشر ، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م .

٧٨) الصنهاجي: عبد الحميد محمد بن باديس ، مبادي الأصول ، تحقيق : عمار الطالبي، الناشر : الشركة الوطنية للكتاب ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٨م .

٧٩) الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الآملي ، جامع البيان في تأويل القرآن ، تحقيق: أحمد محمد شاكر ، الناشر: مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م .

٨٠) طرفة : طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس ، ديوان طرفة ، تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين ، الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٣هـ –٢٠٠٢م .

٨١) طنطاوي : محمد سيد طنطاوي ، التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع– الفجالة – القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨م .

٨٢) ابن عاشور : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر:

أ– التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) ، الناشر: الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٤م .

ب– موجز البلاغة ، الناشر: المكتبة العلمية – تونس ، الطبعة الأولى، بدون ت ط.

٨٣) العاكوبي : عيسى علي العاكوبي ، المفصل في علم البلاغة ، الناشر: جامعة حلب، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م .

٨٤) أبو العباس القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي ، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عبر الزمان ، تحقيق: إبراهيم الإبياري ، الناشر: دار الكتاب اللبناني ، ط٢ ، ١٤٠٢هـ.

٨٥) عباس حسن: النحو الوافي ، الناشر: دار المعارف ، الطبعة الخامسة عشر ، بدون ت ط .

٨٦) عبد العزيز عتيق: علم المعاني ، الناشر: دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م .

٨٧) عبد القادر حسين : فن البلاغة ، الناشر: عالم الكتب ، الطبعة الثانية ، بيروت – لبنان ، ١٤٠٥هـ .

٨٨) عبد الكريم محمود يوسف : أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم(غرضه– إعرابه)، الناشر: مطبعة الشام ، دمشق – سورية ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ –٢٠٠٠م .

٨٩) عضيمة: محمد عبد الخالق عضيمة ، دراسات لأسلوب القران الكريم ، تصدير: محمود محمد شاكر ، الناشر: دار الحديث – القاهرة ، بدون ت ط .

٩٠) ابن عقيل: عبدالله بن عبد الرحمن العقيلي ، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، الناشر: دار التراث – القاهرة ، الطبعة العشرون ، ١٤٠٠هـ .

٩١) العكبري : أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله البغدادي:

أ– إعراب لامية الشنفرى ، تحقيق: محمد أديب عبد الواحد ، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ .

ب– التبيان في إعراب القرآن ، تحقيق: علي محمد البجاوي ، الناشر: عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ، بدون ت ط .

ت– التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين ، تحقيق: عبد الرحمن العثيمين ، الناشر: دار الغرب الإسلامي ، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ .

ث- اللباب في علل البناء والإعراب ، تحقيق: عبد الإله النبهان ، الناشر: دار الفكر- دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ .

٩٢) العلوي: يحي بن حمزة بن علي بن إبراهيم ، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، الناشر: المكتبة العصرية – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣هـ .

٩٣) عمر بن أبي ربيعة : ديوان عمر بن أبي ربيعة ، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي- عبد العزيز شرف ، الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث ، بدون ت ط .

٩٤) عنترة بن شداد : ديوان عنترة : تحقيق: محمد سعيد مولوي ، الناشر: المكتب الإسلامي ، القاهرة ، بدون ت ط .

٩٥) ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني:

أ- الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها ، الناشر: محمد علي بيضون – بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

ب- مقاييس اللغة ، تحقيق: عبد السلام محمد هرون ، الناشر: دار الفكر ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .

٩٦) أبو فراس الحمداني: ديوان أبي فراس الحمداني ، شرح: خليل الدويهي ، الناشر: دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤١٤هـ .

٩٧) الفرزدق : همام بن غالب بن صعصعة ، ديوان الفرزدق ، تقديم وشرح: علي فاعور، الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت –لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م .

٩٨) فضل حسن عباس : البلاغة فنونها وأفنانها ، الناشر: دار الفرقان للطباعة والنشر– الأردن ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٧هـ .

٩٩) ابن الفوطي : كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد المعروف بابن الفوطي ، مجمع الآداب في معجم الألقاب ، تحقيق: محمد الكاظم الناشر: مؤسسة الطباعة والنشر– وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ .

١٠٠) الفيروز آبادي : مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب:

أ– بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، تحقيق: محمد علي النجار ، الناشر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، مصر– القاهرة ، ١٤١٦هـ .

ب– القاموس المحيط ، تحقيق : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان ، الطبعة الثامنة ، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م .

١٠١) القاسمي : محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي ، محاسن التأويل ، تحقيق: محمد باسل عيون السود ، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت ، الطبعة الأولى – ١٤١٨ هـ .

١٠٢) ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، الشعر والشعراء ، الناشر: دار الحديث – القاهرة ، ١٤٢٣هـ .

١٠٣) القدومي: سامي وديع عبد الفتاح شحادة ، التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني ، الناشر: دار الوضاح ، الأردن – عمان ، بدون ت ط .

١٠٤) القرطبي : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري:

أ- الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق: أحمد البردون وإبراهيم أطفيش ، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م .

ب- الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيق: محمد علي البجاوي ، الناشر: دار الجيل- بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ .

١٠٥) القزويني : محمد بن عبد الرحمن بن عمر القزويني:

أ- الإيضاح في علوم البلاغة ، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي ، الناشر: دار الجيل – بيروت ، الطبعة الثالثة ، بدون ت ط .

ب- التلخيص في علوم البلاغة ، تحقيق: عبد الرحمن البرقوقي ، الناشر: دار الفكر العربي ، الطبعة الأولى ١٩٠٤هـ.

١٠٦) قلقيلة: عبد العزيز عبده قلقيلة ، البلاغة الاصطلاحية ، الناشر: دار الفكر العربي- القاهرة – مصر ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٢هـ .

١٠٧) القِنَّوجي : أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله القِنَّوجي ، التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول ، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م .

١٠٨) ابن القيم : محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، تفسير القرآن الكريم ، تحقيق :الشيخ إبراهيم رمضان وآخرين ، الناشر: دار ومكتبة الهلال – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠ هـ .

١٠٩) ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ، تفسير ابن كثير ، تحقيق: سامي بن محمد سلامة ، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م.

١١٠) كحالة : عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ .

١١١) لبيد بن ربيعة بن مالك العامري ، ديوان لبيد بن ربيعة ، اعتنى به: حمدو طمّاس الناشر: دار المعرفة ، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م

١١٢) ابن مالك: جمال الدين محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني:

أ- شرح تسهيل الفوائد ، تحقيق: عبد الرحمن السيد – محمد بدوي المختون ، الناشر: هجر للطباعة والنشر ،الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ .

ب- شرح الكافية الشافية ، تحقيق: عبد المنعم هريدي ، الناشر: جامعة أم القرى – مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، بدون ت ط .

١١٣) ابن المبرد: يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن بن عبد الهادي الصالحي ، محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، تحقيق: عبد العزيز بن محمد بن

عبد المحسن ، الناشر: عمادة البحث العلمي – الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة ، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ .٢١٦.

١١٤) المبرد: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي أبو العباس ، المقتضب ، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة ، الناشر: عالم الكتب – بيروت ، بدون ت ط .

١١٥) المتنبي: أبو الطيب أحمد بن الحسين ، ديوان المتنبي : الناشر: دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٤٠٣هـ .

١١٦) مجنون ليلى: ديوان قيس بن الملوح ، تعليق: يسري عبد الغني ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ.

١١٧) محمد أحمد قاسم ومحي الدين ديب : علوم البلاغة العربية (البديع– البيان– المعاني) ، الناشر: المؤسسة الحديثة للكتاب– لبنان ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٣م .

١١٨) محمد عيد: النحو المصفى ، الناشر: مكتبة الشباب ، بدون ت ط .

١١٩) محمود السيد شيخون: الإعجاز في نظم القرآن ، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٨هـ–١٩٧٨م .

١٢٠) المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي:

أ– تفسير المراغي ، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده – مصر ، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م.

ب– علوم البلاغة(البديع–البيان–المعاني) بدون ت ط.

١٢١) المرزوقي :أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي ، شرح ديوان الحماسة ، تحقيق: غريد الشيخ ، لناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، لطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م .

١٢٢) مسلم :مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، بدون ت ط.

١٢٣) مصطفى مسلم : مباحث في إعجاز القرآن ، الناشر: دار القلم – دمشق ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٦هـ .

١٢٤) أبو المعالي: محمود شكري الألوسي ، المسك الأذفر ، مطبعة الآداب ، بغداد ، ١٣٤٨هـ – ١٩٣٠م .

١٢٥) ابن المعتز: ديوان ابن المعتز ، الناشر: دار صادر ، بيروت – لبنان ، بدون ت ط.

١٢٦) المفضل الضبي: المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي ، المفضليات ، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون ، لناشر: دار المعارف – القاهرة ، الطبعة: السادسة ، بدون ت ط .

١٢٧) أبو منصور : جمال الدين الحسين بن يوسف ، مبادئ الأصول إلى تحقيق الحق من علم الأصول تحقيق: عبد الحسين محمد علي البغال ، الناشر: دار الأضواء – بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م .

١٢٨) ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي جمال الدين بن منظور ، لسان العرب ، الناشر: دار صادر – بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٤هـ .

١٢٩) مهلهل بن ربيعة: ديوان مهلهل بن ربيعة ، شرح وتقديم : طلال حرب ، الناشر: الدار العالمية ، بدون ت ط .

١٣٠) أبو موسى: محمد حسين أبو موسى ، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية ، الناشر: دار الفكر العربي – مصر ، بدون ت ط .

١٣١) النابغة الجعدي : ديوان النابغة الجعدي ، تحقيق: واضح الصمد ، الناشر: دار صادر ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨م .

١٣٢) النابغة الذبياني : ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر: دار المعارف – القاهرة – مصر ، الطبعة الثانية ، بدون ت ط .

١٣٣) ابن الناظم : بدر الدين بن مالك الشهير بابن الناظم ، المصباح في المعاني والبيان والبديع ، تحقيق: حسني عبد الجليل يوسف ، مكتبة الآداب – الجماميز ، بدون ت ط .

١٣٤) نصيب بن رباح : ديوان نصيب ، جمع وتقديم: داود سلوم ، الناشر: مطبعة الرشاد ، بغداد – العراق ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٧م .

١٣٥) أبو نواس: الحسن بن هانئ ، ديوان ابن هانئ الأندلسي ، الناشر: دار بيروت للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠هـ .

١٣٦) النووي: أبو زكريا محي الدين يحى بن شرف ، رياض الصالحين ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت– لبنان ،الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ .

١٣٧) الهاشمي: السيد أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، تدقيق : يوسف الصميلي ، الناشر: المكتبة العصرية – بيروت ، بدون ت ط .

١٣٨) ابن هشام :جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف:

أ- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي ،الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بدون ت ط

ب- شرح قطر الندى وبل الصدى ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، الناشر: القاهرة ، الطبعة الحادية عشرة ، ١٣٨٣هـ .

ت- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، تحقيق:مازن المبارك و محمد علي حمد الله، الناشر: دار الفكر – دمشق ، الطبعة: السادسة، ١٩٨٥م.

١٣٩) الوطواط :أبو إسحق برهان الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى ، غرر الخصائص الواضحة ، تعليق: إبراهيم شمس الدين ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٩هـ .

١٤٠) ياسين جاسم المحيميد: الإعراب المحيط من تفسير البحر المحيط ، الناشر: المكتبة الشاملة ، بدون ت ط .

١٤١) ابن يعيش: يعيش بن علي بن يعيش بن أبي السرايا الموصلي ، شرح المفصل في صنعة الإعراب ، تقديم: إميل بديع يعقوب ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ .